

# الوعاء الإسلامي

عدد  
الهجرة  
الهمتاز

إسلامية ثقافية شهرية

العدد السابع والثلاثون — السنة الرابعة — غرة محرم ١٣٨٨ هـ — مارس ١٩٦٨ م





حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم بعد أن أدى صلاة عيد الأضحي المبارك  
في جامع السوق الكبير ، يلتف حول سموه عدد من المصلين .

## صورة الملاف



منظر فريد للمسجد النبوي من  
الداخل ويبدو فيه ايوان الحراب  
بمقوده واعمدته الجميلة وتصلوه  
القبة الخضراء بينما يبدو قى مقدمة  
الصورة صحن المسجد الواسع  
واعمدة البناء الجديد .

تصوير : عظمت شيخ

## التمن

٥٠ غلسا	الكويت
١ ريال	السعودية
٧٥ غلسا	المصرات
٥٠ غلسا	الاردن
١٠ قروش	ليبيا
١٢٥ مليما	تونس
قروشك وربيع	الجزائر
درهم وربيع	المغرب
١ روبية	الخليج العربي
٧٥ غلسا	اليمن و عدن
٥٠ قرشاً	لبنان وسوريا
٢٠ مليما	مصر والسودان

## الاشتراك السنوى للهيأت فقط

في الكويت ١ دينار  
في الخليج ٢ ديناران  
( او ما يعادلها بالاسرياني )  
اما الافراد فيشترون رأساً  
مع متعهد التوزيع كل في قطره

## الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

المعدد السابع والثلاثون

— السنة الرابعة —

شرة محرم سنة ١٣٨٨ هـ

مارس سنة ١٩٦٨ م

نصدها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية  
بالكويت في شرة كل شهر عربي

هدفها : المزيد من الوعي ، وابقاظ

الروح ، بعيداً عن الخلافات المذهبية

والسياسية

مدير ادارة الدعوة والارشاد  
وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية  
ص.ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨  
الكويت

عنوان المراسلات :

# مع العام الهجري الجديد

للإستاذ محمد الرحمن عبد الله المحمّد  
وكيل الوزارة

ان لكل امة فى ماضىها حوادث بارزة ، ومواقف حاسمة ، تملى على تلك الامة لونا من السلوك ، يتم ما بداته الاجيال السابقة ، وينسجج على منوالها ، وهذه ناحية مشتركة فى الامم ، ثم يتميز بعدئذ بعضها عن الآخر ، بحسب وضوح ذلك الماضى واشراقه ، او عماوته وظلامه ، وتأخذ منه احياءات العزة والمجد ، او تتوارى من سوء ما زخر به من انحطاط وتخلف .

وامتنا الاسلامية فى طليعة الامم التى تملك ماضيا مزدهرا ، وتعى ذاكرتها اكبر نسبة عرفها التاريخ من الصفحات المشرقة المفعمة بالمجد والسؤدد . ويظهر ذلك بصورة اكمل فى الرعيل الاول الذى عاش ولادة النهضة ، وكان وقودها وشعلة ضيائها الذى انتشر فى ربوع المعمورة . .

وان اروع تلك المواقف المفزة فى تاريخ امتنا الاسلامية حادثة الهجرة التى قام بها النبى عليه السلام والفئات الاولى من اصحابه نجاة بدينهم من الاضطهاد والايذاء وبحثا عن التربة الصالحة لغرسه الاسلام ، واسعادا بوجيه الامم التى تقدره وتتطلع اليه ، وذلك ما حدث لحجتماع المدينة دار الهجرة والنصرة .

ومع كل عام هجرى يتجدد ، تتوارد زكريات الهجرة ، لتلقى عظائتها الحسية ، وتقوم بدورها فى الامة وارثة المهاجرين والانصار ، فتذكى فى الافئدة ادراك موضع هذا الدين من الحياة للتمسك بمبادئه واللوازم بها من عواصف الاهواء ، ونعرات الضلال والارتجال .

وان عامنا هذا الذى نستقبله قد القيت علينا فيه اعباء من العام الذى نودعه تاركا لنا ما هو اقوى من الذكريات وابقى من الخواطر / وقائع حية عشناها كشبه الخيال ، وكان من حصاها / خسارة معركة مقدسة ، وضياح

بقاع طاهرة وسيول من المشردين ، فقدوا المأوى ومورد العيش بعد حملة التهجير التي سلطت عليهم .. وإلى جانب هذا نجد الصيحات الصادقة التي تهب بامتنا للتأمل والنظر في أسباب نكبة العام الماضي ، وتدبر وسائل الخلاص ، والتداعى إلى واجب الفؤاد ، ونجدة أولئك الذين خسرتهم الحرب ، ونصرة المشردين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم بالمعدوان والتهجير .

ففي هذه الظروف نولى وجوهنا شطر الماضي المشرق وتكرياته - وخاصة حادثة الهجرة - فنأخذ من وحيها / أن صلاح هذه الأمة لا يكون إلا بالتفافها حول دعوة الإسلام ، وأعداد البيئة الصالحة لانتعاشها والمجتمع الذى يعرف قدرها وإن تلك الكيوات فى حياتنا لا يسوغ أن تمر دون أخذ العبر منها ، ومضاعفة الاندفاع للتهوض ، بعد استجماع القوى ونفض غبار الخيبة ، والانفكاك من أسباب النكبة .

وقد أوجز لنا الذكر الحكيم هذه الحقيقة الأبدية ، وهذا المبدأ الكونى حين قرر أن لاصلاح لأحوال الأمم إلا بتغيير ما بالنفوس من الأسباب التى أحدثت الاضطراب والخلل ( أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ) .. فما أحرانا أن نتمثل هذا المبدأ ليكون منارا لنا فيما نأمله فى عامنا الجديد ..

وأخيرا / فإن حادثة الهجرة تعتبر ثلاثة الحوادث الكبرى العظيمة فى فجر تاريخ الأمة الإسلامية ، بل فى تاريخ الإنسانية عامة ، والتى كان أولها ولادة النبي حامل الدعوة والمثل الكامل ، وثانيها نزول القرآن دستور الحياة الخالد ، ثم كانت الهجرة النبوية التى حصل بها تكوين المجتمع الإسلامى فى المدينة ، وانطلق منها نور الإسلام يملأ الآفاق ...

فى سبيل الحرية ، ومن أجلها ، كانت هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم  
نعم ، كانت الهجرة من أجل الحرية ، ولا شيء غير الحرية ..  
وهل هناك فى الدنيا كلها شيء أثمن من الحرية ، وأعز منها ؟ ..  
الأوكسجين شيء لا بد منه للحياة على هذه الأرض .. حياة كل شيء ..  
والحرية كالأوكسجين للإنسان ..

إذا فقد الأوكسجين تلف جسمه ، وإذا فقد الحرية تلفت روحه . أو ماتت  
فيه إنسانيته ..

وهل يسمى بعد ذلك إنسانا ؟

لا ..

هل يسمى حيوانا ؟

لا ..

ولمحة كالحيوان لا يدرك معنى الحرية الا فى الانطلاق والجزى والاكل

والشرب .

أذن لكان الأمر سهلا ..

ولكنه إنسان يكابد .. فيه روح ، وعقل ، وفكر وله عقيدة .. وكل ذلك  
غذاؤه الحرية ، فكيف إذن يعيش وهو الإنسان بدون روح ، وعقل ، وفكر ،  
وعقيدة ؟

هذا هو الشقاء ..

كيف يكون عند الإنسان فكرة لا يستطيع ان يتحدث عنها ؟

كيف يكون له عقيدة لا يتمكن من إعلانها ؟ ..

كيف يضرب اذا جهر بالحق ، وتكلم بالصدق ؟

وأهل الباطل يمرحون ، وسيطرون . يروجون لباطلهم ، ويصفقون

لأخطائهم ..

بل ويطلبون من الجماهير ان تصفق لهم ، وتشترك معهم فى اضطهاد كلمة

الحق ومن يمثلونها !!

وإذا كان على أهل الحق ان يصبروا ، ويتحملوا .. فالى متى ؟

وإذا كانت أشخاصهم وأموالهم هيئة عليهم ، فان الفكرة التى يحملونها ،

ويمثلونها . ليست بهينة .

إذا ضحوا بأشخاصهم ومصالحهم ، فانهم لا يستطيعون التفریط فى

فكرتهم ..

أنها عندهم أعلى وأعز من ذواتهم ، ومن كل مصالحهم ..

وانهم ليتحملون العذاب والتكليل بأشخاصهم وبمصالحهم ، ولكنهم لا

يطبقون ، ولا يصبرون ان يروا فكرتهم مضطهدة ، وحريتهم فيها مكبله .

ولقد صبر الرسول والمؤمنون على العذاب والاضطهاد سنين . فما حولهم العذاب عن فكرتهم ، ولا ناههم عن عزمهم ، ولقد كان من الممكن أن يصبروا أكثر مما صبروا ، ولكن .. ليس هذا هو الهدف .. أنهم يصبرون من أجل عقيدة ملكت عليهم نفوسهم ، أملا في اليسر بعد العسر ، وفي الفرج بعد الضيق . لقد مر عليها ثلاثة عشر عاما ولا يزال اتباعها محدودين .. فماذا يكون مستقبلها لو مر عليها مثل هذه المدة ، وهي تعيش في هذا الجو الخائق ، وتحت وطأة الاضطهاد والكبت ؟

ان اهل الباطل كانوا يزدادون كل يوم عتوا ، يغيرهم ثبات المؤمنين ، ويغيرهم بالزبد من اساليب الاضطهاد لهم ، والتفتن في تعذيبهم ، وهم يظنون وأهملين أنهم بأسلوب القوة والقهر ، وتحت وطأة السياط وحرارة الشمس ، يستطيعون أن يذيبوا الايمان في نفوس المؤمنين ، وفاتهم ان الايمان شقيق الروح ، لا ينزع ولا يسلب حتى تنزع الروح ، وان الايمان كالمدن ، كلما كان اصيلا ، ازداد على النار لمعانا وصفاء .. ولكن القوة التي كانوا يملكونها — ولا يملكون غيرها — زينت لهم ما كانوا يقرءون .

فلم يعد هناك — اذن — أمل أي أمل في انحسار هذه الموجة الطاغية ، في هذه البلدة التي تحجرت على معبوداتها وتقاليدها ، ورأى زعمائها في مبادئ الدعوة الجديدة خطرا على سلطانهم ، وايدانا بزوال نفوذهم وسيطرتهم .. والانسان المستبد الظالم أشد ما يكون ضراوة ، وايغالا في الشر ، حين يمس سلطانه ، أو يكاد يفلت منه نفوذه ، ويتخيل رحي الحق تطحنه في دورانها ..

لم يعد — اذن — أمل في هذه البلدة ..

فألى أين ؟ ..

الى الحبشة ؟ ..

فليكن . فان فيها ملكا لا يستهجن مثل هذه الدعوة ، ولا يظلم اصحابها .. وليهاجر اولئك الذين يستطيعون الهجرة اليها ، حتى يجدوا حريتهم في الجهر بمعقديتهم هناك .

وخرج الرجال والنساء الى بلاد لا يعرفونها ، وتحملوا المشقات والاهوال وركبوا البحر في سبيل الوصول اليها ، ومن أجل الحرية .. ووجدوا فيها لأول مرة حريتهم وتحدث مهاجر منهم يقول « وقدما الى أرض الحبشة ، فجاورنا بها خير جار . أمنا على ديننا ، وعبدنا الله لا نؤذى ، ولا نسمع شيئا نكرهه » وكان هذا هو الهدف .. الحرية .. وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قد أراد ادخار هؤلاء النفر الصالحين ، وتنمية عقيدتهم وتثبيتها في جو آخر غير الجو الكتيب المستعر الذي يعيشون فيه بمكة .. وماذا بعد ذلك ؟

ان الاضطهاد لا يزال يشتد ، والعتو يزداد ، والكبت على الحرية تضيق حلقاته على انفاس المؤمنين الباقين في مكة حول الرسول ، حتى لتكاد هذه الحلقات تخنقهم ، لا تخنقهم عن الكلام فحسب ، بل عن نسائم الحياة كذلك !!

والى متى ؟  
الى متى يصبر الرسول والفئة القليلة حوله على هذا الاضطهاد ؟  
والى متى يظل هؤلاء المؤمنون المغتربون بعيدين عن بلادهم ، ولا يجدون  
متنفسا لحريتهم الا عبر البحار .. هناك فى الحبشة ؟

الى متى يظل الرسول وتابعوه القليلون مشتهين موزعين بين مكة  
والحبشة ؟!

والزمن يمر .. والدعوة تكاد تتوقف او تتجمد .. وكأنها تشق طريقها فى  
صخر عنيف عنيد ؟!  
لا بد — أذن — من متنفس جديد قريب ، وعلى ارض العرب .  
فى الطائف ؟

قد يكون .. فبين أهلها وبين مكة عداً قديم قد يحملهم على حسن استقبال  
الرسول ، واحتضان دعوته التى غالى أهل مكة فى حريها .

وشق الرسول طريقه الى الطائف ، وسار فى حر النهار ، وظلمة الليل ،  
مسافة طويلة لعلها مائة كيلومتر ، يحده الأمل فى هؤلاء ويخفف عنه المتاعب  
والمصاعب .

ولكن — مع الأسف — تحكم فى هؤلاء عداؤهم للدين الجديد أكثر من  
عداوتهم للمكبيين ، فاضاعوا الأمل فيهم ، واضاعوا على أنفسهم وعلى بلادهم  
الجميل فرصة الحياة والخلود ، وكانوا أشد من أهل مكة عتوا وفسادا ،  
ومطاردة لكلية الحق ، وللرسول الذى يمثلها .. وسجلوا بعتوهم وانفلاق  
افكارهم أقسى فترة مرت بالرسول ، حتى أطلقت منه أول شكوى وآخرها  
وامرها أيضا توجه بها لربه : « اللهم اشكو اليك ضعف قوتي وقلة حيلتى وهوانى  
على الناس . أنت رب المستضعفين وأنت ربى الى من تكلنى .. »

وتتوتر اعصاب أهل مكة ، لأن محمدا ذهب يتلمس فى أعدائهم عوناً له  
عليهم ، ويزيد فى أغرائهم به عدم نجاح خطته ، فيسدون عليه منافذ مكة ،  
ويترصدون به لينقضوا عليه ، ويحرموه حق الحياة فى بلده .. ويسلبوه حتى  
بقايا الحرية التى كان يتمتع بها قبل ذهابه الى الطائف !! فلم يستطع الرجوع  
الى منزله آمناً الا فى حماية عربى مشترك ، دفعته نخوته الى حمايته !!

فهل فى مثل هذا الجو تطيب حياة ، او تنمو دعوة ؟

لا بد من مواصلة البحث عن متنفس آخر ..

والوطن ؟ .. اليس عزيزاً عليهم ؟

يلى .. ولكن ما قيمة الوطن اذا فقد الإنسان فيه حريته ، وفقد مع ذلك  
أمنه وطمأنينته ، وعاش مروعاً مهدداً فى ليله ونهاره ؟ .

ليست الحرية أعلى عند الحر ، صاحب المبدأ والفكرة من حفات  
التراب ، ونكبات الصبا والشباب ؟! وكل مكان ينبت العرطيب .  
ولكن الدار والمال والمصالح ؟ .. اليس ذلك كله عزيزاً عليهم ؟



بلى .. ولكن الحرية اعز واغلى . وما قيمة الدار والمال والمصالح والرفاق  
إذا عاش الإنسان مع ذلك كله ذليلاً مهيناً ، مسلوب الإرادة والحرية . لا يريدون  
له أن ينطق إلا بما يشاءون ، ولا يستحسن إلا الأصنام التي يعبدون !!!  
وهل على مثل هذا التمسك والضغط والتكبل بقيم إنسان ؟  
ولا يقيم على ضيم يراد به إلا الأذلان : غير الحى والوئد

وهل فى مثل هذا الجو تنمو دعوة الحق ، أو تترعرع القيم الصالحة ؟  
لا .. « ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغماً كثيراً وسعة »  
فكانت الهجرة الثالثة .. الهجرة إلى المدينة .. من أجل الحرية والأمن .  
وفى جو الحرية الجديد ، تفتحت الدعوة ، كما تفتتح الأزهار فى الشمس  
والهواء ، وسرى عبرها شرقاً وغرباً ، وشمالاً وجنوباً ، وكان نصر الله والفتح  
.. وكانت بعد ذلك الإمبراطورية الإسلامية ، والحضارة الإسلامية .. وكان  
كل هذا المجد الذى نعيش فى رحابه ..

نعم .. من أجل الحرية هاجر الرسول والمؤمنون وبذلوا ما بئسوا ..  
ومن أجل الحرية ، لم يعترف الرسول بإسلام من أسلم إذا أثر أن يعيش  
فى جو الكبت بكمة ، مسلوب الحرية والإرادة ، ولم يهاجر إلى بلد الحرية  
— المدينة — لينعم بحريته ، ويجهز بعقيدته ..  
حتى إذا فتح الله للرسول مكة ، وسرى جو الحرية فى أرجائها من جديد ،  
رد الرسول إليها اعتبارها ، وأعلن للناس ألا هجرة منها بعد الفتح ، ولكن  
جهاد ونية ..

من أجل الحرية — إذن — كانت الهجرة ، وبالهجرة عز الإسلام وانتصر

وانتشر ..  
ومن أجل الحرية .. كان الجهاد بعد الفتح بدلاً من الهجرة ، دفاعاً عن  
الحرية ، وصوناً لها ، لتتنفس الدعوة الصالحة فى جوها ، وتترعرع القيم  
العليا فى أرضها ، وتتكون وتقوى الشخصية الإسلامية على غذائها ..  
نعم .. ومن أجل الحرية أبى الله أن يعبد الإنسان عن طريق الضغط  
والاكراه .

وفى أرض الحرية وجوها نما الإسلام وازدهر وأثمر .  
وفى أرض الحرية وجوها كذلك ، تثبت كل دعوة صالحة ، وتنمو كل فكرة  
خيرة ، ويزدهر كل علم نافع ، ويتكون الرجال الصالحون .  
وفى جو الحرية يختلق الضلال ، ويهوى الباطل ، ويتبدد الخبيث ،  
وينكشف كل غش وتدليس .

ألا ما أعذب الحرية ، وما أعظم قيمتها عند الله وعند الناس .. وما أسعد  
الذين يعيشون فى ظلها ، ويتمتعون بخيراتها ، أو يموتون فى سبيلها ، وما  
أشقى الذين يعيشون محرومين من نعماتها ، وأشد منهم شقاء فى الدنيا  
والآخرة ، أولئك الذين يسلبون الناس أئمن ما أعطاهم الله .. الحرية ..

التمسك  
عيسى

مدير إدارة الدعوة والإرشاد

السنة

هدى

من

# حوار<sup>٧</sup>

لشيخ علي عبد المنعم

المستشار الثقافي لوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية

عن حذيفة قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : غفنة (١) الرجل في أهله (٢) وماله (٣) وولده (٤) وجاره (٥) تكفرها الصلاة والصوم ، والصدقة ، والأمر ، والقي » ( رواه البخاري ) .

التقيا على غير ميعاد ، وتبادلا التحيات والبسمات ، وعلقت يد أحدهما بيد الآخر وسارا متجاورين يشقان طريقهما وسط الجماهير المتدافعة كاللج ، وكانا يتحدثان كأنهما يتصايحان وأحيانا يتهايمسان خوفا على حديثهما أن يحمله النسيم الى اسماع لا يجبان أن يصل إليها ، ثم اخترقا الجموع الصاخبة اللجبة ، وحملتتهما أقدامهما الى ركن هادئ في حديقة ذات ماض عريق ضارب في القدم .

(١) أصل الغفنة في اللغة : الإبتلاء والاختبار ، ثم أطلقت عرفا شرعيا على كل ما يكشفه الامتحان من سوء ، وقد تطلق أحيانا على الكفر ، والبلية ، والعذاب ، والنحول من الحسن الى القبيح . وأحيانا على الميل الى الشيء والاعجاب به وقد يكون ذلك في الخير والمثل قال تعالى « ونبلوكم بالشر والخير غفنة » .

(٢) في أهله : فقد يتجاوز الحد في حبهم فيمليه ذلك عن فعل الخيرات ، أو يفرط في رعايتهم فتسوء حالهم ، وفي كلا الحالتين هو مسئول عنهم لانه راعيهم وكل راع مسئول عن رعيته كما ورد في حديث شريف .

(٣) وماله : بأن يحاول تميته بطريقة لا يقرها الشرع كالزنا مثلا ، أو يبذره ولا يوجهه حيث أمر الله سبحانه .

(٤) وولده : أفرد صلى الله عليه وسلم بالذكر مع انه داخل في الأهل غالبا - لانه كإمام - زينة الحياة الدنيا والآب مغرم دائما بأبنائه وكثيرا ما يؤدي به ذلك الى الغفلة عن حقوق الله تعالى .

(٥) وجاره : فإن كان الجار غنيا فقد يتبنى جاره الفقير زوال نعمته لشدة حقدّه عليه ، أو قد يهمل ذلك الفنى عون جاره الفقير ، وكلاهما ان قتل ، فهو بمعبد عن أداء الحقوق التي وصى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

تقوم الى جوارحى من احياء مدينة دعيت ولا زالت تدعى ( مدينة النور ) (٦) .  
ولهذه الحديقة قصة فى تسميتها وفى وجودها المستمر ، طامبا ثلاثى تحت  
اشجارها الوارغة الظلال . وحول بحيرتها الجميلة الساكنة — عشاق ومحبون ،  
وللعشق والمحبة الوان ومعان يطول شرحها ، ولا اعنى هنا المشقى الغائى ،  
وانما اتقصد المتبين بالبقاء الذين احبوا الحقيقة وجاءوا هنا يبحثون عنها —  
بين هذه الاخلاط العجيبة من البشر — على ايدى علماء افاذا غبائرة .

**وقصارى القول :** جلس القرينان الخيران . ودار بينهما حوار ليس  
عجيبا وان كان لا يخلو من عجب .

**قال أحدهما :** ان امر الحياة والناس امر يذهل العقول ، ايام تمر وتتقضى ،  
واخرى تلاحقها ثم تتابع نفس المصير ، وهذا عالم من أعوام الهجرة الشريفة  
جديد . وقد سبقته أعوام تالشت ثم فنيت وسيدركه ما أدركها من الثلاثى  
والفناء . والناس هم الناس منذ ان هبط أبواهم الأرض ، تسييرهم أهواء  
وتحكمهم رغبات ، وترفعهم أو تخفضهم شهوات ، منهم من أعمل فكره ، فتأمل  
ويبحث وعقل ودرس ، ومن الدارسين من أنتج للإنسانية ما أفادها ، ومن  
الباحثين من مضى بالحياة قدما ، ومنهم من أضاع حنادس زمانه ولا زال يسرى  
على ضوء هدهاء المدلجون ، وعلى النقيض من هؤلاء من هوى وانزوى ولم يشعر  
الوجود بوجوده ، بل منهم من وجهت يوم نجم أمه ، ومضى حيوانا مكرر الهوى  
لا يعدل سائمة ولا يزن قارضة ، ولا يباع ولا يشترى بدرهم ، فلم تدرب به الليالى  
ولم تدرك عبوره لحظات عبوره .

**وهنا قاطعه الثانى :** على رسلك يا أخى ماذا تريد من الحياة وتلك سنة  
الله فى خلقه ولن تجد لسنة تبديلا ، ولن تجد لها تحويلا كما نص القرآن  
الكريم فى محكم آياته البينات .

**قال الاول :** القى الى سمك وانت شهيد ، وعش معى لحظات بمقلك  
وتألك لأبتك شجوى ، وأفضى اليك بذات نفسى ، فقد بلغ السيل الزبى وجاوز  
الحزام الطبيين ، ولم نعد نجد ملجأ أو مغارات أو طريقا نسلكه لنتوارى عن لوم  
اللائمين تارة ، وشهانة الحاقدين أخرى ، فنحن ورثة مجد ، وخلفاء من أحسنوا  
قيادة العالم ردحا من الزمان ، وملأوا رحابه علما ومعرفة وأمسالة رأى ،  
وحملوا مشاعل الحضارة حقبا طويلة ، ولنا من التراث الباقي ما يبلى الزمان  
ولا يبلى أرجه العطر ولا يختفى نوره الوضاء — وأعلم قبل أن تعترض أن هذا  
لا يجدى فى واقعنا المائل فتيلا ، ( فان الفتى من يقول ها أنذا ) « ولكن سأسوق  
القول مقتبسا من مجلس من مجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم قد يبدو  
لك — لأول وهلة — انه قصي عن مجرى حديثنا ولكن متى تأملت وفكرت الفتى  
كل ما يصدر عنه صلوات الله عليه يصلح قاعدة وأساسا لنهضة عامة شاملة  
ومحركا تويها للهمم الوانية . والمزائم الخائرة فى يسر ولطف وإيناس ، وتوجيه  
حكيم ، وتدبير تويم . واليك قول حبيب رب العالمين : « فتنة الرجل فى أهله  
وماله .. الخ الحديث الشريف » .

**الغنى اهل الرجل هه الذى يهه ، يعنيه أمرهم ، ويسمى فى الحياة**

(٦) هى مدينة ( باريس ) ولهذه التسمية أصل وسبب خاصان حدثنا بهما عالم كبير من علمائها  
الافرنسيين الاجلاء وان كنت أرى أن مدنا أخرى كانت ولا تزال تستحق المشاركة فى هذا الوصف  
الكريم ، وان صار علما عليها منذ آن بعيد .

جاهدا من أجلهم . يستصرخهم في الملمات . ويستمعين بهم في النائبات . ويفخر بعددهم وعديدهم في الرخاء والسلام ، فقل لي بريك : اليس اذا احسن القوامة على امورهم ، وسلك بهم المسالك الرشيدة التي شرعها الله ، ونأى بهم عن المهالك ، وجنبهم المزالق التي تغضب الحق ، فقوم معوجههم ، وهدي ضالهم — كون بذلك جماعة متماسكة مؤمنة بحقها في الحياة ، حريصة على حق غيرها لا يعتدى ولا تقبل الاعتداء عليها .

**والمال :** وما ادراك ما المال ؟! عصب الحياة ، ومهوى الافئدة ، يحقق الشئ ونقيضه ، فيدفع البعض الى الجبروت والعدوان ويوردهم موارد الرزيلة والفساد ، ويرفع من يحسن ادارته ، ويقدره قدره الى مصاف القادة والسابقين في كل مناحي الحياة ، فيقوته وسيلوته تشاد المصانع على اختلافها وتبنى دور العلم ، وتعد القوة المستطاعة ، وتجنو المعرفة الحقة ، وتنمو الحضارة . وتردهم دروب الامم ويقوى كيانها ، وذلك اذا وضع في موضعه وصين عن المباديل ، والصد بالصد ( وبضدها تميز الاشياء ) . ثم الم تقم باسمه مبادئ، وحضارات ، كما ابدت باسمه ايضا مبادئ اخرى وحضارات . ولن يزال هدف المعارك والمناوشات .

**وهلم يا اخي متأملا الولد :** والولد اما عبء واما عون ، وما الانفراد الا اولاد الآباء ، او آباء الاولاد . غلو سلك كل رجل مسلك الهداية الالهية . وحافظ على هذا الكنز العظيم : والطاقة التي لا حد لها من القوة الانسانية الكامنة في الولد ( ذكرا كان او انثى ) واغرق خبرته في حسن توجيههم . فباط الاذى عن طريقهم . وشرع لهم نهجا قويا مستمدا من توجيه السماء ثم من خبرة عقلاء الانسانية وهم كثر — انه لو فعل — لصنع لبنة واية لبنة . وكون فردا وای فرد — انه لو فعل — لاخرج لقومه قوة تبنى وتصنع المجد . وتحارب الانحراف . وتمضي لما امر الله في غير لين ولا هواة . لا تقبل الوقوف في المؤخرة . بل تاتي في المقدمة دائما (١) .

**ثم الجار :** وما الناس الا جار ومجاور جار . ولا يوجد من عاش فدا وحيدا بلا جار . ولو ضرب خبائه في قنن النيق او وسط الصحارى او سكن سفينة في عرض المحيطات . فجاره هو اول من ينتهي خطه اليه . فلا عزلة في الحياة عن جار ولا انقطاع عن جوار ، وتأمل ثم احكم .

وامر الجار في الاسلام ، في التقويم الاجتماعي . في البناء الانساني امر عظيم ، فلا تقترب من جارك بحجر او مدر ، وانما بقلبك وروحك . ولو ان

(١) لقيه رجلا فرنسيا من 'لهارين القدماء' يقيم في مدينة تورا ( TOURS ) احدى مدن فرنسا الكبيرة يعمل استاذاً في معهدا وجامعتها وقد جاوز السبعين عاما ، حدثني انه حضر الحربين العالميتين الاولى والثانية ( ١٩١٤ ثم ١٩٣٩ ) جنرالا وله اربعة اولاد وبنات ، كلهم اما طبيب او قائد في الجيش او مهندس او استاذ في جامعة فاطمريت نبوغهم ففقال : كم من نبوغ واره التراب حين لم يجد راعيا ، ولكن انا الذي وجهت وجهتي حتى وصلوا . ولا يخلو قول الرجل الكبير من صدق ووعي حقيقيين جديرين بالاعتبار ، وليت كل الآباء يفعلون عمله .

الوصايا طبقت كما وردت . ولو أن الإنسانية فُتحت أن جبريل ما زال يوصي سيد الخلق صلوات الله عليه بالجار وشؤون الجار حتى ظن عليه السلام أنه سيورثه لتضامته وتجمعت وقويت والتأم أمرها وما تفرق شملها ، ولا فت في عضدها ، والجار الذي لا يستل سخية نفس جاره بمواساته بالمال أن كان ممولا ، وبالعاجاء أن ضاق جاره بالحياة أو ضاقت الحياة به ، وبالرؤء وطلاثة الوجه ، والعون بمختلف ضروب العون : لا يكون مؤمنا ولا ذا أثر فعال في تكوين مجتمع متحاب متواد . لأنه فسم الرؤء ، وهدم البناء ، وخان الحق ، واتبع الهوى ومن أضل ممن اتخذ الله هواه .

الا ترى يا أخى بعد ما سقت اليك من الايضاح أن هذا الحديث الشريف يضع يد الماثل على موطن الداء ثم ها هو ذا يصف العلاج فيدعو الى الارتباط بقيوم السماوات والأرض حق الارتباط ويدل على الدواء الناجع ، فالصلاة تذكر بالله وبالتالي تحمل المرء على راب الصدع ، وجبر الكسر ، ثم الصوم ولعلك وعيت ما قيل عن الصوم وما أكثر ما تحدث عن هذا الركن من أركان الاسلام ، انه يذكر الصائم الواجد بأخيه المعدم ، ويضع يده على تيبة المال ، ويهديه الى الهدف السامى لصرفه وانطلاقه ، ثم الصدقة : انها لذات أثر فعال في تقوية حبال المودة ، وليس المراد بها هنا الزكاة المفروضة أبدا فذلك أسر محتوم لا فكاك منه ولا مفر عنه لمن آمن بالله واليوم الآخر ، وانما المراد هنا ما تعطيه يمينك حتى لا تعلم شمالك ما تنفقه ، هي ما ورد ذكرها في الكتاب العزيز « أن تبدو الصدقات فنعما هي وأن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم .. » وقوله سبحانه : « مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء » (١) .

**والامر والنهي :** وتلك مهمة شاقة لا يلقاها الا الذين صبروا ولا يلقاها الا ذو حظ عظيم ، ولا يزال يوجد من يقوم بها ويؤديها (٢) والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم .

**وهنا :** تنفس الثاني الصعداء وعقب على حديث صاحبه قائلا : صدقت وما عدوت الحقيقة والواقع ونرجو ولا ينتطح لنا في الله رجاء أن يظن المسلمون لوحى السماء فان مع العصر يسرا ثم ان مع العصر يسرا ثم انفض مجلسهما على أن يلتقيا دائما في رحاب الله وعلى مائدة رسوله خاتم الانبياء والمرسلين عليهم جميعا صلوات الله وسلامه . فذلك هي الباقيات الصالحات وهي خير ثوابا وخير أملا .

(١) أما الزكاة المفروضة فيكاد ينعقد الإجماع على وجوب اظهارها ليقضى الإغنياء بعضهم ببعض في اخراجها وليلعلم الناس أن هذا الركن العظيم من أركان الاسلام لم يهدم بعد ، وأن كان قد ورد ذكرها في القرآن العظيم باسم الصدقات أحيانا مثل قوله تعالى ( أنما الصدقات .. الخ )

(٢) في عدد سابق من هذه المجلة الواعية الفراء أشرت لهذا الموضوع بحثا كاملا فليرجع اليه من اراد تفصيلا .

# الهجرة

## منطق اليقين

للشيخ: محمد الغزالي

نحن في عالم يسوده المنطق المادي . ويعد المحسوسات وما ينصل بها هي الوجود الذي لا وجود وراءه .. !

وجمهرة البشر أخذت تستكين لهذا التفكير . وتبنى عليه سلوكها في الحياة ، وفرحها أو حزنها لما يصيبها من نعماء وبأساء .. !  
نعم . انها تحت تأثير الدين تؤمن بما وراء المادة : وتأوى الى هذا الايمان في الساعات العصيبة ..

بيد أن لغوب الناس على ظهر الأرض . وكدهم لتحصيل ما يريدون انما يثور غباره وراء ضرورات العيش ورفهاته - أما الدار الآخرة وما يمهدها . فامر قلبا يخطر على البال واذا خطر فقلها يقترن بالشعور الجياش والفسك المستغرق والعزم الحديد .. !

وحقيقة الدين تنافي هذا المسلك الخامل . فان الايمان بالغيب قسمين للايمان بالحاضر . ولا يصح تدوين ما الا اذا كان المرء مشدود الأواصر الى ما عند الله مثلما يتعلق بما يرى ويسمع في هذه الدنيا ..

والغيب الذي اقصدته هنا أوسع دائرة من عالم الملائكة مثلا : أو مشاهد الجزء الأخرى ، أو المرويات التي آتينا الوحي بها ، ولا نستطيع الوصول اليها بداركنا ..

الغيب الذي اقصدته هنا ما يتصل بالسلوك الانساني المائوس لنا ، أي ما ننبعث عنه في كفاحنا القريب لبلوغ ما نحب واقتضاء ما نكره .. !

ان القصر على الاعداء غيب . خصوصا اذا وهنت الوسيلة . وقتل العون . وفدحت العوائق .

ولكن الايمان بهذا النصر المأمول ينبع من الايمان بالله وحده جل شانه .  
ومن ثم فالمجاهد الموقن يمشى فى طريق الكفاح المرءى وهو واثق من النتيجة  
الآخيرة .. !

ان غيره يستعبد لها ، أو يرتاب فيها .. أما هو فمعتقد أن اختلاف الليل  
والنهار يقربه منها وإن طال المدى .

ماذا قال الله تعالى : « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » فإن الجماعة  
المؤمنة لا تهولها وعناء الطريق ، وضراوة الخصوم ، وكآبة الحاضر ..

ان ايمانها بالمستقبل يعزيبها عن متاعب اليوم . ويشعرها بأنها غيمة  
عارضة توشك أن تنقشع « فأما الزيد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث  
فى الأرض » والرزق — مثل النصر — غيب مرتقب . وعندما ينفق المؤمن ما  
عنده على أمل أن الله باعث خلفا له وعوضا عنه ، فهو يسير على منطق اليقين  
المحض .

ومن هنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال — لما ادخر له صبيرا  
من طعام :

« أنفق يا بلال ولا تخش من ذى العرش انطلا » .

ولماذا يخشى الاثلال وقد وعد الله أن يخلص على من أنفق ؟ ووعدته بمنجز  
لا ريب فيه .

ان هذا الايمان بما عند الله هو الذى يرجع عند المؤمن جانب العطشاء  
عندما توسوس له نفسه بالامساك والمنع ، خصوصا مع التأمل فى الحياة ،  
والرغبة فى سعة الثراء ، والقلق من أحداث الزمان .. !

ولذلك جاز فى الحديث « افضل الصدقة أن تتصدق وانت صحيح صحيح  
تحب الضنى وتخشى الفقر » . والايمان العميق يجعل المرء كما وصف الرسول  
الكريم : « أن تكون بما فى يد الله أوثق منك بما فى يدك » .

كان المسلمون قبل الهجرة يملكون انصبة وافرّة من الايمان بالمستقبل .  
يعتقدون أن دينهم لن يغلب — وأن ضعف اليوم حملته — ويؤدون فرائض الجهاد  
والبذل وهم راضون عن ربهم . راجون ما عنده .

والمجاهدون فى سبيل الله بشر تجيش فى أنفسهم المشاعر التى تجيش  
فى نفوس غيرهم . من تقدير للحياة ، والرأى العام ، وكفالة الاولاد ، وتأمين  
المعيش لأنفسهم وأهلهم ! بيد أنهم وازنوا بين مطالب الحق . وأشواق الدنيا .  
ثم أثروا وعد الله على وحى العاجلة .

وتأمل هذا الحديث الذى يصور الصراع النفسى لدى انصار الحق ، وكيف  
يخرجون من غبارهم أوفياء لله ، أحقاء بكرامته .

عن « سيرة » بن « الفلكه » رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله  
صلى الله عليه وسلم قال : « ان الشيطان تمعد لابن آدم بطريق الاسلام فقال :  
تسلم وتذر دينك ودين آبائك ؟  
فمعصاه ، فأسلم ، فمفقر له !

وقعد له بطريق الهجرة : فقال له : تهـاجـر . وتذر دارك . وأرضك .  
وسـعـاك ؟ فمعصاه فهـاجر ..

فمعد له بطريق الجهاد فقال : تجاهد وهو جهد النفس والمال . فتقاتل .  
فتمتلك المرأة ويقسم المال .

### فمعصاه مجاهد .

مقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فمن عمل ذلك فمات ، كان حقا على الله أن يدخله الجنة . وإن غرق كان حقا على الله أن يدخله الجنة . وإن وقصته دابة كان حقا على الله أن يدخله الجنة » . هذه طبيعة الاستمساك بالحق والتفاني في نصرته .

والواقع أن إيمان هؤلاء بالغيث مثل إيمان غيرهم بالمحسوس . أن الرجل الذي يقطع تذكرة للسفر من القاهرة إلى الاسكندرية لا يخافه شك في أن الاسكندرية موجودة وأن القطار المنطلق ذاهب به إليها !

والمجاهد المسلم يؤمن بأن الموت نداء الحق ينقله يقينا إلى جنة عرضها السموات والأرض ، إيماننا اليوم بأن السفر من عاصمة إلى عاصمة أو من قارة إلى أخرى يصل بنا إلى ما نريد .. !

وعندما يرتفع الإيمان بالغيث إلى هذه القمة الراسخة ، فإن أصحابه ينتصرون بعبادتهم حتما ونأثروها في الحياة نشرا لا يدركه طي ، ومكتسحون ما يضعه المبطلون أمامهم من عوائق .

والمستقبل الذي تنتصر فيه الرسالة وينتصف فيه أصحابها يتكون من جزاين أحدهما قريب والآخر بعيد .

أما القريب ففي هذه الدنيا وعلى أرض الميدان الذي تدور فيها الممارك .. أما البعيد فعند الله حيث تنكشف خبيئات النفوس وينسال المحقون والمبطلون جزاءهم العدل ، وفي المرحلتين كليهما يقول الله تعالى : « أم يقولون نحن جميع منتقم . سيهزم الجمع ويولون الدبر . بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر » .

.. وجاء في سورة أخرى « أنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ، يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار » .

والمسلمون الأوائل لم تنقصهم الثقة في مستقبل الدعوة التي آمنوا بها وكل ما عناهم أن ينهضوا بحقوق الدين الذي اعتنقوه ، وأن يثبتوا على صراطه المستقيم مهما تكاثرت المحن وترادفت الفتن .

من أجل ذلك هاجروا لما اقتضاهم الأمر أن يهاجروا ، وخاضوا غمرات الحروب لما كلهم الحق أن يبخلوا النفس والمال . ولو شقت عن ضمائر القوم لوجدت الهجرة عندهم أشبه بانتقال الموظف اليوم إلى بلد اتصل فيه رزقه أو نال فيه ترقية !

غاية ما هنالك من غرق أن هذا مسلك بدت فيه بواعثه المادية التي تواضع الناس على الاحتفال بها ..

أما المهاجرون الأوائل فهم ينتقلون من بلد إلى بلد إقامة لدين مضطهد ، ويعاملون رب العالمين وحده حين يحلون وحين يرتحلون ، ويستيقنون من رضوانه ، تعبوا أم استراحوا .

أن هجرات الأحياء على ظهر الأرض كثيرة : بل إن الطيور في الأجواء ، والأسماك في المحيطات تقطع مسافات كبيرة وراء غلايتها المادية المحدودة .



لكن الهجرة التي علت بها اندار . وخذل بها أتوام تلك التي قامت ودامت  
ببراعت الإيمان المحض ، والغضب لله والارتباط بتعاليله ، والعيش بها أو  
الموت دونها .

ومع أن الوحى الأعلى لقن المؤمنين أن رسالتهم ستستقر . ورايتهم  
ستمحو ، وإن الكثر سيذوب ، وينخذل حزبه ، إلا أنه تلقى أمثدتهم بالمستقبل  
البعيد ، أعنى الدار الآخرة وما حوت من ثواب وعقاب « فاما نذهبن بك فانا  
منهن منتقمون . أو نرينك الذى وعدناهم فانا عليهم مقتدرون . فاستمسك بالذى  
أوحى اليك أنك على صراط مستقيم . وأنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون » .

ولهذه الآيات معنى ينبى أن نقف عنده طويلا . فان المؤمن المجاهد قد  
يترك هذه الحياة دون أن يعرف نتائج الصراع المحتوم بين الهدى والضلال .  
وهذا جائز ، بل كثير الوقوع . لأن انتصار الحق ربما اقتضى هذا المؤمن نفسه  
أن يقدم حياته ، فيكون استشهاده ، واستشهاد غيره من المؤمنين الجسر الذى  
تعبّر عليه المبادئ وتنشق طريقها الى مستقبل واعد .

لكن هل ذهب عدد قل أو كثر من أهل الإيمان يفيد الضالين شيئا ؟ كلا ،  
ان الانتقام الالهى لاحق بهم يتيئا .

ولذلك يؤكد القرآن الكريم هذه الحقيقة « فاما نذهبن بك فانا منهم  
منتقمون ، أو نرينك الذى وعدناهم فانا عليهم مقتدرون » .  
والخطة المثلى أن يؤدى الإنسان واجبه المجد دون استعجال المصير فى  
هذه الدنيا ، والا يتعلق بالفوز الشخصى له ، أو الاندحار الشخصى لخصومه .

فمن يدري ؟ ربما رشد هؤلاء الخصوم يوما ، وتحولوا الى الإيمان الذى  
جحدوه من قبل .. !

وفى أعقاب أحد ، ومع مرارة الهزيمة التى أصابت المسلمين ، يبين الله  
لنبيه هذه الحقيقة فيقول « وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم . ليقطع  
طرقا من الذين كفروا أو يكتبهم فينقلبوا خائبين . ليس لك من الأمر شيء أو يتوب  
عليهم .. »

فى إطار هذا اليقين العميق ، لبى المسلمون النداء الى الهجرة عنسدها  
طولبوا بالهجرة ، واستجابوا لله ورسوله غير ضائقين ولا جازعين .

ان الحياة بالنسبة الى المؤمن خط طويل يمتد مع الزمن لا يقطع الموت ،  
ولا يعرفه الفناء .

والمؤمنون حين يفرضون فى هذه الدنيا فهم يرقبون ثمار غرسهم فى  
المستقبل القريب ، أو المستقبل البعيد . بين أهلهم هنا أو عند الله هناك .

ولن يخامرهم تنوطه لأن ما ارتقبوا تأخر ميعاده .  
ولن يسأموا تكاليف الجهاد ولو كلفتهم أن يحرموا وطنهم الغالى . وأن  
يرغموا على ترك معاشهم به وذكرياتهم فيه .

# دروس حول الهجرة

للدكتور: محمد محمد خليفة

المفتى بالأزهر

من الخير للمسلمين حين يذكرون هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة ، وحين يعيشون مع هذه الذكرى بخواطرهم ومشاعرهم أن يتخذوا منها دروسا لحاضر أمتهم الكبيرة ومستقبلها .  
وما أكثر الدروس التي تدور حول الهجرة من أسباب ونتائج ، وخوارق وتدبير ، وقصص وتضحيات ، وصبر وقوة احتمال .  
وما أكثر الآثار التي خلفتها وراءها من تربية النفوس ، وبناء المجتمع الإسلامي ، ومن كسب غير مجرى التاريخ العربي ، بل أثر في التاريخ الإنساني حقبا من الزمان .  
وحسبنا أن نقدم جانباً من تلك الدروس ، لعل اشراقات من فيضها تهدي عالمنا الحائر إلى الخير الذي ينشده كل غيور على بناء هذه الأمة الذي يوتسك أن يتداعى .

يمشط بمشاط من الحديد ما يشبههم  
ذلك من دينهم » .

« المدرس الأول »  
« الصبر والتضحية في سبيل  
المقيدة »

وقد مر بآل ياسر وهم يعذبون على الرمضاء . والسياط تاكل جسومهم ، والصبيان يعبثون بهم فقال لهم : صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة » . ولو أن الدعوة على الرغم من كل هذا لتقت بعض النجاح لكان على نفس الرسول ونفوس أصحابه كل ما يلحقون من القريشيين ، ولكن قريشا لم تدخر جهدا في محاربة الدعوة ، والوقوف في وجهها بكل ما تملك ، حتى يخيل أن قريشا جمدت الدعوة داخل مكة ، فعاشرت في تلويب من كانوا أسلموا في الأعرام الأولى من المكين ، وبين قلة قليلة من أبناء

لن رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ بعثه الله فروبا من المنة وصروف الأذى ، فقد كذبه قوموه ، وهو الذي عرف بينهم قبل بمشته بالصدق والأمانة ، وحين ضاقت نفسه بذلك التكتيبي نزل عليه الوحي يسليه « وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك » وقد عذبوه ونال منه رجالهم ونساؤهم ، نهز الأسى قلبه : وسرعان ما أمره ربه بالصبر : « فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل » وأذى أصحابه المؤمنون وعذبوا مبين لهم أن من كان قبلهم كان

يدرون عن الديانات شيئا ، لأن  
الاستعمار ضرب عليهم سجوننا  
عاشوا وراء أسوارها بمعبدتين عن  
نور الاسلام ..

....

### « الدرس الثاني » « القرية »

كان جل هم الرسول صلى الله  
عليه وسلم حين يلتقي بالمسلمين قبل  
الهجرة يتجه الى تبليغهم ما نزل عليه  
من القرآن ، وتصحيح الايمان في  
قلوبهم ، بتوجيههم الى النظر والتدبر ،  
وقد شغلته مساوات تريش له  
ولاصحابه وخوفه على اصحابه من  
المخافة والانتقال الى القبائل لتبليغها  
دعوة الاسلام ، وبخاصة بعد ان رأى  
موقف اهل الطائف منه ومن دعوته ،  
وموقف تريش من المهاجرين الى  
الحبشة .

فلما استقر به المقام في المدينة ،  
واقبل الناس اتواجا على الاسلام ،  
اتخذ من مسجده مدرسة تطلق حوله  
فيها المهاجرون والانصار ، يلقنون  
القرآن ومبادئ الاسلام ، ويربهم في  
هذه المدرسة تربية توائم الاخلاص  
والطاعة والصدق والامانة والبذل  
والحب في الله ، والبغض لله والابثار  
والفناء لخير الامة الاسلامية  
الكبيرة ، والعمل المتعاون لبناء الكيان  
الاسلامي ، فكل فرد في تلك الامة  
لينة صلبة يشتد ويطول به البناء ، فلا  
مكان بين تلك الامة لثاني ، ولا  
لجشع ، ولا لمستغل ، ولا لانتهازى ،  
ولا لاحتكارى ، كلهم سلم لمن سالم  
تلك المبادئ ، وكلهم هرب على من  
حاربها .

هكذا عاشوا اموامهم الاولى في  
المدينة ، اموام التربية الصادقة في  
مدرسة الرسول ، فلا تنفص حلقاتهم  
الا لاداء فريضة ، او سعى قانع وراء  
عمل يجتنبون منه لقيامات تقيم اصلاهم  
وامصلا ذوبهم . فلما اطمان الرسول

القبائل الذين وقفوا على امرها في  
موسم الحج .  
لكل هذا اذن الله لرسوله بهجرة  
اصحابه الى المدينة بعد بيعة العقبة ،  
فلبى الصحابة امر الرسول صلى الله  
عليه وسلم وحجروا وطنهم ، ولهم فيه  
ذكريات واهل وولد ومال ، وضخوا  
بكل ذلك في سبيل عقيدة منحوسها  
قلوبهم ، ومبادئ ملكوها ارواحهم ،  
فأثروا العقيدة والمبادئ التي جاء بها  
الاسلام على كل ما لهم في الحياة ،  
وطلبوا بذلك رضا الله .

ثم اذن الله لرسوله بالهجرة ، بعد  
ان عبات تريش لقتله من كل بيت من  
بيوتها فتى جلدا ، ليشربوه ضريبة  
رجل واحد ، فيتفرق دمه بين البيوت  
ولكن عناية الله تولته وحمته حتى  
بلغ المدينة ..

ما أفقر المسلمين اليوم الى شيء  
من سبر رسول الله صلى الله عليه  
وسلم وصبر اصحابه يواجهون به  
التعبئة التي عباها الانحلال ،  
ويواجهون به الردة المسترة المتكررة  
لكل ما يدعو اليه الدين والخلق  
وما احوج المسلمين الى شيء من  
التضحية بجهد اللسان والقلم في  
سبيل الله ، وشيء من التضحية  
بالمال ، يفتحون به للاسلام طريقا بين  
الشعوب المختلفة التي تغزوها  
المسيحية واللاتينية .

اننا حين نذكر تضحية المهاجرين  
الاولين بأوطانهم مزارا لدينتهم ،  
واستعدادا لحمل رسالة الحق  
ونشرها في الاماق ، يجب ان تدفعنا  
هذه الذكرى الى ان نهيب نفوسنا  
للهجرة برسالة الاسلام الى من  
يجعلونها .

وحين نذكر تخليهم عن اموالهم في  
مكة يجب ان نقدر تلك التضحية  
ونتخذ منها درسا للبذل في سبيل  
عزتنا وعزة ديننا وانشاء مراكز  
اسلامية في اقطار الارض تحتضن  
التائبين بين ضلالات الديانات ،  
والضارين في مجاهل الدنيا ، لا

بذلك مركزا للاشباع الروحى ينبعث منها الى أرجاء الجزيرة ، ثم الى أَمَاق الأرض فى عهد الخلفاء ، واصبحت لهذا مثابة لطلاب العلم والمعرفة ينزحون اليها من الأقطار والحواسر والبوادر ثم يرجعون الى ذويهم . دعاء الى الخير موجبين الى الحق ، مجاهدين فى سبيله ، وبهذا صارت المدينة موطنًا للدعوة التى عزت فيها وبها ، كما صارت موطنًا حقيقيا لأصحاب الدعوة وحملتها رسالتها ، وقد نسوا جميعا أوطانهم التى شجوا بين مراميها ، حين لا تقوا فى المدينة أخوة انتسبهم أخوة الأرحام وأبوة انتسبهم أبوة الأملاب ، ولقوا بين وشائج العقيدة ما ربط أرواحهم بالمدينة التى عاشوا فيها حياة زاخرة بالسمو الروحى ، فى كشف دين تفاعلوا مع توجيهاته ودعوته .

.....

### « الدرس الرابع »

#### « تكوين البناء الاجتماعى للمسلمين »

لقد بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مكة الأسرة الإسلامية الصغيرة من الأحرار والمبيد من الرجال والنساء ، وقد تفانى أفرادها فى التعاون لخيرها ودرء الشر عن أعضائها ، ولا يغيب عن أحد عاطفة الأخوة الإسلامية التى حملت أبا بكر رضى الله عنه على أن يشتري بلالا من سيده بالثمن الذى غالى فى طلبه ، ليعتقه من الرق ، وينجيّه من سياط الاستعباد التى كانت تمزقه فوق بطاح مكة .

كما لا يغيب موقفه من قريش حين تكالب قسايتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت الله الحرام فأخذوا بخنائته حتى أحمرت عيناه ، وعندئذ فارت أخوة أبى بكر غير مكرنة بقوى الكفار ولا يبطشهم

صلى الله عليه وسلم الى تربية أصحابه ، و تهذيب طبائعهم وتأسيس نفوسهم بعثهم الى الأَمَاق مع السلاح أو وراء السلاح أو بلا سلاح ، روادا الى الخير ، يأبرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقفون بهم على ينابيع الحق التى تنفيس بها دعوة الإسلام . وهكذا كان الدرس الثانى من دروس الهجرة تربية المسلمين وتهيئتهم للرسالة العظيمة التى سيحملونها الى العالم .

وكان لهذه التربية أثرها فى بناء الأمة الإسلامية فى حياة الرسول وفى عهد الشيخين .

ومن هنا غيرت الهجرة مجرى تاريخ العرب الدينى والخلقى ، بل كان لها أثرها فيما بعد فى تغيير التاريخ الإنسانى فى بعض الأرجاء التى سطع فيها نور الإسلام . ولا يخالف أحدا شك فى أن قوة الأمة الإسلامية فى فجر حياتها كانت نتيجة للتربية الإسلامية الخالصة .

لما أحوج قادة المسلمين ورؤساءهم وكلهم يؤمن بأثر التربية فى البناء — الى أن يعنوا بتربية شعوبهم ، وتميق الأيمان بالحق والابداى ، فى النفوس ، قبل أن يخوضوا بشعوبهم بمعارك الحياة والمزة والكرامة . أن الانحرافات الملووسة بين صفوف القيادات ، وفى مراكز التوجيه تفرض على المسؤولين العناية بتربية النفوس ، وأعدادها لحمل الرسالات . وما أحوجنا الى مدرسة كمدسة محمد صلى الله عليه وسلم تنهل منها العقول والقلوب والأرواح خير زاد للمستقبل .

### « الدرس الثالث »

#### « وطن المسلم هو الوطن الذى يجد فيه العزة له ولدعوته »

لقد اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قاعدة لدعوة الإسلام بعد هجرته اليها ، فأصبحت

وصاح فيهم : « انتقلون رجلا أن يقول ربى الله » ؟  
ولما هاجر الرسول صلوات الله وسلامه عليه حرص على بناء المجتمع الاسلامى وتوطيد جوانبه ، فكان اول ما قام به لتدعيم بناء الوحدة الاسلامية هو ذلك التآخى الذى سبته ، فأخى بين المهاجرين والانصار وجعل لكل انصارى أخا من المسلمين المهاجرين يؤويه فى بيته ويطعمه من طعامه ويكسوه من كسائه ، ويتممهده بالرعاية ، وبذلك الاخاء نسى المهاجرون مرارة الاغتراب التى قد تعانيتها نفوسهم فى الوطن الجديد .

وظل المجتمع الاسلامى ينمو ، وتشد قواه وعراه رابطة العقيدة تحت رعاية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعناية خلفائه من بعده ، حتى أصبح عمر يرى انه مسئول امام الله والأمة عن كل فرد فى هذا المجتمع الكبير ، وكان لايمانه بحقوق الفرد على الخليفة وعلى الدولة اثره فى توطيد بناء الوحدة الاسلامية ، وله اثره كذلك فى تفانى الفرد فى العمل لخير الأمة . ولم يعرف ذلك البناء الاجتماعى روح الأثرة المخربة ، بل كثيرا ما كانت ثروات الأفراد تستغل لخير الكيان الاسلامى أو المعوزين من المسلمين ، ولا ننسى فى هذا الموطن تجهيز عثمان لجيش مصر ، وتصدقه بحمل ألف بعير على المسلمين فى عام الجذب ، وكم جيز غير عثمان الكثير من المجاهدين بالخيول والسلاح ، وأن لم يبلغوا مبلغه ، وكم ضحى بعض المسلمين بباله كله أو أكثره فى سبيل الله والأمة .

وكم صادر عمر كثيرا من أموال ولاته ووضعها ببيت مال المسلمين وكان يقول لهم : لم ابعثكم تجارا وانما بعثتكم هداة ومسلمين ولم يبرح عمر يسأل ولاته فى كل عام : من أين لكم هذا ؟ حتى لقي ربه .

أن تماسك البناء الاجتماعى بين السلم والحرب هو الذى تحطمت أمامه دساتير اليهود وتكسرت دونه قوى الفرس والروم ، فلم تفقه كثرة ولا عتاد أمام هدير القوى الاسلامية المتدفقة التى لم تسلم ظهورها الى الاعداء ، ولكن كان شعارها : تلقى الطعن فى النحور والصدر أكرم من تلقيه فى الأذبار والظهر » .

هذا هو السدرس الرابع من الدروس التى يجب أن ننتفع بها فى ذكرى الهجرة . فليتنا نذكره ونحسن نرى بناء مجتمعنا وقد أصبح كبيت المنكبوت تخفق الأرياح فيه ، وتلعب بخيوطه نفثات الضمءاء ، وتمتص فيه الأهواء .

أن مئات الملايين من المسلمين يمشون حيارى فى مقاهات الأهمس حين تسترجع خواطرهم ذكريات أولئك الحفاة وهى يقتحمون أيوان كسرى ، ويقبلون عرش القيصر ، ويجتاحون باياناتهم وتباسكهم خطوط القتال التى كانت تموج بكل فتاك من الحديد .

### « نداء ورجاء »

أن الهجرة خلقت فى العالم أمة صنعتها غفابة الله ، وربتها رعايته ، وهبات مشيئته لها وطنا جديدا عزت فيه ، وشدت مبادئ الحق بناء مجتمعها وانما لنضرع الى الله أن يعيدها على الوجود كما كانت أمة قوية البنيان يشد بعضها بعضا .

وإن أعنف جراح تستنزف قوى هذه الأمة هى جراح التفكك الاجتماعى والاحتلال الخلقى ، وطغيان الأثرة ، وسيطرة اعداء الله على مقاليد العالم ، فاضرع الى الله أن يجمع الأمة على الوحدة ، وأن يطهر قلوب الرعايا والرعاة من كل جرح يضعف كيانهم وسلطانهم لنعود الى الوجود خير أمة عرفها الوجود .

# ملحمة الهجرة

## خطة وتصميم

### للدكتور: صبيح الصالح

إذا استشفنا حجاب التاريخ الفينا فيه هجرة الرسول أبرز حادثة من حوادث الدهر . ولكي تكون كذلك — وهي حقاً كذلك — لا بد أن يكون لبطولة الرسول فيها أثر ، ولا بد بوجه عام من ربط عوامل نجاحها بشخصيته الكاملة وفكره الثابت وعقله الراجح ، نبهذا كله يسعنا أن نقول : أن تلك الهجرة كانت ملحمة خالدة ، بل اخلد الملاحم ، وأن بطلها هو النبي العظيم . لأنها قبل أن تختم بالنصر افتتحت بالاضطهاد والمذاب ، وكانت بين الفاتحة والخاتمة سلسلة من صور بطولية للنبي ، ومواطن شجاعته ، ومشاهد نضاله وجهاده .

ومن الناس من يقتنع في سذاجة عجيبة بأن ملحمة الهجرة لم تكن إلا وحياً من عند الله خالصاً . وأقل ما يعنيه هذا القول المدهش الغاء كل عمل شخصي للنبي الكريم في انجاح هجرته أو رسم خطته ، كأنه عليه الصلاة والسلام لم يستشعر قط ضرورة القيام بها والتفكير فيها ثم تنفيذها على الوجه الأكمل . ومثل هذا القول كان يقتضى بداهة أن يقدم الله للنبي الحبيب موعد هجرته انقذاً له من قومه الجفاة العتاة ، ومن أذاهم واضطهادهم له وسخريتهم به ، ولكن الله حين ترك نبيه البطل ثلاثة عشر عاماً في مكة يلقي صنوف المذاب ما ودعه وما قلاه ، وإنما أراد أن يذيقه حلاوة النصر بعد مرارة الصبر والمصابرة والكفاح والنضال ، حتى يفتح أعين الذين آمنوا على سنته في خلقه ، فلا يفتروا بانتسابهم إلى الاسلام من غير جهاد ، أو يستسلموا إلى الوهن وهم يحسبون أنهم على زينهم يتوكلون .

كان الجو في مكة قاتماً مكثراً في كل ناحية ، وكان كل شيء في مكة يدعو إلى اليأس ، ولكن النبي لم ييأس وما كان للنبي أن ييأس ، فإن عليه تبليغ ما أنزل إليه من ربه وأن لم يفعل فما بلغ رسالته ، والله يعصمه من الناس ، رأى عليه السلام من كفر قريش وكبرها وعنادها ما أكد له أنها لن تعرف طريق الإيمان ، وعرض نفسه على القبائل فزدته رداً غير جميل ، ولا سيما في الطائف التي لقي فيها أشد المذاب ، حتى لجأ إلى كربة يتقيأ ظلها ويبتهل إلى ربه بهذا الدعاء الضارع المستغيث : « اللهم أنت رب المستضعفين ، وأنت ربي ، إلى من تكلني ؟ إلى عدو يتجهمني أم إلى عدو ملكته أمري ؟ أن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي » فلم يكن بد — بعد هذا الجو المكثف المقيت — من أن يلتبس النبي الكريم للدعوة

جوا تستطيع التنفس فيه ، ولم يكن بد من أن يجد عليه السلام الجو الآمن الجديد الميثر بالخير في غير مكة التي نبت به وهي مسقط رأسه ويرى طفولته ومزدهر شبابه .

وفكر النبي السذى لا ينطق عن الهوى — أول ما فكر — بالمستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ، فأبرهم بالهجرة الى الحبشة ، لأن بها النجاشى الملك النصرانى الذى ( لا يظلم عنده أحد ) كما قال الرسول الكريم .

وحين أذن الله لنبيه بالهجرة أمره بتنفيذ الخطة التى ألهمه رسبها وتصميم مراحلها ، فلم تكن هجرته غرارا من الأذى وهربا من الاضطهاد ، اذ لو أراد ذلك لهاجر الى بلد بعيد كالحبشة مثلا ، بعد أن نصح أصحابه بالهجرة إليها ، ولكنه صلوات الله عليه كان المثل الأعلى للشدة فى الحق ، والثبات على البدا ، فظل يصبر ويصابر حتى تسنح الفرصة ويأذن الله ، فلم يتالم من عدوان سفيه ، بل كان يجد فيها يحسبه الناس ألما لذة سامية ، وكان سعيدا بالآله الفوادح ، لا يبالي ما دام الله معه يهديه ، ويسمع سره ونجواه ، ويكلؤه فى مثقله ومثواه . ولذلك حاول وهو فى مكة لما يفارقتها أن يضع خطة حكيمة يتابع تنفيذها طورا بعد طور واثقا من النجاح ، مطمئنا الى تأييد الله ، صابرا الصبر الجليل !

أن النبي عليه الصلاة والسلام ليعلم أن موسم الحج هو الملتقى الطبيعى للوافدين الى مكة من غير المكين ومن غير القبائل التى عرض نفسه عليها ودعاها الى دين الله . ويشاء الله أن تكون بداية الفرج خروج نفر من الخزرجيين الى مكة فى موسم الحج بعد وقعة بعثت المشؤومة التى قتل فيها مئات من الأوس والخزرج ، فلقى النبي هؤلاء الحبيج ودعاهم الى الاسلام فشرح الله صدورهم لدينه الحنيف .

ومع استدارة العام وحلول موسم الحج أتى مكة اثنا عشر رجلا من أهل المدينة ، فالتقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وبايعوه عند العقبة البيعة الأولى ، وأرسل معهم عليه السلام مصعب بن عمير يعلمهم القرآن ويفقههم فى الدين .

ولما جاءه فى العام القابل فى موسم الحج سنة ٦٢٢ م . خمسة وسبعون من أهل المدينة بينهم امرأتان ، بايعهم عليه السلام سرا فى جوف الليل على أن يبنعوه بما يبنعون منه نساءهم وأبناءهم ، واتخذت هذه البيعة الكبرى عند العقبة صورة الحلف أو الميثاق ، فقد قال الرسول الكريم للقوم يومذاك : « أنتم منى وأنا منكم ، أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم » ، واختار منهم اثنى عشر نقيسا يكونون على قومهم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لميسى بن مريم ، وهو عليه السلام كليل على قومه .

ولقد قال حينئذ البراء بن معرور سيد قومه ، وهو من الذين أسلموا بعد العقبة الأولى ، حملنا البيعة بلسان الجميع : « بايعنا يا رسول الله . فنحن والله أبناء الحروب وورثاها كائرا عن كابر » . واعترض أبو الهيثم بن التيهان يقول : « يا رسول الله ، ان بيننا وبين يهود المدينة عهودا نحن قاطعوها ، فهل عسيت أن قطعنا هذه اليهود ثم نصرك الله أن ترجع الى قومك وتدعنا ؟ » وأجاب النبي الصفى الوفى . « بل الدم الدم والهدم » .

ورغم ما أحيطت به بيعة العقبة الكبرى من سرية بالغة . ورغم اتهاهما في جوف الليل عند شعب العقبة في عزلة عن الناس . تسرب الى قريش نبأ هذه المعاهدة الخطيرة ، وأحسب قريشا قد أحسنت قبيل هذه البيعة بنشاط النبي في الدعوة ودأبه المتواصل لتبليغ الرسالة . فأرسلت بعض عيونها وجواسيسها يتابعون حركاته . إذ ما كاد الحلف يتم وما كاد الانصار يقسمون للنبي على تنفيذه نصا وروحا حتى سمعت قريش مفاديا يناديها بأنفذ صوت سيعتقه قط : يا اهل الجبابج ! يا اهل المنازل بنى : هل لكم في مخيم (١) والصباة الخارجين على دينهم معه قد اجتمعوا على حربكم ؟ وربما كان هذا المنادى يريد في آن واحد تخذير قريش وتثبيط عزائم الانصار . أما قريش فقد بلغ بها الحذر منتهاه حتى جاءت منازل الخزرجيين في شعب العقبة وأنشأ رجالها يعاتبون القوم قائلين : يا معشر الخزرج . نحن لا نريد حربكم . وما نكره أن نقاتل قوما كما نكره أن نقاتلكم ، فما بالكم تتابعون محمدا على حربنا وتخرجونه من بين أظهرنا ؟

ولما ايقنت قريش أن هذا الحلف قد تم حقا . وأن الانصار سينفذونه فعلا . خرجت تطلب من قدرت عليه منهم فلم تظفر الا بسعد بن عباد بأذخر قريبا من مكة . فربطوا يديه الى عنقه بجلد رحله . وجروه من شعره ، وردوه الى مكة وظلوا يعذبونه حتى أجاره حليفان له في الجاهلية جبير بن مطعم والحارث بن أمية .

وأما الانصار فما ازدادوا الا ايمانا وتسلية حتى قال العباس بن عباد للنبي : « والله الذي بعثك بالحق . ان شئت لتميلن على اهل منى غدا بأسيا فانا ! » ولكن القائد الحكيم عليه السلام اجاب : « لم نؤمر بذلك . فارجعوا الى رحالكم » .

وبينما كانت قريش تفكر بالقضاء على حركة الانصار في مهدها . وتفكر في حماية أسنانها وعبادها . وفي الإبقاء على سيادتها وزعامتها . أقدم النبي صلى الله عليه وسلم ببراعة وحكمة على عمل سياسي عظيم . فأمر أصحابه بالهجرة الى المدينة فرادى أو نفرا قليلا ، فسوف يجدون النصر والتأييد في يثرب أو سها وخزرجها بين قوم يؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة . وخافت قريش من هجرة المؤمنين الى المدينة . ففرقت بين المرء وزوجه ومنعت الزوجة القرشية من المسير الى يثرب مع زوجها المؤمن . ونكلوا أشد النكيل بكل من أصابوه بمنزلة الهجرة والرحيل .

وظل النبي البطل الشجاع في مكة دؤوبا على الدعوة الى الاسلام . وقال لصاحبه أبي بكر حين استأذنه بالهجرة : « لا تمجل لعل الله يجعل لك صاحبا » . وفي رواية أخرى (لم يؤذن لي) وكأنه كان ينتظر الفرصة الساتحة التي يلهمه الله انها ملائمة لتنفيذ خطته الحكيمة البراعة !

ومن يتتبع السيرة النبوية المطهرة بعمق ودقة يوقن بأن الدوافع النفسية التي كانت تحمّل الرسول الكريم على اختيار المدينة مهاجرا له تكاد تقطع بأن عمله الشخصى في رسم خطة الهجرة لم يكن خفيلاً ، فقد كانت للرسول في المدينة علاقة قري . ففيها أحوال جده عبد المطلب من بنى النجار . وفيها قبر أبيه عبد الله بن عبد المطلب . وفي السادسة من عمره زار النبي عليه السلام مع أمه أمة بنت وهب قبر أبيه . ومرضت أمه في الطريق فماتت ودفنت بالأبواء في

(١) لم يقل المنادى « محمد » عكسها فقال « مخيم » بغيا من نفسه اثره للقوم .



منتصف الطريق بين مكة والمدينة . ومن المعلوم ان النبي عليه السلام كان اول الامر يتجه في صلاته الى ناحية المدينة جاعلا قبلته المسجد الاقصى ببית المقدس مقام النبيين . فهل يلغى الدارس هذه الدواعي كلها ولا يرى فيها شيئا مذكورا ؟ .

على أن وضع النبي عليه السلام خطة الهجرة لا ينبغي أن يتعارض مع تأييد الله له فيها بالوحي . فان كلا من الامرين يتم الآخر ، وينسجم معه بدلا من أن يناقضه : اذ المعروف عن الرسول الكريم في جميع مراحل حياته أنه قد امتاز بمضاء العزيمية ، وعلو الهمة ، والكفاح الدائب ، والثبات على البدا ، والثقة بالنجاح ، وما كان يستمد هذه الخصال كلها الا من اطمئنائه الى الله حتى ذهب مذهب الامثال قوله لعمري ابي طالب : « والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والتمر في يساري على أن اترك هذا الامر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه » .

وحين اوى النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبو بكر الى غار ثور ، وقفا المشركون آثارهما : قال أبو بكر في جزع شديد : لو نظر أحدهم تحت قدميه لرأى أنهمس النبي الشجاع في أذن صاحبه همسته الخالدة : « ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما ؟ يا أبا بكر ، لا تحزن ان الله معنا » ولذلك عد الله نجاح نبيه في هجرته نصرا ربانيا أيده . فقل في سورة التوبة : « إلا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانی اثنين اذ هما في الفار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم نروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم » وصرح في سورة الانفال بأن الله هو الذي مكر بالقوم الذين مكروا برسوله ، فقال : « واذا يكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك . ويمكرون ويمكر الله ، والله خير الماكرين » .

ليس من الخطأ اذا ان نقول : ان الله ايد بالوحي محمدا في الهجرة ونفخ فيه من روحه حتى نصره وانجده . فلا ريب ان هذا التأييد قد وقع ، ولم يكن بد من أن يقع تكريما من الله لنبيه وتثبيتا لفؤاده . ولكن الخطأ في قول من يقول : ان هذه الحادثة الكبرى كانت وحيا من الله خالصا . كما ان الخطأ في قول من يزعم ان النبي انفراد برسم خطته . وأنه انتصر بمحض قدرته الشخصية وارادته . فالحق ان احدا من البشر مهما تبلغ مقدرته وحكمته وارادته لا ينفرد بشيء . والنبي الكريم لم يكن بدعا من البشر . ولا بدعا من الرسل . ولكم قصر الله على نبيه قمص الانبياء السابقين : « مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه : متى نصر الله ؟ الا ان نصر الله قريب » .

وعلى هذا الاساس . يمكن الجمع بين الامرين : فقد قام النبي البطل الشجاع القدام بالهجرة . تبعا لخطة وضعها واحكمها ثم نفذها . وقد استمد عناصر النجاح من تأييد الله له ونصره . وانتظر الاذن الرباني بالشروع فيها واتبناها على ما يرضى الله . وهكذا تجلت في ملحمة الهجرة مشاهد البطولة النبوية التي ما عرفت الايام ولن تعرف لها نظيرا .

وعلى هذا الاساس ايضا يمكننا ان نعالج آثار النكسة التي اصابته العرب والمسلمين في الصميم . فعلينا اليوم ان نحصر طائفتنا كلها في مواصلة النضال . متوكلين على الله رب العالمين . واثقين ان النصر من عنده وحده . وهو العزيز الحكيم .

# رحلة إلى

# طيبة

للشيخ: حمد الجاسر

قام الاستاذ المحقق العلامة الشيخ حمد الجاسر صاحب مجلة ( العرب )  
وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة والمجمع العلمي بدمشق برحلة إلى المدينة  
يحقق فيها الطريق الذي سلكه الرسول صلى الله عليه وسلم في هجرته . ونغز  
هذا التحقيق في مجلة ( العرب ) . . .

وقد رأينا نظرا لأهميته أن نشاذن الأستاذ الفاضل في تقديمه لقراء ( الوعي  
الإسلامي ) ، فاذن مشكوراً .

وفي الممد القادم ننشر البقية إن شاء الله .

الغاية من الحديث عن هذه الرحلة ، تكاد تنحصر في جانب واحد ، هو  
أن كثيراً من مواضع بلادنا لا يزال محتفظاً باسمه القديم الذي نقرأ في كتب  
التاريخ والرحلات وفي شعر الشعراء المتقدمين .  
وقد خطر لي - أثناء تعليلي على القسم المتعلق بتحديد الامكنة من كتاب  
اللغوى المعروف مجد الدين الفيروز آبادي عن تاريخ المدينة النبوية المسمى  
« المفان المطاية من معالم طاية » - خطر لي القيام بزيارة البلدة الطيبة ، لعلني  
استطيع أن أحدد بعض الأماكن القريبة منها مما ذكره الفيروز آبادي أو التابعة  
لها على ما جاء في كتابه تحديداً صحيحاً .  
وكننت ضعيف الأمل في الإهداء إلى معرفة تحديد كثير من الامكنة لتغير  
الاسماء وانتطاع تدوين تحديدها منذ أمد بعيد .  
وقلت في نفسي لتكن تجربة ، أقوم بها متتبعا طريق هجرة المصطفى  
صلى الله عليه وسلم اذ العلباء أولوا آثاره عليه الصلاة والسلام ، غفلة  
غافقت كل غفلة .

وكان أن رجعت الى اقدم المؤرخين الذين حددوا معالم ذلك الطريق .  
واقدم من استطعت الحصول على تحديده ، هو ابن هشام مختصر سيرة ابن  
اسحاق ، ثم ابن جرير من بعده ، فنقلت أسماء المواضع التي ذكرها هذان  
العالمان من كتابيهما المعروفين .

ووجدت من كرم أخى الأستاذ أبى الخضر عبد الرحمن الشيبانى ، ما يسر  
لى وهيا كل وسيلة لتحقيق أربى ، فكان أن قمت بتلك الرحلة القصيرة السى  
المدينة ، وأن لم تكن كاملة من كل ناحية ، الا أنها بعنت فى نفسى آمالا طيبة ،  
وكان لها من الآثار الحسنة ما ملأت فؤادى تفاؤلا بأن كثيرا من معالم تاريخنا ،  
وما يتعلق بتحديد المواضع الاثرية فى تاريخنا لا يزال سهلا ميسورا .

للمدينة المنورة من مكة طرق كثيرة أشهرها ثلاثة :

١ - الطريق الساحلية التى تسير بمحاذاة ساحل البحر الاحمر -  
بحر القلزم - حتى تحاذى بلدة ( بدر ) التى كانت فى السابق إحدى المحطات  
الرئيسية لطرق القوافل فى غربى الجزيرة الى الشام والتى حدثت فيها الواقعة  
العظيمة التى انتصر فيها الاسلام أعظم انتصار فى عهد الرسول عليه الصلاة  
والسلام .

ومن بدر يتجه المرء الى المدينة ذات اليمين ، سائرا مع واديه الذى أعلاه  
( وادى الصفراء ) حيث تجتمع أودية كثيرة تنحدر من السلسلة الجبلية  
جنوب المدينة - وسياتى الحديث عنها - ثم يسلك المرء أحد تلك الأودية متجها  
صوب الشمال ، حتى ينتهى منحدرها فى واد آخر ويقضى به الطريق بعد ذلك  
الى وادى المعيقى مدخل المدينة المنورة .

٢ - الطريق النجدية وهو طريق يتجه من مكة مشرقا حتى يقطع سلسلة  
جبال الحجاز ثم يسير منحرفا نحو الشمال بمحاذاة تلك السلسلة الجبلية مارا  
بأودية كثيرة ومخترا قسما من بلاد هذيل ، ثم بلاد بنى سليم وطسرا من بلاد  
مزينة ، ثم يأتى الى المدينة من الناحية الشرقية ، وهذا الطريق كان مسلوكا  
الى عهد قريب ، وقد كان للعمل فى معدن بنى سليم - الذى يمر ذلك الطريق  
بقربه فى الأزمنة الأخيرة - كان للعمل فى ذلك المعدن من الأثر ما أحيا هذا  
الطريق ، وأصلح كثيرا من المواضع التى تحتاج الى اصلاح وتقع محطات له  
أو قرية منه .

٣ - الطريق الأوسط الذى يعتبر الطريق الرئيسى الى المدينة من  
مكة ، وهذا يمر بكثير من الأودية ويعترضه عقبات ، وأمكنة وعرة ، وكانت  
قوافل الحجاج والزوار فى العصور القديمة تسلك هذا الطريق ، وقبل عشر  
سنوات أصلح بعضه حتى صار طريقا للسيارات ، ومن أشهر العقبات التى  
تقع فى هذا الطريق : عقبة ( هرثا ) وقد عبدت قديما لسلوك القوافل ثم  
سهلت لمرور السيارات .

ويجتمع هذا الطريق مع طريق الساحل فى محطة تعرف قديما باسم  
( المنصرف ) وحديثا باسم ( المسيجيد ) قرية كبيرة الآن .

وهناك طرق فرعية أخرى ، الا أن فيها كثيرا من الوعورة بحيث  
لا تجتازها الا ببل الا بمشقة كطريق ( النابر ) الذى يتجه الى المدينة قبل محطة  
( المسيجيد ) بما يقارب مرحلة يسير الأبل .

ولحسن الحظ فإن هذا الطريق على وعورته ومروره في أودية رملية وفلاخ صخرية ، فإنه لا يزال يسلك حتى عهدنا الحاضر ، لأن الزوار في شهر رجب يسلكونه لاختصاره ولكونه هو الطريق القديم وأكثر من يسلكه راكبو ( الحمير ) الذين يسبرون في موكب معروف في شهر رجب من مكة ، ويجوزون ثنية الغائر ، مشاة أو ركباتا فوق دوابهم فيصلون إلى قمة السلسلة الجبلية الواقعة بقرب المدينة ثم ينزلون مع وادي ( ريم ) إلى وادي العقيق في المدينة .

ومما ينبغي الانتباه له ، أن بعض المتقدمين قد يحددون جبلا أو موقعا بأنه على الطريق بين مكة أو في شمال الطريق أو يمينه . وإذا لم يكن لدى الباحث العام بمعرفة تلك الطرق وتعددتها ، قد يقع في أخطاء من هذه الفاحية .

ومثال ذلك ما ذكره بعضهم من أن جبل « غير » — وهو جبل عظيم لا يزال معروفا ومشاهدا بقرب المدينة يقع على يمين طريق التوجه من المدينة إلى مكة ، وهذا الكلام حق بالنسبة لمن سلك طريق « ريم » ونزل من ثنية « الغائر » ولكن من أتى مع الطريق الأوسط مارا بالسلسلة ليلال فالفرش ، يدعه عن يمينه إذا اتجه إلى المدينة ، وعلى يساره إذا اتجه إلى مكة .

وملاحظة أخرى ينبغي إدراكها : هي أن الاسم قد يطلق على عدة مواضع . وكثير من المتقدمين لا يفرقون بين تلك المواضع ، فيوردون تعاريفها وما قيل في تحديدها . عند الكلام على أحدها يقع الالتباس ، ويقع التضارب عند المتقدمين عندما يحاولون تحديد موضع من المواضع ، إذ يعتمد أحدهم على قول ، ويعتمد الآخر على قول ثان يخالفه في ظاهر الأمر ، وقد يكون في الواقع منطبقا على موضع آخر ، بعيد عن الموضع المقصود . وأمثلة ذلك كثيرة فمما بين أيدينا من معجمات الإمثلة ، وكتب التاريخ والرحلات ، التي حاول مؤلفوها إيراد ما جاء عن المتقدمين في تحديد بعض الإمثلة التي يتعرضون لذكرها .

ولقد سلك رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما هاجر إلى المدينة طريقا غير الطريق الذي اعتاده الناس في ذلك العهد يسلكونه . يقول السبيلي — في الروض — ، حاكيا عن دليلهما : مكنت أخذ بهم في أخفاء الطريق . ولفقه هذا أنهم كانوا خائفين ، فلذلك كان يأخذ بهم أخفاء الطريق وسخاؤه . ١ هـ .

وعندما خرج هو وصاحبه الصديق رضي الله عنه ، أخذهما دليلهما فسلك بهما أسفل مكة ، ثم مضى على الساحل ، حتى غارض الطريق أسفل ( عسفان ) ثم سلك بهما على أمج ، ثم جاز بهما ، تاركا الطريق على يمينه ، وقد فعل ذلك خوفا من ترصد قريش للرسول صلى الله عليه وسلم .

وإذا أردنا أن نبحث عن تحديد المواضع التي فكرها ابن هشام وغيره فإنها تبدو بهذا الترتيب :

١ — أسفل ( عسفان ) معروف وهو أسفل الوادي عندما يصب في البحر بقرب ( ذهبان ) الذي يبعد عن جدة ( ٥٠ ) كيلا .

٢ - أمج ، وأمج هو أسفل وادي ( سلية ) الوادي الذي يقع في أسفل ( خلوص ) .

وتدحدد المتقدمون المسافة بين ( عين خلوص ) وبين أمج ، بميلين ، أي أن العين بعد أمج للمتوجه إلى المدينة ، وهذا الوادي يجتمع مع وادي ( غزان ) فيكونان واديا واحدا يغيض في البحر فيما بين ( ذهبان ) ( وثول ) .

٣ - قديد : واد طويل ، ويظهر أن طريق الرسول صلى الله عليه وسلم كان على أسفل الوادي ، لأن ابن هشام وغيره فكر أن الدليل سلك بهما الخرار بعد قديد .

٤ - والخرار على ما ذكر المتقدمون قريب من ( الجحفة ) وبعضهم يعبه فيها و ( الجحفة ) لا تزال معروفة ، مكان الدليل جاز وادي ( الستارة ) وهو أسفل ( قديد ) ويصب في البحر فيما بين ( القطبية ) و ( ثول ) ثم سار قريبا من الساحل حتى جاز ( الخرار ) ثم أخذ ثنية تدعى ( ثنية المرة ) .

٥ - وثنية المرة لم أجد من يعرفها ولكن يوجد بجهة ( كلية ) فيما بينها وبين ( رابع ) ثنية يسلكها المتوجه إلى ( كلية ) والمتقدمون يقولون : عن ثنية المرة أنها قريبة من ماء يدهى ( الأحياء ) وأنه في وادي ( رابع ) .

٦ - ويسوق المتقدمون خبر الطريق فيذكرون أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعد ( ثنية المرة ) سلك ( لقفا ) .

ولقف هذا واد لا يزال معروفا ، وهو من روافد ( وادي النخل ) يقع بين وادي ( الفرع ) ووادي ( مجاح ) ويغيض في وادي النخل عند محطة ( بئر رضوان ) التي تبعد عن ( بئر مبيريك ) مسافة تقرب من ( ٣٠ ) كيلا من جهة مطلع الشمس .

ووادي النخل يصب في ( القاحة ) عند ( بئر مبيريك ) ووادي ( القاحة ) يصب في وادي ( الإبواء ) وقول ابن هشام : أن ( لقفا ) يقال له ( لفت ) واستشهاده بشعر معقل بن خويلد الهذلي على ذلك ، يظهر أنه تصحيف فابن اسحق أعرف منه بتلك المواضع لقدهم ولقائمه في المدينة . وقد سماه ( لقفا ) .

ويظهر من سياق الخبر أن الرسول صلى الله عليه وسلم ترك طريق ثنية ( هرشا ) يسارة إذ هو الطريق المعروف وأنه نزل من ( مدجلة لقف ) .

٧ - و ( مدجلة لقف ) تلة كبيرة ، تصب في وادي ( لقف ) تبعد عن ( بئر رضوان ) مسافة ١٠ أكيال إذا سئدت في وادي ( لقف ) تغيض فيه من جهة الشمال .

٨ - وفي الخبر : ثم استبطن بهما ( مدجلة مجاح ) .

و ( مدجلة مجاح ) رافد من روافده لا يزال معروفا .

٩ - أما ( مجاح ) فقد ورد بصيغ مختلفة ( محساج ) و ( مجاج ) و ( مجاح ) والاخيرة هي الصواب ، وقد لاحظ هذا السهيلي حيث قال : وقد ألقيت شامد الرواية ابن أسحق في ( لقف ) وفيه ذكر ( مجاح ) بالحاء المهملة بعد الجيم ، وهو قول محمد بن مروة بن الزبير :

لعم الله بطن لقف ، مسيلا و ( مجاحا ) وما أحب ( مجاحا ) !!  
لقيت ناقتي به ، وب ( لقف ) بلدا مجديا ، وأرضا شحاحا !

ان وادي ( مجاح ) لا يزال معروفا ، وهو من فروع وادي النخل ، يصب فيه قبل اجتماعه بوادي ( القاحه ) ، بما يقرب من ٥ اكيال قبل ( بئر مبيريك ) .

١٠ - وورد في الخبر ( مدلجة مجاح ) .

وهي رائد من روافده ، ولا يزال معروفا ومدلجة ( لقف ) ومدلجة ( مجاح ) يتقاربان حتى يلتقيان .

١١ - ثم سلك بهما ( مرجح مجاح ) .

( مرجح ) رائد من روافد ( مجاح ) مقابل لمدلجة مجاح ، يصب فيه :  
وقد ورد في كتاب البلدان لنصر بن عبد الرحمن الاسكندري مصحفا :  
( مدجح ) بضم الميم ، وفتح الدال وتشديد الجيم الاولى وكسرها - والصواب :  
بفتح الميم وسكون الراء ، وجيم مكسورة ، بعدها حاء مهملة .

١٢ - وجاء في الخبر : ثم تبطن بهما مرجح من ذى الفضوين : قال ابن هشام : ويقال ( الفضوين ) ، وأقول : المعروف الآن عند أهل الجهة ( المصوين ) بالمعين والصاد المهملتين ، تثنية عصا ، وهما تلعتان كبيرتان ، كل واحدة منهما تسمى ( العصا ) تلعتان ، ثم تصبان في وادي ( مجاح ) بقرب اجتماعه بوادي النخل . وأرى أن الفضوين أو الفضوين تصحيف .

١٣ - ثم بطن ( ذى كثر ) .

يعرف هذا الموضع الآن باسم ( أم كشد ) بكاف مكسورة ، وشين معجمة ساكنة ، ودال مهملة ، لا كما جاء في ( سيرة ابن هشام ) وفي ( معجم البلدان ) ( وأم كشد ) هذه تلمة تصب في وادي يدعى ( ثقيب ) وهو واد يجتمع مع وادي ( القاحه ) بعد ان يتجه المراء من ( بئر مبيريك ) الى جهة المدينة ، بما يقرب من ١٥ كيلا .

فكان طريق الرسول صلى الله عليه وسلم ترك وادي ( القاحه ) يسارا في هذه الجهة ، ثم التقى بهذا الوادي فيما بعد .

١٤ - وفي الخبر : ثم أخذ بهما على ( جداجد ) وهو واد صغير من روافد وادي ( ثقيب ) .

١٥ - وورد في الخبر فكر ( الاجرد ) و ( ذى سلم ) .

والاجرد يسمى الآن ( أجرد ) بالتصغير ( وذا سلم ) يسمى ( أم السلمة ) .

بعد أن يقطع المسافر ما يقرب من ثمانية أكيل سائرا في وادي (ثقيب) يصل إلى موضع يدعى (البستان) مسكون ، ومنه طريق إلى (الفرع) حيث اتجاه أعلى (ثقيب) وعلى بعد أقل من كيل واحد تقع (أم كشد) وهي واد . (اجيرد) على الشمال منها و (أم السلية) تلة كبيرة تصيب في (اجيرد) وكلها تصب في (ثقيب) ثم يسير الطريق المتجه إلى (القاحة) تاركا (اجيرد) على يمينه ، جازعا أعلاه ، وبعد أن يتركه ينحدر في تلة تصب في وادي (القاحة) حيث يرجع الطريق إليها مرة أخرى .

١٦ - وورد في الخبر أسماء منها (تمن) و (أعداء) .

أما (تمن) فانها واد كبير يصب في (القاحة) عند المحطة المعروفة الآن باسم (أم البرك) وتديها باسم (السقيا) - كما سيأتي الحديث عن مراحل الطريق العام .

والغريب أن أهل تلك الجهة ينطقون هذا الاسم (تمن) بفتح التاء بإمالة نحو الكسر ، وكسر العين بالهاء المشددة المكسورة بعدها نون .

١٧ - وذكر ابن هشام في سياق خبر الهجرة بعد أعداء مدجة تمن قال : ثم العبابيد ، قال ابن هشام : ويقال : العبابيب ، ويقال : العبيانة ، يريد العبابيب .

لم أجد أحدا يعرف شيئا عن هذا الموضع الذي ذكر له ابن هشام ثلاثة أسماء ، مع أن من قابلتهم لم يكونوا من أهل الموضع الذي يقع بعد (تمن) ذلك أنني مررت بتلك الناحية ليلا ، فلم أصادف أحدا من أهلها . ولعل أخى الأستاذ سليمان سليم مدير التعليم في تلك النواحي يكرم - وهو كريم - لمحقق للقراء هذا الموضع وغيره مما تقدم أو سيأتي ذكره ، فالمر والذى من غير أهل البلاد يفوته الشيء الكثير .

١٨ - قال ابن هشام : (ثم أجاز بهما القاحة) - ويقال القاحة فيما قال ابن هشام) .

وقول ابن هشام هنا هو الصواب ، فالقاحة بالقاف ثم الحاء المهملة المفتوحة بعدها هاء ، واد عظيم يفيض فيه في أعلاه وادي (تمن) والسالك مع هذا الطريق بعد (تمن) يجوزه ، بقرب ما يدعى الآن (أم البرك) جمع بركة وهي قرية كانت كبيرة ، إلا أنها ضعفت الآن ، وكانت تدعى قديما (السقيا) بالسعين المهملة المشددة المضمومة بعد كاف ساكنة غياة مفتاة تحته مفتوحة معدودة ، وهي سقيا بنى غفار قبيلة معروفة قديما كانت من مساكنها في القديم ، وأعلى (السقيا) تبتدىء من مكان يبعد عن (أم البرك) بما يقارب ٤٥ كيلا بعد أم البرك للمتوجه إلى المدينة ، عند محل يدعى (الرصفة) وهو جبل منحوت قديما لسلوك المسافرين أرضه مرصوفة .

ويمتد وادي (القاحة) من هذا المكان متجها صوب الجنوب ، حتى يفيض في وادي (الابواء) وتجنح به أودية كثيرة من أشهرها وادي (ثقيب) ووادي (النخل) الذي يفيض فيه سيل واديين (مجاج) و (لقف) وأودية أخرى كثيرة تقدم ذكر بعضها .

١٩ - وقال ابن هشام : ثم هبط بهما (المرج) . والمرج على ما فكر المتقدمون يبعد عن أول وادي (القاحة) بما يقارب ثلاثة عشر ميلا .

ولعله هو أعلى ما يسمى الآن وادى ( الجى ) بجيم مكسورة بعدها ياء مشددة ، وهو يبعد عن أعلى وادى ( القاحه ) بما يقارب الميل الواحد . هذا أعلاه ، فكان طريق الرسول صلى الله عليه وسلم جزعه من اثقائه .

ووادى ( الجى ) ليس له ذكر عند المتقدمين فهم لا يذكرون الا ( موضع الجى ) ويقولون انه منازل فيه بثران ، عذبتا الماء ، وأنه فى سفح جبل ، وان ورتان الجبل العظيم المعروف ينتهى عنده ، ويحددون المسافة بينه وبين ( عقبة العرج ) بأقل من عشرة أميال . ويقولون بان عقبة العرج بين جبلى ( قدس ) و ( ورتان ) وهذا الوصف ينطبق على أعلى وادى ( الجى ) فكان اسم ( الجى ) غلب على وادى العرج لوقوع الجى فى أعلاه .

أما ( قدس ) هذا فكان من أشهر الجبال القديمة وأعرافها . ويسمونه الآن ( اقدس ) بهزة مكسورة بعدها دال سنكتة : فقلق فسين ، تحريف للاسم القديم .

من أول وادى الجى تتجه سيول الطريق مغربة حيث تجتمع كل الودية الواقعة دون المدينة عن يسار جبل ورتان . وهى السلسلة الجبلية الممتدة من نهاية وادى الجى الى نهاية وادى ( الروحاء ) مما يسيل من هذه السلسلة وغيرها فتكون أودية عظيمة تجتمع بهذا الوادى المسى الآن بوادى الجى ثم يجتمع معها وادى الروحا ، ووادى ( النازية ) بتخفيف الياء ووادى ( وحقان ) وتفيض كلها بوادى الصفراء ثم تتجه صوب البحر غربا حتى تصب فيه جنوب ( مستورة ) موضع ( ودان ) القديم .

لقد ترك الرسول صلى الله عليه وسلم كل هذه المواضع بيساره وعدل عن الطريق المعروف وسلك ثنية الفائر .

٢٠ - وجاء فى السير من رواية ابن هشام وغيره ان الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن هبط العرج ، خرج منه ، فسلك ثنية العائر عن يمين ركوبه ، ويقال ( الفائر ) .

والعائر بالعين المهملة تصحيف صوابه الفائر بالعين المعجمة وهى ثنية لا تزال معروفة ، ويسلكها الذين يذهبون للزيارة قديما مشاة أو على الدواب ، وهى ثنية صعبة السلوك ، وغير معبدة فى الوقت الحاضر ، ولا تسلكها الا ليل الا بجهد ومشقة .

وعنها رغبت المرور بها ، لم أجد فى تلك النسخة احدا يرشدنى الى الطريق ، وقيل لى ، ان الايل - فى هذا العام لتوالى الجذب - هزيلة ومن الأيسر ان انزل معنا نزولا من جهة المدينة .

٢١ - وقال ابن هشام بعد ذكر ثنية الفائر : ( حتى هبط بهما بطن رثم ) .

ورثم هذا وهو ينطق الآن بتسهيل الهمة ( ريم ) ب - وهو واد من روافد وادى حقيق المدينة - لا يزال معروفا .



# أثر الإسلام في إحراز النصر

اللواء: محمود شيت خطاب

- ١ -

حارب النبي صلى الله عليه وسلم في غزواته العرب المشركين وانتصر عليهم ، فلم يلتحق بالرفيق الأعلى الا وكانت شبه الجزيرة العربية موحدة تحت لواء الاسلام .

كان جنود النبي صلى الله عليه وسلم من العرب المسلمين ، قليلي العدد ، فقراء بالسلاح والقضايا الادارية .

وكان اعداء الاسلام من العرب المشركين ، كثيرى العدد ، اغنياء بالسلاح والقضايا الادارية .

كان التفوق العددي والعددي مع العرب المشركين على العرب المسلمين ، ولكن الفئة القليلة من العرب المسلمين ، غلبت الفئة الكثيرة من العرب غير المسلمين باذن الله .

وفي ايام الفتح الاسلامي العظيم ، حارب العرب المسلمون الفساسنة في معركة ( اليرموك ) الحاسمة التي فتحت ابواب ارض الشام للمسلمين ، وحاربوا المناذرة في معركة ( القادسية ) الحاسمة التي فتحت ابواب ارض العراق للمسلمين ، وكان الفساسنة والمناذرة من العرب الاقحاح ، وكانوا ارق مدنية واكثر حضارة ، واغنى مالا وسلاحا ، واعرف بأساليب القتال ، واقرّب الى قواعدهم من أولئك العرب المسلمين القادمين من قلب الجزيرة العربية .

وانتصر العرب المسلمون على العرب غير المسلمين ، وعلى غير العرب من اليهود والروم والفرس والبربر في ايام الفتح الاسلامي العظيم ، لا لانهم عرب وكفى ، بل لانهم عرب مسلمون .

لقد كان انتصار العرب المسلمين في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وفي ايام الفتح الاسلامي العظيم انتصار عقيدة لا مرأى .  
لما اثر العقيدة الاسلامية في احراز النصر ؟

كان العرب في الجاهلية متخلفين سياسيا واجتماعيا واقتصاديا وعسكريا ، فرجع الاسلام مكانتهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية .

كان الفرس والروم سادتهم ، وحتى الاحباش كانت لهم صولة وجولة ومكانة في اليمن ، فاصبح العرب بالاسلام سادة الفرس والروم والاحباش والبربر وسادة امم اخرى لا تعد ولا تحصى من الصين شرقا الى قلب فرنسا غربا ، ومن سيبيريا شمالا الى المحيط الهندي جنوبا .

وكان العرب اقل حضارة ومدنية من الفرس والروم خاصة ، فاصبحوا بعد الاسلام قادة الحضارة المالية ورواد المدنية في الدنيا . وكانوا فقراء معدمين يسكنون الخيام في الصحراء ، فاصبحوا بعد الاسلام اغنياء مترفين يسكنون القصور والبيوت في الحواضر على ضفاف الانهار .

وكانوا من الناحية العسكرية لا يطعمون ان يحموا ارضهم من الفرس والروم وحتى من الاحباش ، فاصبحوا بعد الاسلام لا يطمع احد في حيازة ارضه من قوتهم القاهرة التي ملأت الارض سباحة وعدلا . اذن كان للاسلام اثر اى اثر على العرب ، بذلهم من حال الى حال ، وجعل منهم امة لها مكانتها ولها اعتبارها ولها تأثيرها على سير الاحداث الكبرى ، ولها كلمتها المسموعة بين الامم .

ولعل الباحثين المنصفين من المسلمين وغير المسلمين ، يستطيعون ان يقولوا كثيرا عن اثر الاسلام في النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية في العرب .

ولكنني سأقتصر هنا : على اثر الاسلام في العرب من الناحية العسكرية فقط : مذكرا ان العرب لو لم ينتصروا في الحروب ، ولو تفرقوا راياتهم شرقا وغربا ، لما كانت لهم مكانة بين الامم في النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، لذلك يمكن القول بان اثر الاسلام عسكريا على العرب هو الاساس الاول لمكانتهم السامية بين الامم ، ذلك لان الدول لا تحترم غير الاقوياء ، وان القوى وحده هو الذي يستطيع ان يؤثر في سير الاحداث العالمية ، سواء اكان هذا التأثير هدفا للخير للعالم ، ام هدفا للشر والخراب والدمار .

كان في العرب ايام الجاهلية مزايا متميزة : الذكاء الفطري ، وحب الحرية والمساواة ، والشجاعة والاقدام ، والكرم والسخاء ، فعمل الاسلام على تطوير هذه المزايا وصقلها واثباتها ، ونجح في مسعاها اعظم النجاح .

وكان في العرب ايام الجاهلية صفات رذيلة : تسرق كلمتهم ، وفقدان الضبط والنظام بينهم ، وعبادة الاوثان والاصنام ، وسيطرة روح القبيلة عليهم ، فعمل الاسلام على محاربتها والقضاء عليها ، وانتصر عليها انتصارا باهرا . وصدق الله العظيم : ( وانكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فآلف بين قلوبكم ، فاصبحتم بتعبته اخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها ) ( ١٠٣ - آل عمران ) .

وكان العرب قبل الاسلام ، ماهرين فى حروب العصابات ، وفى استعمال السلاح ، وفى الفروسية ، وكانت لهم قابلية عظيمة على الحركة من مكان الى آخر بسهولة ويسر ، وبأقل وقت ممكن ، وأقل تكاليف ادارية ، ولكنهم كانوا متفرقين ، بأسهم بينهم شديد :

واحيانا على بكر أخينسا اذا ما لم تجد الا اخوانا

لهذا كانت خبرتهم الحربية وشجاعتهم الفطرية ، تذهب مبثا فى المناوشات المحلية بين القبائل .

فلما جاء الاسلام ، وحد عقائدهم ، ووجد أممالهم ، ووجد صفوفهم ، ونظمهم وفرس فيهم روح الضبط والطاعة ، وظهر نفوسهم ، ونقى أرواحهم ، وخلق فيهم انسجاما ماديا ومعنويا فأصبحت — لذلك كله وبذلك كله — قوتهم البمثرة ، وجهودهم المضاعفة ، تعمل بنظام وضبط ، بقيادة واحدة ، لهدف واحد ، وأصبح المؤمنون فى مشارق الأرض ومغاربها أخوة ، يتحابون بنور الله بينهم ، وهم أمة واحدة ، تحيتها السلام ، ودينها الاسلام .

لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يؤم الفين فى عمرة القضاء ، ومائة ألف فى حجة الوداع ، يسيرون كلهم فى نظام أدق نظام : هرولة ، ومشيا ، واستلاما للركن والحجر الاسود — هذا النظام المتصل بروح الاسلام ، سبب من أسباب القوة ، بل هو مصدرها ، وملكها ، وهذه الامة يقوم بها رجل مظهر يؤمن أصحابه بصدقه ، هى روح هذه القوة وقوامها ،

وفرضت الصلاة على المسلمين ، ثم قامت صلاة الجبابة التى اداها المسلمون وراء امام واحد . ومن يرى المسلمين وهم مجتمعون صفوا للصلاة ، يؤدون ركعاتها وسجاداتها فى تناسق مذهش وفى نظام ووقار ، لا يمكن ان يغفل لما لهذه الصلاة المنظمة من قيمة تربوية فى نفوس المسلمين . ان العرب اباة لا يخضعون لمشيئة خارجية ، ولكنهم كانوا يفتقرون الى الشعور التام بالطاعة والنظام ، فكانت لهذه الصلاة أهمية بالغة فى ( ايقاظ ) روح النظام فى نفوس العرب المسلمين ، لذلك غدا مكان الصلاة أول ميدان حقيقى للتدريب على النظام عند المسلمين .

ثم ان انتظام المسلمين فى الصلاة ، شجع روح الوحدة بينهم ، وخلق بينهم شعورا بالمساواة التى كانت أفكارا جديدة على بلاد العرب ، اذ كانت الوحدة الموجودة حتى ذلك الوقت هى رابطة الدم ، فأصبحت الوحدة السائدة هى وحدة العقيدة .

لقد وجد الاسلام بتماليه التى تغرس الضبط والنظام فى النفوس ، وتدعو الى توحيد الله وتوحيد الصفوف ، أرضا خصبة فى العرب الذين كانت لهم خبرة طويلة فى الحروب ، والذين لا يهابون الموت ويتمشقون الحرية ، فكان من فضل الاسلام على العرب ، انه جمع شملهم ، ووجد قلوبهم ، وأشاع فيهم النظام والضبط ، وبذلك أصبحوا قوة هائلة وجدت لها ( متنفسا ) فى توحيد شبه الجزيرة العربية أولا ، وفى الفتح الاسلامى ثانيا .

والمعروف ان الجندي لا يمكن ان يقاتل في الحروب قتالا مستقيما ، ويضحي بروحه مقبلا غير مدير ، الا اذا كان يؤمن بمقيدة تدفعه الى التضحية والفداء ، وتجعله صابرا في البأساء والفراء وحين البأس .  
والجندي الذي يقاتل بغير عقيدة ، لا يمكن ان يصمد في الميدان ابدا .  
وما يقال عن الجندي ، يقال عن الجيش ، ويقال عن الشعب ايضا ، فليس الجيش الامموعة من الجنود ، وليس الجيش الا جزءا من الشعب .

### فما اثر تعاليم الاسلام على العرب ؟

لا شك ان هذه التعاليم ، رفعت المستوى العقلي للعرب الى درجة كبرى ، هذه الصفات التي وصف الاسلام بها الله سبحانه وتعالى ، نقلتهم من عبادة اوثان وما يقتضيه ذلك من انحطاط في النظر واسفاف في الفكر — الى عبادة اله وراء المادة : ( لا تدركه الابصار ، وهو يدرك الابصار ) ( ١٠٣ — سورة الانعام ) .

كان الاله عند اكثرهم اله قبيلة ، وان اتسع سلطانه ماله تباثل او اله العرب ، فابانه الاسلام اله العالمين ، ومدير الكون ويده كل شيء وعالما بكل شيء ، فاستطاع العربي بهذه التعاليم ان يرتقى الى فهم اله لا مادة له ، واسع السلطان ، واسع العلم ، واتهمهم الاسلام ان دينهم خير الاديان ، وان المسالم حولهم في ضلال ، وأن نبينهم نبي الناس جميعا ، وأنهم ورثته في حمل دعوته الى الامم ، فكان ذلك من البواعث على غزو هذه الامم يدعونهم الى دينهم ويشرونهم به ، فمن دخل فيه كان كاحدهم ، له ما لهم ، وعليه ما عليهم .

وكان لمقيدة اليوم الآخر ودار الجزاء والجنة والنار ، اثر عظيم في بيع كثير منهم نفوسهم في سبيل نشر الدعوة : ( ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله ، فيقتلون ويقتلون ، وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم ) ( ١ ) .

وكان للإسلام اثر كبير في تغيير قيمة الاشياء والاخلاق في نظر العرب ، فارتفعت قيمة أشياء ، وانخفضت قيمة أخرى ، وأصبحت مقومات الحياة في نظرهم غيرها بالأمس .

ان الاسلام رسم الحياة مثلا أعلى غير المثل الأعلى للحياة في الجاهلية ، وهذا المثلان لا يتشابهان وكثيرا ما يتناقضان فالشجاعة الشخصية ، والشهامة التي لا حد لها ، والمكرم الى حد الاسراف ، والاخلاص التام للقبيلة ، والقسوة في الانتقام والاخذ بالثأر من اعتدى عليه او على قريب له او على قبيلته بقول او فعل — هذه المثل التي كانت اصول الفضائل عند العرب الوثنيين ، أصبحت في الاسلام الخضوع لله والانقياد لأوامره والصبر واخضاع منافع الشخص ومنافع قبيلته لأوامر الدين ، والتسامح وعدم التفاخر والتكاثر وتجنب الكبر والعظمية — هي المثل العليا للمسلم في الحياة ( ٢ ) .

( ١ ) سورة التوبة ( آية ١١١ ) .

( ٢ ) انظر — فجر الاسلام ( ٩٢/١ — ٩٥ ) — اهد أمين .

ان الاسلام . صهر نفسية العربي ، ونفى عنها الخبث ، فاصبح العربي المسلم لا يكذب ولا يسرق ولا يزنى ولا يخشون ولا يفش ولا يتجسس ، يخلص لعقيدته اكثر مما يخلص لنفسه ، ويطيع اوامر الله ورسوله وأولى الامر ، وبذلك اصبح فردا مفيدا باع نفسه لله اخلاصا لعقيدته .

هذا العربي المسلم ، بهذه المزايا النادرة ، أصبح بدون شك ، عنصرا مفيدا كل الفائدة لتكوين أمة سالحة : تعبد ربها واحدا ، وتعمل بانسجام وتعاون وتكران ذات ، لتحقيق هدف واحد ، هو أن تكون كلمة الله هي العليا . لقد تصرف العربي المسلم فردا تصرفا لا يزال يعتبر من الأعمال الفذة النادرة في حياة البشر : تحمل التعذيب والموت صابرا راضيا مطمئنا ، وترك أهله وماله مهاجرا الى الله ورسوله ، وضرب بمصلحة أهله الاقربين وعشيرته وتبيلته عرض الحائط حين وجدها تعارض مصلحة عقيدته العليا .

وتصرف العربي المسلم ضمن المجموع من أمته تصرفا لا يزال يعتبر حتى اليوم بمنزلة من المناخر : اندفع يجاهد في سبيل نشر عقيدته وحبابتها ، فخرجت القوة المؤمنة التي اختزنتها الصحراء عبر الأجيال ، تحمل راية الله سبحانه وتعالى وتبلغ عن أمره ، فتتابعت انتصاراتها الباهرة ، فلم يشهد التاريخ في ألقابه المديدة انتصارات مظفرة وفتحا ( مستداما ) بثقلها شهد انتصارات الفتح الاسلامي (١) ، تلك هي العقيدة التي جعلت العربي المسلم يقاتل قتالا مستميتا ، ويضحى بروحه من أجلها .

وهذه العقيدة هي التي دعمت العربي المسلم الى التضحية والفداء ، وجعلته صابرا في البأساء والضراء وحين البأس . وهذه العقيدة هي التي قادته من نصر الى نصر ما دام متمسكا بها ، فلما أعرض عنها لم ير النصر بعينه أبدا .

— ٥ —

كيف يرى الاسلام ملكة الجندية الحق في المسلم فردا وفي المسلمين جيوشا وأمة .

هناك صفات خالدة للجندى الحق هي التي تميز الجندى الامين عن الجندى المزيف الذي لا قيمة عسكرية له .

هنا لا بد لي من أن أذكر ، بأنه ليس كل من ارتدى البزة العسكرية وتغشى ردحا من الزمن في الجيش أصبح جنديا حقا .

بل لا بد أن تتوفر في الجندى صفات معينة ، ليكون جنديا بليدا ولا يخر ويبنى ولا يهدم ويقاتل ولا يفر .

من هذه الصفات الطاعة ، والطاعة هي ما نطلق عليه في المصطلحات العسكرية الحديثة تعبير : الضبط (٢) .

والضبط : معناه اطاعة الأوامر وتنفيذها نصفا وروحا بدون تردد وعن طيبة خاطر وبحرص وإمانة واخلاص .

لقد وردت كلمة ( طاع ) ومشتقاتها في تسع وعشرين ومائة آية من آيات

(١) انظر التفاصيل في كتابنا : قادة فتح الشام ومصر ( ٢٦٧ - ٢٦٦ ) .

(٢) يطلق على كلمة : الضبط في قسم من الجيوش العربية كلمة : الانضباط .

القرآن الكريم . قال تعالى : ( من يطع الرسول فقد اطاع الله ) (١) . وقال تعالى :  
( ويقولون آمنا بالله وبالرسل واطعنا ) (٢) ، وقال تعالى : ( يا ايها الذين  
آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم ) (٣) .  
والفرق الكبير بين الجندى الجيد والجندى الرديء ، هو ان الاول مطيع  
والثانى غير مطيع ، أى ان الاول يتحلى بالضبط المتين ، والثانى قليل الضبط ،  
كما يعبر عن ذلك العسكريون المحدثون .

وقد خرب السلف الصالح أروع الامثال بالطاعة لله ولرسوله ولأولى  
الامر ، وتاريخ الصدر الاول من الاسلام مليء بأمثلة الطاعة التى أدت بالكثير من  
المسلمين الى التضحية بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله .  
كما ان الفرق الكبير بين الجيش والمدنيين ، هو ان الجيش يتحلى بالضبط  
المتين ، ولا جيش بدون ضبط ، ولا يقتصر جيش فى الحرب بدون ضبط بهما يكن  
حسن التنظيم كامل التجهيز جيد التدريب قوى القيادة .

- ٦ -

ومن صفات الجندى الخالدة : الصبر على المشقات العسكرية وفى  
الميدان .

وقد ورد كلمة ( صبر ) ومشتقاتها فى ثلاث ومائة آية من آيات القرآن  
الكريم . قال تعالى : ( يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا وابطوا واتقوا  
الله ) (٤) ، وقال تعالى : ( ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا ) (٥) ، وقال  
تعالى : ( سلام عليكم بما صبرتم ، لنعم عقبى الدار ) (٦) ، وقال تعالى ( ولئن  
صبرتم لهن خير للصابرين ) (٧) ، وقال تعالى : ( ثم جاهدوا وصبروا ، ان ربك  
من بعدها لغفور رحيم ) (٨) .

ومن صفات الجندى الخالدة : الثبات فى الحرب .  
والثبات له معنيان : الاول الصمود الى آخر اطلاقة وآخر رمق ، فليس  
جندى من يفر او يستسلم للعدو ومعه سلاح وعناد ، حتى يتحطم سلاحه وينهد  
عواده .

والثانى الشجاعة فى مجابهة العدو والقتال بتصميم وعناد .  
وقد وردت ( ثبت ) ومشتقاتها فى ثمانى عشرة آية من آيات الذكر الحكيم  
قال تعالى : ( يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا ) (٩) ، وقال تعالى  
وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام ) (١٠) ، وقال تعالى : ( يا ايها الذين آمنوا

- (١) سورة النساء ( الآية ٨٠ ) .
- (٢) من سورة النور ( الآية ٢٧ ) .
- (٣) من سورة النساء ( الآية ٥٩ ) .
- (٤) سورة آل عمران ( الآية ٢٠٠ ) .
- (٥) سورة البقرة ( الآية ٢٥٠ ) .
- (٦) سورة الرعد ( الآية ٢٤ ) .
- (٧) سورة النحل ( الآية ١٢٦ ) .
- (٨) سورة القمل ( الآية ١١٠ ) .
- (٩) سورة الانفال ( الآية ٤٥ ) .
- (١٠) سورة الانفال ( الآية ١١ ) .

ان تصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم (١) ، وقال تعالى : ( ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ) وقال تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا لا تأخذوا بطعن من بعضهم على بعضهم إلا أن ياتكم بأمر من الله أو من ربه ) (٢) ، وقال تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا لا تأخذوا بطعن من بعضهم على بعضهم إلا أن ياتكم بأمر من الله أو من ربه ) (٣) ، وقال تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا لا تأخذوا بطعن من بعضهم على بعضهم إلا أن ياتكم بأمر من الله أو من ربه ) (٤) .

أما الشجاعة وهي من أهم صفات الجندي ، فيكفي أن نذكر أن المسلم لا يجبن أبداً ، وأن التولي يوم الزحف بالنسبة للمسلم من الكبائر ، قال تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار ، ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة ، فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير ) (٥) .

وجعل التولي يوم الزحف من صفات الكفار والمنافقين ، قال تعالى : ( ولو تأملكم الذين كفروا لولوا الأدبار ثم لا يجدون ولياً ولا نصيراً ) (٦) ، وقال تعالى : ( لن أخرجوا لا يخرجون معهم ، ولن نقاتلوا لا ينصرونهم ، ولن نصروهم لولوا الأدبار ثم لا ينصرون ) (٧) ، وقال تعالى : ( لن ينصروكم إلا أذى ، وأن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ) (٨) ، وقال تعالى : ( ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار ، وكان عهد الله مسؤولاً ) (٩) .

ولست أعرف عقيدة سبائية ولا أرضية حثت على الشجاعة حثاً حاسماً جازياً كما فعلت العقيدة الإسلامية ، ويكفي أنها أخرجت الجبناء من حظيرة المؤمنين ، فالجبن والإسلام على طرفي نقيض وهما ضدان لا يجتمعان . وإذا كانت الشجاعة هي التي تؤدي إلى إحراز النصر ، أو هي من أهم عوامل النصر على الإطلاق ، فإن الشجاعة هي العقيدة الإسلامية هي مزية من مزايا المسلم الذي لا يكون مسلماً بدونها .

## - ٧ -

ومن صفات الجندي الخالدة الحذر واليقظة .  
قال تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم ) (١٠) وقال تعالى : ( فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ) (١١) وهي صلاة الخوف كما يعبّر عنها الفقهاء .  
وإذا كان الجندي حذراً يقظاً ، سمع على عدوه أن ينال منه أو أن يباغته ليقض عليه ، والباغية مبدأ من أهم مبادئ الحرب .  
وليس جندياً حقاً من ينأى عن عدوه ، لأن المبدأ السليم في الحرب هو ادخال أسوأ الاحتمالات في الحساب .

- 
- (١) سورة محمد ( الآية ٧ ) .
  - (٢) سورة المجرة ( الآية ٢٥ ) .
  - (٣) سورة آل عمران ( الآية ١٧ ) .
  - (٤) سورة انفال ( الآية ١٢ ) .
  - (٥) سورة انفال ( الآية ١٥ - ١٦ ) .
  - (٦) سورة الفتح ( الآية ٢٢ ) .
  - (٧) سورة الحشر ( الآية ١٢ ) .
  - (٨) سورة آل عمران ( الآية ١١١ ) .
  - (٩) سورة الأحزاب ( الآية ١٥ ) .
  - (١٠) سورة النساء ( الآية ٧ ) .
  - (١١) سورة النساء ( الآية ١٠٢ ) .

وتطبيقا لمبدأ الحذر واليقظة ، كان المسلمون الأولون في الحرب لا ينامون ولا ينيون ...

وما أصدق المثل العربي القائل : « إذا كان عدوك نملة ، فلا تقم له » .  
والاستهانة بالعدو اعتيادا على الكثرة الكثيرة والعدد العديد ، يؤدي إلى الكوارث في الحرب ، وقد علينا الله سبحانه وتعالى درسا عسكريا سجله القرآن الكريم ، فقال تعالى : ( ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ، ثم وليتم مدبرين ) (١) .  
ان الاستهانة بالعدو تؤدي إلى الهزيمة ، ومن حق المنتصر أن يستهين بعدوه بعد احراز النصر عليه ، أما قبل المعركة فلا بد أن يدخل في حسابه عن عدوه أسوأ الاحتمالات .

## — ٨ —

من تلك الصفات الخالدة للجندى الحق ، أن يجاهد بماله ونفسه في سبيل ملة العليا .

وقد وردت كلمة ( جهاد ) ومشتقاتها في إحدى وأربعين آية من آيات الذكر الحكيم . قال تعالى : ( يؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله ) (٢) ، وقال تعالى : ( الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله ) (٣) ، وقال تعالى : ( وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ) (٤) ، وقال تعالى : ( وفضل الله المجاهدين على القاعدین أجرا عظيما ) (٥) .

وقد فرض الإسلام على المتخلف عن الجهاد عقابا نفسيا في الدنيا ، إذ يهجر المتخلف أهله حتى زوجه ، كما يهجره المسلمون جميعا ويقاطعونه ، وينظر إليه المجتمع الإسلامي نظرة احتقار وازدراء قال تعالى : ( وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم ، وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ) (٦) .

ان عقاب المتخلف عن الجهاد في الإسلام يقتصر عليه فقط ولا يشمل أهله وعشيرته ولا سكان قريته ، كما حدث في القرن العشرين عند بعض الدول الكبرى إذ نزل العقاب الصارم بأهل المتخلف وعشيرته وحتى بأهل قريته في بعض الأحيان .

ويهمنا أن نعرف أن كثيرا من عوائل المتخلفين أبيدت عن بكرة أبيهم في الدول التي طبقت الحرب الإجبارية خلال الحرب العالمية الثانية في القرن العشرين .

أما في الإسلام ، فقد عاقب المتخلف وحده عقابا نفسيا صارما ، فاین هذا العقاب الذي طبقه المسلمون على المتخلف في القرن الأول الهجري من هذا العقاب الذي طبقته أرقى الدول في القرن الرابع عشر الهجري ؟  
لقد سبق الإسلام الأمم بتعاليمه العسكرية قرونا طويلة ، ولكن ..  
يا ليت قومي يعلمون !

(١) سورة التوبة ( الآية ٢٥ )

(٢) سورة الصف ( الآية ١١ )

(٣) سورة التوبة ( الآية ٨٨ )

(٤) سورة التوبة ( الآية ٤١ )

(٥) سورة النساء الآية ٩٥

(٦) سورة التوبة ( الآية ١٨ )



# صقلية تحت حكم المسلمين

للكثورة زكي محمد غيث

رئيس قسم التاريخ بجامعة الأزهر

أصبح « الأغالبية » أصحاب صقلية منذ عام ٢١٦ هـ ( ٨٣١ م ) ، وصاروا سادة العاصمة الرومانية ( بلرم ) في الجزيرة . واتخذوها مركزا لماراتهم الجديدة ، واستمر حكمهم للجزيرة زهاء القرنين عما ( ٢١٦ - ٥٩٦ هـ ) ( ١ ) . تضوا منها نصف قرن في الصراع مع الصقليين بالجزيرة ، وقوات القسطنطينية في البر والبحر ، يتنازعون المدن والحصون والقلاع فيما بينهم ، حتى كتب النصر للأغالبية أخيرا .

وكان الأغالبية قد أخذوا - منذ وطئت أقدامهم أرض الجزيرة على التوالي ، وفي أثناء فترة هذا الصراع الطويل - يستقرون في السهول الخصبة المحاطة بالجبال الشاهقة ، وينزلون فيما يفتحونه من مدن وحصون ، وأقاموا بقاء أمارتهم الجديدة فيها ، وعنوا بإدارتها وتنظيمها وترتيب شئونها ، فاستقامت لهم الأحوال ، ونجحوا في تأسيس نظام إداري ومالي بالجزيرة ، التزمه كل من أتى بعدهم حتى ( النورمان ) المسيحيون .

## مع الفاطميين

ثم انتقل حكم الجزيرة من بعد الأغالبية إلى أيدي الفاطميين سنة ٢٩٦ هـ ( ٩٠٨ م ) ، وأصبحت صقلية جزءا من ممتلكات دولتهم التي أسسها المهدي في شمال أفريقية ، فأخذوا يرسلون إليها الولاة من قبلهم ، ولكن حدث بعد أربع سنوات من حكمهم أن أعلن مسلمو صقلية بزعامة « أحمد بن قزح » انفصالهم عن الفاطميين سنة ٣٠٠ هـ ( ٩١٢ م ) وخطبوا يوم الجمعة للخليفة العباسي

( ١ ) بدأ غزو صقلية سنة ٥٢١٢ هـ ( ٨٢٧ م ) ولكن بسقوط ( بلرم ) مكن للمسلمين في الجزيرة وأصبح الفتح حقيقيا ، وملك الأغالبية الجزيرة من يومها حتى قضى الفاطميون عليها سنة ٥٩٦ هـ ، وورثوا أملاكهم في البر والبحر بما فيها جزيرة صقلية .

المقتدر (٢٩٥ - ٣٢٠ هـ / ٩٠٨ - ٩٣٢ م) ، ثم عادت الى الطاعة في سنة ٣٠٤ هـ (٩١٧ م) ، واستأنف الفاطميون ارسال الولاة اليها من جديد ، وقد ظلت متقلية طوال الأربعين السنة الأولى من الحكم الفاطمي مئارا فتن وقتلاقل ، استنفدت من الدولة مجهودا كبيرا ، وكلفتها من الاموال والرجال شيئا كثيرا ، وصارت الحياة السياسية خلالها قلقة وغير مستقرة ، والحالة الداخلية غير مرضية ، ومع ذلك كانت مراسم الملك تجرى عليها ، فيأتيها الولاة ، والقضاة ، ويقوم الولاة بواجبهم الاول من الغزو والفتح ، ثم يرتبون حكام الاتاليم ونوابهم ، ويشرفون على تنفيذ القوانين والاحكام ، ويتولون جمع الضرائب والجزية ، وينظرون في اوجه الدخل والمصرف .

## مع الكلبين

وفي سنة ٣٣٦ هـ (٩٤٧ م) عين الخليفة المنصور العلوي واليا على الجزيرة هو القائد : « الحسن بن علي بن ابي الحسين الكلبى » فوضع أساس حكومة قوية مستقلة ، واعاد بحسن سياسته ، وجبيل صنعه حياة الاسن والاستقرار في الجزيرة ، وعلى مهده وعهد خلفائه من بعده نبت الحياة في جميع مرافقها وازدهرت حتى بلغت غاية الكمال على عهد الأمير الكلبى : ابي الفتوح يوسف بن عبد الله (٣٧٩ - ٣٨٨ هـ) وبذرت بذور الثقافة العربية ، ونبت في تلك الجزيرة المتعددة اللغات والاجناس ، واعتبر عصر ( أسرة الكلبين ) في متقلية « العصر الاسلامى الذهبى لها » لأنها تمتعت فيه بما لم تتمتع به في أى عصر اسلامى آخر .

وقد استمرت جموع المسلمين تقد على الجزيرة الغنية منذ الفتح حاملة معها دينا جديدا ، ولغة جديدة ، وتقاليد وعادات جديدة ، كان لها بحكم ما لاهلها من سلطان وسيادة ذبوع وانتشار في المجتمع الصقلى ، ومع ذلك لم تخف المسيحية ، ولا اللغة اللاتينية او اللغة اليونانية بناتا ، وظلت الكنائس والاديرة تجاور المساجد ، وتقام فيها الشمامير الدينية ، وبقيت اللغة اللاتينية ، ثم اللغة اليونانية مستعملة في الجزيرة بجانب اللغة العربية .

وادخلت هذه الهجرة كذلك دما جديدا ، كما حمل المهاجرون معهم وسائل جديدة في الزراعة والصناعة ، كان لها أثرها في رخاء الجزيرة ونمو ثروتها ، وقد نشأ حينئذ مجتمع جديد في ظل حكومة اسلامية جديدة على رأسها وال يحكم باسم حكومة افريقية المركزية .

## مجتمع الجزيرة

طبقت في الجزيرة نظم الحكم السائدة في الولايات الاخرى التابعة للحكومة المركزية بافريقية ، سواء من الناحية السياسية ، او الادارية ، او التشريعية ، غير أن صقلية كان لها مجتمعها الخاص ، إذ كان المجتمع الصقلى على عهد المسلمين يتألف من اجناس مختلفة ، وطبقات متعددة ، فقد وفد المسلمون على الجزيرة فوجدوا فيها اقلية من الفينيقيين ، الذين امتزجوا بالعناصر الاخرى ، كما وجدوا الرومان اللاتين ، واليونان أو الروم البيزنطيين ،

كما وجذوا اليهود ، ثم الرقيق الذين استوطنوا الجزيرة منذ ازمان بعيدة ، أما المسلمون الفاتحون فقد كانوا خليطا من العرب والبربر من قبائل مختلفة ، بينهم عدد من الموالي الفرس ، وكان المسلمون العنصر الغالب في المجتمع الصقلي بما انضم اليهم من الموالي الصقليين ، ومن الأرقاء الذين أعتقوا الاسلام ، وقد مصر المسلمون الفاتحون الحواضر وسكنوها ، وكانت لهم يد في السياسة والصناعة والتجارة ، فوق ثقافتهم العربية التي نمت وازدهرت في الجزيرة على ايادهم ، واستمرت بعد انقراض دولتهم .

وكان بطبيعة الحال يقف على رأس السلم الاجتماعي الوالي واهل بيته وحاشيته ، ويقف الى جانبهم كبار الموظفين من حكام الأقاليم ونوابهم ، وقواد الجند ، والقضاة ، وكان هؤلاء جميعا يعيشون غالبا في سعة ورغد من العيش لهم الثروة والجاه ، والسلطان ، واليد الطولى ، والكلمة النافذة بعد الأمير ، أما اتباع هؤلاء فيكونون الطبقة الاولى في المجتمع ، ويمكن أن يضاف اليهم الجند والحرس .

أما جمهور الشعب أو العامة فكان يتكون من طبقتين : عليا تقترب من الطبقة الأرستقراطية الاولى ، وتضم رجال الأدب والفنون ، والعلماء ، والعمال والتجار ، وأرباب الحرف والصناعات .

وطبقة دنيا تكون أغلبية الشعب ، وتضم الزراع ، والرعاة ، واهل الريف الذين كانوا يمثلون في الأصل السكان الوطنيين ، وصاروا الآن موالي مسلمين ، واهل ذمة من المسيحيين واليهود ، وكان اهل الذمة يتمتعون على عهد المسلمين بقسط وافر من الحرية ، والتسامح الديني ، كما كانوا يحتفظون بقوانينهم الدينية والمدنية ، ويشتركون مع المسلمين على قدم المساواة في الاحتفالات العامة ومعهم اعلامهم الخاصة بهم ، ويظهر تساوستهم وأخبارهم بلباسهم المزرکشة . (١)

وفي أسفل درجات السلم الاجتماعي كانت تقف طبقة الرقيق الذين كانوا يستخدمون في فلاحة الأرض والخدمة الخاصة ، وهذه الطبقة وإن لم يكن لها من الحقوق ما يجعلها في مستوى الطبقات السابقة ، إلا أن الرقيق في صقلية تحت الحكم الاسلامي كان أحسن حالا بكثير من السكان الإيطاليين في شبه الجزيرة تحت حكم الملباردو الفرنجة (٢) .

وكان بالجزيرة سوق رائحة لتجارة الرقيق الذين يقبل على شرائهم الاغنياء وهم من أسرى الحرب ، أو من الأجناس السلافية ( الصقالبة ) الذين كان يجلبهم

---

(١) غوستاف لوبون ( حضارة العرب ) ف ٧ ص ٢١٨ ، هذا إذا استثنينا فترة وجيزة مرت فيها موجة اضطهاد لأهل الذمة في دولة الخلافة العباسية والامارات التابعة لها زمن الخليفة العباسي المتوكل منذ سنة ٨٢٥ ( ٨٢٩ م ) ووصلت صقلية التي كانت تابعة للعباسيين إذ ذلك ففرضت عليهم تلك القيود كسائر الولايات الأخرى ، وقد أورد الطبري في تاريخه ج ١١ ، ص ٢٦ - ٢٨ ، وابن الأثير في تاريخه ج ٥ ص ٢٨٥ صورة للقيود التي فرضها المتوكل على اهل الذمة ، حيث منعوا من حمل السلاح ، وركوب الخيل ، وعدم تشييد جبان تملو على ابنية المسلمين أو مساوئها ، وتتميز دورهم بعلامات خاصة .. الخ ولم تكن تلك سياسة خاصة بأهل الذمة في صقلية بل عمتهم وعتت غيرهم في سائر أرجاء دولة الخلافة العباسية .

(٢) جاكسون ( صقلية ) : ف ٢ .

التجار للبيع والشراء ، ولم يكد يتم فتح الجزيرة حتى اعتنق الارقاء الخلفى الاسلام ، وانتشر الاسلام بين باقى السكان حتى أصبحت الغالبية الساحقة من السكان مسلمين ، مغربى الجزيرة ، ووسطها كله مسلمون ، وكذلك معظم الاجزاء الشرقية (١) .

ومع ان الاسلام قد كسر من حدة النعرة الجنسية ، واضعف من نظام الطبقات الاجتماعية الا انا لا نستطيع ان ننكر ما كان يقوم فى المجتمع الصغلى من منافسات ، كانت تصل فى معظم الأحيان الى اسالة الدماء ، والتى كان سببها فى الغالب العداوة الجنسية بين العرب والبربر !! والعصية القبلية بين العرب انفسهم !! والحسد للدولة الحاكمة نفسها ، وبسبب الفروق الواضحة بين الفاتحين عامة وبين الموالى من الصغليين مما كان يسبب قيام الثورات والفتن ضد الحكام فى الجزيرة ، بل وضد الحكومة المركزية بافريقية !

### داء العصبية

وكان من اخطر الظواهر الاجتماعية شعور العناصر العربية بأنها اسمى هذه الاجناس كلها حتى اخوانهم من البربر الذين شاركوهم الفتح ، واتابوا معهم بناء هذه الامارة الجديدة ، وكان يقوى هذا الشعور عند العرب اعتماد الحكام والولاة عليهم فى غالب الاحوال ، ولعل الذى حبل الحكام والولاة على ذلك هو ما كانوا يرونه فى البربر والموالى الصغليين من الطاعة الزائفة لالتباس مأرب ، او تحين فرصة ، وكانت تقوم بسبب ذلك الفتن والثورات فى كل حين ، ولم ينس العرب ابدا اريستقراطيتهم وسنوهم عن سائر الاجناس حتى كانت النتيجة الحتمية اخيرا ، وهى : « تقويض سلطان المسلمين السياسى فى الجزيرة على يد النورمان » .

### الحالة الاقتصادية

وكما كان لصقلية مجتمعا الخاص ، كذلك كان لها ظروفها الاقتصادية والمالية الخاصة ، فان الحالة الاقتصادية والمالية فى الجزيرة كانت داعية الى التناؤل لأول عهد الحكومة الاسلامية ، فمع ان الحروب والفتن والثورات من شأنها مرحلة سير الحركة الاقتصادية ، والتاثير فى الحالة المالية ، الا انها لم تكن لتضرها ضررا يخشى منه قتل هذه الحركة ، او فشلها على الاقل فى اثناء هذه الاضطرابات ، بل بالعكس رايناها تزداد نموا ونشاطا واتساعا فى وسط هذا المعترك المشحون بحوادث الحرب والفتن ، واستطاعت الحكومة الاسلامية الاولى ان توجه معظم جهود اهل الجزيرة الى الانتاج المصام فى الزراعة والصناعة والتجارة ، حتى اذا استقرت الحياة السياسية فى الجزيرة على عهد الكليبيين ، راينا الحالة الاقتصادية والمالية قد استقرت تبعا لذلك ، واخذت جهود كل الاجناس تتحد وتمتزج بعضها ببعض فتتشكل بعد ذلك فى صورة

(١) دائرة المعارف البريطانية م ٢٠ ص ٦١٠ ، وشارل ديبل ( بالرموسيراكوز ) ص ٩٥ ، وجاكسون ( صقلية ) ص ٣ .

خاصة عليها سمات الأجناس ، وملامح الشرق والغرب ، فعمد الناس الى الزراعة والصناعة فأحيوها ، وأدخل العرب في الجزيرة أصنافا من النباتات وأنواعا من الأشجار جديدة فنقلوا اليها شجيرات القطن من الشام ، وقصب السكر من طرابلس الغرب ، وأدخلوا فيها أنواعا جديدة من اشجار الزيتون ، ونهات البردي الذي لم ير ( ابن حوقل ) له مثيلا الا في مصر ، وجلبوا اليها غير ذلك من النباتات المفيدة التي نقلت من اليمن ووادي الفرات ، وشمالى افريقية ، كشجر الصنوبر ، والفسق ، واللوز ، والبندق . (١)

وقد أصلح المسلمون في الجزيرة نظام الري بما كفل زيادة الانتاج الزراعى الى حد كبير ، فاقاموا الجارى ، وعلموا الناس عمل القنى ذات الأنابيب المقف ( السيفونات ) وكانت غير معروفة قبلهم ، ورفعوا المياه من الآبار ، بما اقاموه عليها من النواوير ( السواقي ) ، ونهضوا بالزراعة والفلاحة نهضة مباركة ، كان لها اثرها العظيم في زيادة الحاصلات وتعدد أنواعها ، واقبال الناس على فلاحة الأرض لاخراج كنوزها . (٢)

وقد عدنوا المتاجم في الجزيرة ، وفيها الذهب ، والفضة ، والنحاس ، والحديد ، والزئبق ، والرصاص ، والكبريت ، والملح ، والكحل ، والنوشادر ، والشب ، وزيت النفط .. واستعملوا أنواع الرخام والصوان في الباني (٣) .

واعتنوا بتربية الماشية من الخيول ، والبغال ، والحير ، والبقر ، والغنم عناية فائقة ، وكانت تعد منها مقادير عظيمة للتصدير الى ايطاليا والاندلس ، وكان المسلمون مهرة في حفظ الأسماك بالتعليق وغير ذلك من الوسائل ، وكانت هذه الثروة الحيوانية مصدر رخاء ، وعابلا كبيرا من عوامل تدعيم المركز المالى والاقتصادي في الجزيرة بجانب الصناعات الأخرى والزراعة والتجارة . وقد كانت التجارة قبل العرب ضيقة النطاق ، قليلة الأهمية في هذه الجزيرة ، فأصبحت على عهدهم متشعبة النواحي ، غزيرة المواد ، تحملها سفنهم الى نفور أوربة في ايطاليا الجنوبية ، والاندلس ، وتوزع في داخلية البلاد ، فيعجب أهل أوربة بها ويقبلون عليها(٤) .

وشب الأهلون بالزراعة والصناعة والتجارة وثبة كأنها نشطوا من حقال ، فكثرت الأموال ، وغاضت الخيرات الى الحد الأقصى ، واقتنى الناس في شروب الترف والنعيم ، واتساع العيش ، والتأنق فيه ، والتلون بأزهى ألوانه ، فقد كان أمراء الكلبيين يعيشون في قصور فخمة ، في مدينتهم الزاهرة ( بلرم ) التي كان بها مقر الوالى ، وقاضى القضاة ، وديوان الحسبة ، ودار الصناعة وفي

(١) غوستاف لوبون ( حضارة العرب ) ف ٧ ص ٢١٨ ، سيديو ( خلاصة تاريخ العرب ) ص ١٤٦ ، ولويجي رينالدى ( المدنية العربية في الغرب ) ص ١٦ ، وجاكسون ( صقلية ) ف ٣ .

(٢) المكتبة الصقلية (إسالك والممالك لابن حوقل ) ج ١ ص ٤ - ٦ ( ومعجم البلدان لياقوت ) ج ٥ ص ٢٧٤ ( وحضارة العرب لغوستاف لوبون ) ف ٧ ص ٢١٨ ، و ( المدنية العربية في الغرب للويجي رينالدى ) ص ٢٠ .

(٣) ياقوت ( معجم البلدان ) ج ٥ ص ٢٧٤ ، والمكتبة الصقلية ( آثار البلاد .. للقرنوني ) ج ١ ص ١٤٢ ، وغوستاف لوبون ( حضارة العرب ) ف ٧ ص ٢١٨ ، وسيديو ( خلاصة تاريخ العرب ) ص ١٤٦ ، وجاكسون ( صقلية ) ف ٣ .

(٤) غوستاف لوبون ( حضارة العرب ) ف ٧ ص ٢١٨ ، ولويجي رينالدى ( المدنية العربية في الغرب ) ص ١٦ ، وجاكسون ( صقلية ) ف ٢ .

ميناؤها كان يربض أسطولها العظيم الذي طالما فتح به المسلمون النفور الإيطالية  
وغزو الجزر القريبة والبعيدة من صقلية . (١)

ولقد أعطانا صورة مشرقة ومشرقة عن مقدار عمارة الجزيرة ، وسعة  
رخائها . ورواج تجارتها ذلك الرحالة الشرقي ( ابن حوقل ) الذي زارها سنة  
٣٦٢ هـ ( ٩٧٢ - ٩٧٣ م ) على عهد الأمير : أبي القاسم بن الحسن الكلبى  
( ٣٥٩ - ٣٧٢ هـ / ٩٦٩ - ٩٨٢ م ) فقد وصف الجزيرة بقوله : « وأكثر أرضها  
مزرعة » ، كما أنه يشير كذلك الى الحدائق الغناء ، والأسواق المأمرة المحيطة  
( ببلرم ) العاصمة ، ويصف نظام الرى البقيق بواسطة المياه المجلوبة من  
الآبار ... الخ . (٢)

ويعتبر وصف ابن حوقل للعاصمة ( بلرم ) لا أقدم وصف فحسب ، بل  
الوصف الوحيد الذي كتبه شاهد عيان من المسلمين ، فيقول : « وهى ( بلرم )  
تصبة صقلية على نحر البحر من الشمال ، وهى خمس حارات محدودة غير  
متباعدة بعيد مسافة ، وأن كانت حدودها ظاهرة » ، ويعدد هذه الحارات ،  
ويصفها ، ويذكر ما فيها من مساجد كثيرة ، وأسواق ، وما فيها من متاجر  
وصناعات ، ويدهش من كثرة المساجد فى الجزيرة ، وبخاصة فى العاصمة  
( بلرم ) ويقول : « لم أر مثل هذه العدة فى بلد من البلدان الكبار على ضعف  
مساحتها ، ولا سمعت به الا ما يتذكره أهل قرطبة » ، ويذكر أنه كان واقفا  
بجوار مسجد لأحد الفقهاء الأعيان فى ( بلرم ) فرأى من مسجده فى مقدار رمية  
سهم نحو عشرة مساجد يدركها بصره .

ثم أخذ يعدد رباطاتها على الساحل .. وذكر أخيرا أن فى المدينة ( بلرم )  
أكثر من ثلاثمائة معلم فى مكاتبها لتعليم الناشئة ، وكان يعتبرهم القوم أشد  
الناس تقى ، وأتربهم الى الله ، وأعلام قدر (٣) .

لعل فيها تقدمناه من مظاهر الحياة الاجتماعية ، والحالة الاقتصادية والمالية  
واستبحار العمران فى الجزيرة على عهد المسلمين ما يضع أمام القارئ صورة  
أمارة عظيمة طموحة ، وشعب قوى البنيان ، كامل العدة ، بارز الحيوية ،  
ومجتمع منسجم يسوده الوئام والسلام الا فى بعض الفترات القصيرة ، كما  
تدلنا هذه الصورة أيضا على أن الحضارة فى صقلية على عهد المسلمين كانت من  
أزهى الحضارات الإسلامية المعاصرة لها ، وأنها كانت المنار الذى يضىء الجانب  
الغربي من حوض البحر الأبيض المتوسط ، وتتلالا أنواره على سواحل أوربة  
الجنوبية والغربية بجانب الأندلس النينوع الذى استلقت منه أوربة أصول  
حضارتها الحديثة .

أما الحديث عن : « الثقافة العربية فى جزيرة صقلية » على عهد المسلمين  
فموضوعنا به المقال القادم باذن الله تعالى .

(١) المكتبة الصقلية ( المسالك والممالك لابن حوقل ) ج ١ ص ٤ - ١٠ .

(٢) المكتبة الصقلية ( المسالك والممالك لابن حوقل ) ج ١ ص ٤ - ٦ ، و ( معجم البلدان  
لياقوت ) ج ٥ ص ٢٧٦ وهو ينقل عن المسالك والممالك لابن حوقل .

(٣) راجع نصوص ابن حوقل فى المكتبة الصقلية ( المسالك والممالك ) ج ١ ص ٤ - ١٠ ،  
وياقوت ( معجم البلدان ) ج ٥ ص ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، وهو ينقل المسالك والممالك لابن حوقل .

# نظرة الاسلام إلى

## الانسان والكون

### الانس والآثار الحضارية في الاسلام

للدكتور: مازن المبارك

جامعة الرياض

#### بين المادة والروح

لقد أتى على الإنسان حين من الدهر ، ظن فيه أن بلوغ الكمال في الحياة ، لا يكون إلا عن طريق الرقي المادي ، فانتقل في ميدان المادة ، كما ينطلق وحش الغابة ، حتى وصل إلى القمر أو كاد ، وحقق في ذلك نصرا لا ينكر ، ولكنه نسى في غمرة انطلاخته المادية جانب الحياة الآخر ، أنه أهمل الجانب الروحي ، فإذا هو قوی في جسمه ، منتصر بهادته ، متخلف في روحه ، ضعيف في خلقه .

وقد أدرك عقلاء العالم اليوم ، أن الطريق المادي ليس كافيا وحده لبلوغ الإنسانية درجة الكمال ، وأن رقى الإنسان المادي لم ينتقذ العالم من الويلات التي تزداد يوما بعد يوم ، فالاستعمار والحروب . والثورات وسحق القسوى للضعيف ، والتعصب العنصري .. كل ذلك أخذ يزداد مع الأيام ، ومع ازدياد الرقي المادي !! بل أن الرقي المادي لم يكن في هذه المعارك الظالمة على التحياد ، وإنما كان على العكس سلاحا للفك والدمار في أيدي الظالمين .

أن العالم اليوم أشبه بمدرّب عنى بتدريب انسان « أحق » حتى أصبح عملاقا قوى العضلات : ثم سلّحه بالحديد والنار ، وأطلقه ليعيث في الأرض فسادا ، وليس في قلبه رادع من ضمير ، وليس في عقله غاية غير منفعتيه الخاصة .

والإنسان مخلوق من طين وروح ، ولا بد لرفقيه من العناية بعنصره جميعا ، ولذلك كان للاسلام وكشفه عن حقيقة خلق الإنسان فضل في تغيير نظرة العالم الى علاقة الجسد بالروح ، فلم يعد هناك جسد ينطلق يائسا من

وجود حياة روحية فإذا هو آلة مادية ، ولم تعد هنالك روح تتكرر للجسد ، وتزعم أن رقيها لا يكون إلا بأماله ، وطهارتها لا تتحقق إلا بتعذيبه .  
لقد أصبح واضحا أن الجسم مستقر مؤقت للروح ، وزالت تلك الاوهام القائمة على افتراض العداء بينهما ، فالجسم مخلوق في أحسن تقويم لا ليهان ويحتقر ويعذب ، ولكن ليقوى ويحقق وجوه نشاطاته بما فيها اللذة الحلال .  
وبذلك يكون الجسم أقوى على مسيرة الروح في انطلاقتها ، لأنها إنما تحقق نشاطها أولا في أطماره .

وليست الدنيا في نظر الاسلام مباءة ، على المرء أن يفر منها ، وليست طبيعتها مكروهة ، وإنما الدنيا دار امتحان ، وعلى المرء أن يجد فيها ويكده ، وأن يتعاون فيها مع بنى جنسه في كل ميدان ، ليحقق في الحياة الدنيا عمارا ورقيا وازدهارا ، وليقرب هذه الحياة من المثل الأعلى في الحق والخير والجمال .

إن الجانب الروحي والخلقي في حياة الإنسان ذو أثر بعيد وهام في أمن الإنسان ورفاهه ، بل إن بعض العلماء يرى أن أهمية هذا الجانب تفوق أهمية المعرفة العلمية التي تتوخى سيطرة الإنسان على الطبيعة ، لأن العالم اليوم يعاني أزمة خلقية ودينية ، أكثر مما يعاني من التخلف العلمي ! أنه يعاني من كيفية استثمار نتائج العلم أكثر مما يعاني في الوصول إلى تلك النتائج (١) .

### الاسلام دين واقعي

ولقد كان الاسلام هو المذهب الوحيد الذي أدرك حاجة الإنسان إلى الرقي الروحي والمادي في وقت واحد فجمع بين الأمتين وقرن بينهما من غير إفراط ولا تفريط ، أنه لم يجعل الكون المادي غاية ، كما هو الأمر عند الماديين ، ولم يتناس الطبيعة ، أو يتنكر للجسد ، كما هو شأن الروحيين ، وإنما كان واقعيًا معتدلاً يعترف بالمادة ، فلا يفلو إلى درجة جعلها غاية ، ويعترف بالروح اعترافًا لا يعني أنها أهلاك للجسد .

إن الاسلام الذي كشف القناع عن خلق الإنسان من طين ليترف للإنسان بفرائذه ، في الوقت الذي يحتم فيه اتباع الطريق الذي رسمه للتنفيس عنها ، ثم هو بعد ذلك — تمشيًا مع عنصر الروح في خلق الإنسان — ينظر إلى أبعد من الكون المادي ، ويجعل الغاية أسمى من أن تقف عنده ، أن الكون المادي مسخر للإنسان ، ولكن غاية الإنسان تتعدى هذا الكون .

نعم إن الدنيا لك أيها الإنسان ، ولكك انتب للآخرة ، فتمتع من الأولى وهيب نفسك للثانية ( وابتغ فيها آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا ) (٢) .

بل لقد جمع القرآن ما في الأكل والشرب وطيبات الرزق والزينة من مادة إلى ما في العبادة من جانب روحي فقال « يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا أنه لا يحب المرففين . قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق » (٣) وأمرنا أن يكون دعائنا شاملاً لحسنتي

(١) انظر كتاب « الله يتجلى في عصر العلم » .

(٢) سورة القصص .

(٣) سورة الأعراف .



الدنيا والآخرة فقال « فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا وما له فى الآخرة من خلاق<sup>(١)</sup> ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقمنا عذاب النار . أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب »<sup>(٢)</sup> .

فالإسلام — اذن — لم يتكرر للدنيا : ولم يحرم التمتع بالرزق الطيب . والزينة التى أخرج الله لعباده : ولكنه من ناحية ثانية حذر من أن يركن الإنسان الى الدنيا : ويغرق فى لذاتها . ويفتر بها ، وينسى أنها غائية .. انه حذر الإنسان من أن تكون دنياه حجابا دون الآخرة ، وكثيرا ما لفت نظره الى سرعة زوال الدنيا ونعيمها « واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح ، وكان الله على كل شيء مقتردا . المسال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا »<sup>(٣)</sup> . « من كان يريد الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون . أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون .. »<sup>(٤)</sup> وذلك لأنكم « تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة »<sup>(٥)</sup> « بل تؤثرون الحياة الدنيا . والآخرة خير وأبقى »<sup>(٦)</sup> .

وعلى هذه الصورة جمع الإسلام بين الروح والمادة ، وقرن بين الدنيا والآخرة ، فكانت صورة رائعة لا نظير لها فى أى دين أو مذهب آخر ، ان عمار الدنيا واتقان الصناعة والتوسع فى العلوم أمور حض الإسلام عليها ، ولكنه فى الوقت نفسه لم يجعلها غاية نهائية ، يقف الإنسان عندها ، وينتهى طموحه لديها ، وانما جعل الغاية وراء ذلك سموا وعلوا ، ودعا الإنسان الى الرقى : ليصل الى ما يستطيع من مشارف تلك الحياة السامية الخالدة .

### الأسس والآثار الحضارية فى الإسلام

ولنتف الآن عند نظرة الإسلام العابة الى الكون والى الإنسان لنرى ما فيها من أسس صالحة لبناء الحضارة ولنرى بعد ذلك ما ينتج عنها من آثار حضارية .

لقد كان للنظرة الإسلامية الى الكون والى الإنسان اثرها البعيد فى تاريخ الحضارة وفى اتجاه تلك الحضارة ، كما كان لها اثرها فى تطور حياة الإنسان وجعلها حياة مزدهرة مثمرة . ولقد كان من أبرز خصائص هذه النظرة الإسلامية أنها أرست للحضارة أسسا ثابتة تنطلق الحضارة عنها فى كل مجال : وانها نظرة واتمعة تحققت فى عالم الواقع لا فى اوهام الفلاسفة وخيالات المشرعين ، فكانت مثلا رائعا للحضارات على مدى التاريخ .

(١) أى نصيب ..

(٢) سورة البقرة ..

(٣) سورة الكهف ..

(٤) سورة هود ..

(٥) سورة الانفال ..

(٦) سورة الأمل ..

### ١ - فى مجال الحياة الفردية كانت لنا ثلاثة أسس :

- أولا : أن للفرد حرية تكفل له نشاطه ، ولا تصل الى حد الاضرار بمصلحة غيره .  
وثانيتها : أنها أيقظت فى نفس الإنسان ضميره - فأصبح له من نفسه حارس عليه .  
وثالثها : أنها حررته من كل عبودية لغير الله تعالى .

### أما الأساس الاول : وهو أن تترك للإنسان حرية لا تضيق حتى تشمل

حركته ، وتقتل موهبته . ولا تتسع حتى تطغى على مصالح الآخرين ، ففيه حل لمشكلة من أبرز مشاكل المجتمعات البشرية التى يدور فيها اليوم صراع شديد بين النظام الحر والنظام الوجه . ونحن نعتقد أنه إذا أردنا أن نحفظ على الإنسان إنسانيته ، وعلى المرء مروءته ، فلا بد أن نتركه حرا ينطلق فى تحقيق مواهبه ، واستثمار كفاءاته ، ليتنافس الأفراد فى تقديم الخير لأنفسهم ولجتمعاتهم ، ولن يكون هذا التنافس فى ظل الاسلام وتحت اشرافه ، الا تنافسا خيرا ، يرسى حقوق الفرد ، وحقوق الجماعة .

ونحن نستطيع أن نطبق هذا المبدأ القائم على الحرية المعتدلة فى كل ميدان من ميادين الحياة ، فنطبقه فى ميدان الفكر ، كما نطبقه فى ميدان الاقتصاد ، وذلك بأن نترك للأفراد أن يفكروا كيف يشاؤون ، وأن يكتبوا ما يشاؤون ، على ألا يكون فى شيء من ذلك مساس بمصلحة جماعتهم وعقيدتها . ولقد كانت لهذا المنهج الحكيم ثمراته الخيرة فى تاريخ حضارتنا . يوم طبق فلم يشل حركة الفكر ، بل هيا للعالم علماء أفاضا ، كابن سينا ، والغزالي ، وابن رشد ، وغيرهم ، ممن قال عنهم علماء الغرب : أنهم ظلوا اساتذة للغرب حتى القرن التاسع عشر . قال غرونبوم « ليس ثمة ميدان من ميادين الخبرة الإنسانية لم يضرب الاسلام فيه بسهم ، ولم يزد ثروة الثقافة الغربية بمسه غنى » .

### وأما الأساس الثانى : وهو ايقاظ الضمير ، فمتمثل بالاساس الاول ، اذ

تدبج بعض الأفراد أو ينحرفون ، تستعبدتهم شهوة الكسب أو شهوة الشهرة ، فيظلمون المجتمع بوسائل كسبهم الجشعة ، كاحتكار القوت ، أو يسيئون اليه باتخاذ مخالفة العقيدة طريقا الى الشهرة . . فكان لا بد لهؤلاء وأولئك من رادع ورتيب . فكان الأساس الثانى لذلك قائما على ايجاد ذلك الرادع وايقاظه دائما ليكون حارسا أميناً ، أو صمام أمان ، يحرص المسلم على بقائه نقياً طاهراً يقظاً ، لأن الله سبحانه مطلع عليه ، وهو الذى يعلم الجهر وما يخفى .

وأما اذا صدىء هذا الضمير ، أو قصر فى واجبه ، فإن الحاكم يقوم بوظيفة الرقيب والرادع ، ليحفظ حقوق الجماعة من المخرفين ، ويعيد الى المجتمع توازنه المطلوب .

### وأما الأساس الثالث ، وهو تحرير الإنسان من عبودية الإنسان ، أى كان ،

وربطه مباشرة بالله الخالق القوى ، فقد كان ذا آثار بعيدة فى الحياة الإنسانية من أقربها أنه انتقذها من حياة الفوضى والقلق ، تلك التى كانت تعيشها ، وأوجد

فيها سكونية ومطابينة أتاح لها فرصة العمل المثمر . والانتاج النافع . ان الاسلام حين ربط نفس الانسان بالله فقد ربطها بمصدر قوة كبرى تفزع اليه عند الملهمات « ان الانسان خلق هلوعا ، اذا مسه الشر جزوعا ، واذا مسه الخير منوعا ، الا المصلين » .

ولقد قرر العلماء ان الايمان بالله هو الدواء الناجع الوحيد للتخلص من القلق والاضطراب النفسي : وراحوا يعملون اليوم على ابراز هذا الجانب الروحي ، وبيان قيمته في العلاج النفسي : وحسبك ان تقرأ كتاب ( دغ القلق وابدأ الحياة ) « دليل كارلنجر » ( وكتاب العودة الى الايمان ) « لوريس كريسون » . . فكارلنجر يقول « ان اطباء النفس يدركون ان الايمان القوي والاستمسك بالدين كفيلا بأن يقهرا القلق والتوتر العصبي » ويقول الدكتور بريل « ان المرء المتدين حقا لا يعاني قط مرضا نفسيا » .

والحقيقة انه متى انصرفت النفس الانسانية على شهواتها ، واصفت الى ضميرها ، ورأقت ربها ، وتحررت من كل عبودية لغيره ، اندفعت بناء في ميدان الخير ، تعمل لنفسها ولجتمها وللانسانية جميعا . هذا الى جانب ما لصلته الانسان بربه من اثر في رغبة الخلق وسمو الغاية .

### في الحياة الاجتماعية

٢ - وفي مجال الحياة الاجتماعية ، وضع الاسلام التكافل الاجتماعي اساسا يقوم عليه المجتمع ، وهو تكافل عام شامل لكل ميدان ، لا يقتصر على توزيع الثروات ، او اعانة الفقراء ، وانما يمتد ويعم حتى يشمل ميدان الصناعات ، وذلك ان الاسلام اوجب على المجتمع الاسلامي ان يكفي نفسه ، فان خلا مجتمع او بلد من صناعة يحتاج اليها المسلمون ، فكل اهل البلد آثمون ، ومعنى ذلك ان على المسلمين اليوم ان يسهموا في كل ميادين الصناعة مثلا - من صناعة النعال الى انتاج الذرة .

ولم يكتف الاسلام بجعل المجتمع شركة يتقاسم ابناءؤه الاعباء والمفائم . وانما جعله أسرة واحدة قائمة على المحبة والتعاون والتراحم ، تلك المثل التي يفتقدها عالم اليوم ، وواضح ان هذا الشعور العاطفي لم يكن يفسد النظرة الموضوعية الى المجتمع وواقعه ، وحسبك بنظرة ابن خلدون مثالا للنظرة الموضوعية الاسلامية في دراسة المجتمعات البشرية .

### في ميدان الانسانية

٣ - واما في ميدان الانسانية عامة ، فكان الاساس الذي ارساه الاسلام ان البشر جميعا من اصل واحد والى مصير واحد ، وانهم متساوون ، لا يفرق بينهم نسب ، ولا لغة ، ولا لون ، ولا جنس ، فالناس جميعا بشعوبهم واممهم ونسبهم . . مخلوقون للتعرف والتعاون على بناء العالم وازدهار الحياة . وكان من آثار هذه النظرة الاسلامية ان التقت لأول مرة في تاريخ الانسانية امم وشعوب ، تعاونت على بناء العالم : ورتى حضارته ، رغم ما بينها من فروق الجنس واللون واللغة . وكان من اثر هذه النظرة ايضا ان غاضت الحضارة الاسلامية بخيرها على العالم اجمع ، ففتحت بها اقوام وامم ، سواء منها من خضع لحكم المسلمين ومن لم يخضع .

٤ - وفى ميدان العلم تأملت نظرة الاسلام على أساسين : إيمانى

وتجريبى . أما الإيمانى فخاص بما أخبر به الله تعالى . وما تنزل به الوحي ، وليس للمسلم إلا أن يقبل ويمسلم . وقد أخبر الله تعالى أنه قد تمت الرسالة وأنهى الوحي ، وختمت النبوات .

وأما العلم التجريبى فهو الذى لفت القرآن إليه اذهان الناس ، وحثهم على البحث فيه ، وأخضاعه للتجربة العملية الموضوعية لمنافعهم ، وقد رأينا كيف كان القرآن يحض على استخدام العقل والفكر فى الآيات الكونية ، فكان صوته أول نداء مزق فى العالم حجب الوهم والخرافة ، ودعا الإنسان الى اكتشاف قوانين الكون ومعرفة أسرارها .

وكان من أثر هذه النظرة أن نقل الاسلام العلم من مرحلة النظر ، الى مرحلة العلم والتجربة ، فعرف العالم المناهج التجريبية ، وعرف النابضين من العلماء ، كالبيرونى ، وابن الهيثم ، والجاحظ ، والرازى .. وغيرهم ممن كانوا أساتذة العالم فى الطب والفلك والكيمياء . وكان العصر الزاهر للحضارة الاسلامية عصر العلم والعلماء (١) .

ولقد أثبت الاسلام — كما يقول غوستاف لوبون — أنه من أكثر الديانات ملائمة لاكتشافات العلم ، بل أن لوبون يصرح : بأن المناهج العلمية الحديثة مدنية للمسلمين وحدهم بالفضل الاول فيقول : ( يعزى الى يكون على الضوم أنه أول من أقام التجربة والترصد اللذين هما ركن المناهج العلمية الحديثة مقام الأستاذ ؛ ولكنه يجب أن يعترف اليوم بأن ذلك كله من عمل العرب وحدهم .. ) وهو يعنى المسلمين .

ويورد لوبون آراء عدد من العلماء الذين يؤيدون رأيه هذا ، ثم يقول : ( قام منهاج العرب على التجربة والترصد . واختبروا الامور وجربوها ، وكانوا أول من أدرك هذا المنهاج فى العالم ؛ وظلوا عاملين به وحدهم زمنا طويلا ) (٢) .

## فى ميدان السلام

٥ - وأخيرا أرى الاسلام أساسا لا يد منه لازدهار الحضارة الإنسانية وسعادة البشرية وهو السلام ، فالاسلام والمسلم والسلام من اصل لقوى واحد ، والله تبارك وتعالى هو السلام . ولقد بلغ من حرص الاسلام على السلام أن اتخذ شعارا له ، فكان أول ما يذكر فى اللقاء بين مسلمين ، بل كان هو شعار المسلمين يوم يقدمون على ربهم ( تحيتهم يوم يلقونه سلام ٦ ) .  
والحق أن الاسلام منح السلام للعقل الإنسانى الذى كان قلقا يبحث عن الخالق وأسرار الكون ، فلا يهدى ، ومنح السلام للنفس الإنسانية التى كانت مضطربة تعتقد أنها فى حرب دائمة مع الآلهة والارواح الشريرة ، فمضى دأمة الهفة لاسترضائها ودفع سخطها ، فجعلها الاسلام مطمئنة راضية تؤمن بالله واحد ، وهو إله يحبها ويفرح باهتدائها ، ويدعوها لإنهاء الخصومة ، والاستسلام له أو الاسلام له « وأنبئوا الى ربكم واسلموا له » ( سورة الزمر ) . « ومن

(١) انظر الحضارة الاسلامية لغرونيادوم ص (٢٠٩) .

(٢) انظر كتاب حضارة العرب لغوستاف لوبون ص (١٢٦) و (٢٥٠-٢٢٧) .

أحسن ديننا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن » (سورة النساء) . ومتى وجد السلام في النفس والعقل ، ومتى وجد في الأرض بين بني البشر . فقد وجد الاستقرار ، ومتى وجد الاستقرار فقد وجدت الحضارة .

### قوة تحرس السلام

٦ - على أن الإسلام لم يترك فكرة السلام مجرد دعوة أو مجرد فكرة قد تضعف أو تعصف بها شهوات النفوس الجانحة ، وإنما دعمها بالقوة تحرسها ، وتسهر على تحقيقها . أنه يؤثر السلام « وأن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » ولكنه يدعو إلى أن تكون بجانب السلام قوة تدعم الحق ، وتتصر له ، فإمر بأعداد القوة « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة » وإمر بقتال الفئة الباغية « فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله » .

وهكذا هيا الإسلام العالم للحضارة إذ أوجد لها ظروفها الملائمة ، واية ظروف أجدى على الإنسانية وحضارتها من دفع العقل البشري إلى التفكير والعمل والتجربة ، وتهذيب النفس وحراستها بالضمير ، وربطها بالله ووضعها موضع الرغبة فيه والرهبة منه ، ثم كفالة الاستقرار بتأمين السلام ؟؟ وإى دليل أصدق على ملائمة هذه الظروف من دليل الواقع الحي الذي يشهد له التاريخ ؟ لقد شهد التاريخ لهذه المبادئ الإسلامية بالنجاح الواسع ، وشهد أنه بفضلها أخصبت الحياة وازدهرت في ميسادين التجارة والصناعة والزراعة والعمارة ، ويكفي أن نذكر ما كانت عليه عواصم العالم الإسلامي — يوم سادت تلك المبادئ — من تقدم ، وما بلغت الحياة فيها من رقي ، وما شاد الفن فيها من آثار ما زالت قرطبة وغرناطة والقاهرة وبغداد وشاهداً عليه حتى اليوم .

إن التاريخ ليس شهد أن تلك الأسس وهذه الآثار الحضارية ليست شيئاً يزينه الوهم أو يبدعه الخيال ، كما هو الأمر في أكثر الدعوات ، وما تزخره للناس أو تغرى به السذج ، وإنما هي أسس عرفها واقع الحياة الإسلامية ، وعرف العالم حضارتها ، بل لقد شهد لتلك الحضارة علماء ومؤرخون من غير المسلمين فكان منهم من قال ( لم يفتح الإسلام العالم ولكنه غزاه بحضارته ) (١) وكان منهم من قال ( الحق أن اتباع محمد ظلوا أشد من عرفته أوروبا من الأعداء أرهاًباً عدة قرون ، وأنهم كانوا عندما لا يرهبوننا بأسلحتهم — كما في زمن الحروب الصليبية — كانوا يذلوننا بأفضلية حضارتهم الساحقة ) (٢) وقال ( أن للحضارة الإسلامية تأثيراً عظيماً في العالم . وأن أوروبا مدينة بحضارتها للعرب ) (٣) .

ونختتم بحثنا هذا بالتأكيد على أن هذه الأسس التي وضعها الإسلام للحضارة تمتاز بخصائص تجعلها أساساً صالحة لبناء حضارة إنسانية عالمية . فهي تمتاز :  
أولاً : بالفرقة الإنسانية التي لا تعرف حدود الأرض أو القوم أو اللغة .  
ولا تقبل تفرقة للجنس أو اللون أو غيرها من المعصبيات .

(١) الحضارة الإسلامية لغرونيوم .

(٢) حضارة العرب لغوستاف لوبون (٥٧٧) .

(٣) انظر حضارة العرب، ص (١٧٦) وما بعدها .

ثانيا : **بالبساطة** وعدم التعقيد مما يجعلها ملائمة لشتى الظروف ومختلف المتطلبات .

ثالثا : **بالشمول** لجميع جوانب الحياة التى تحتاج اليها الحضارة من خلق وعقل وعمل .

رابعا : **يمتاز الجانب الاخلاقى فيها بشمول رائع** للفرد والجماعة والدولة . فكما لا يقبل الاسلام من الفرد مثلا ان يكذب أو يخدع أو يخون أو يعتدى من أجل مصلحته الخاصة ، فكذلك لا يقبل هذه المفايد من الجماعة أو الدولة من أجل القوم أو الوطن أو سياسة الدولة ..

## ويمعد ..

فان الحضارة الاسلامية ذات أساس ايمانى . لان الايمان بالله هو الأساس الاول الذى ترتكز اليه — وهو ايمان يحرسها ، ويجنبها الكثير من المفترقات ، ويجعل عطاءها علما لجميع عباد الله . وهى حضارة تنبعث كبا رايها من نظرة الاسلام الى الكون والى الانسان ، تلك النظرة التى تعطى كل شيء فى الحياة نصيبه ، وتضع كل شيء موضعه ، فلا يمان فيها موضع وعمل ، وللعقل فيها موضع وعمل ، وللروح فيها نصيب كبير ، ثم ان الروح والجسم فيها اليقان يساعد احدهما الآخر ، ولا يطفى جانب فيها على جانب ، فلا ينسى الانسان فيها ربه ، ولا تطفى فيها العبادة حتى تشل العمل أو تعميق الإنتاج .

## نظام شامل

على انه يجدر بنا أن نشير الى أن الاسلام نظام شامل ، وانه اذا أردنا له أن يقيم نظاما حضاريا ، وأن يؤتى ثماره الطيبة فلا بد من رعاية الاسس التى نادى بها جميعا ، وانه لا جدوى من الايمان ببعض الاسلام دون بعضه الآخر . ولا بد لنا بعد ذلك أن ندرك أنه ما من مذهب من مذاهب الأرض ، ولا دين من اديان السماء جاء كالاسلام ، باثنا للحضارة فى كل ميدان من ميادين الحياة ، فاذا هو فى حياة الفرد حرية لا تعرف العبودية لغير الله ، ولا تحدها فى الأرض غير مصلحة الجماعة ، وهو فى نفس الانسان ايمان يدفعه الى العمل ، ويحضه على الاتقان فيه ، وهو ضمير يقظ يحول بين المرء والآثام ، وهو بعد ذلك امر للانسان بالعمل الدائم ، وبكل طاقاته لتسخير الكون لمنفعته ، واعداد القوة لاقامة الحق والعدالة والمساواة فى الأرض .

**هذا هو الاسلام وتلك هى نظرتة ، فما أحوج عالمنا اليوم اليه والى نظرتة ، لينظر من خلالها الى الكون والى الانسان ، وليبنى على أساسها حضارته الجديدة .**

ما أحوج عالمنا اليوم الى الاسلام ليعود الى الارتباط بالله خالقه العلى العظيم . وما أحوجه الى النظرة الاسلامية ، التى تتفرد بانها وحدها من بين اديان السماء ومذاهب الأرض تجمع ما فى الدين من سمو روحى ، الى ما فى العقل من طموح علمى ، الى ما فى العمل من فعالية دائمة ، مستثمرة ذلك كله فى سبيل المثل الأعلى والكمال المطلق .

**ولا يسألنى سائل بعد الذى ذكرت : أين هى اليوم اسس الاسلام فى حياة المسلمين ؟ ولا أين هى حضارة الاسلام فى واقع المسلمين ؟ فما اصدق من قال : ان الاسلام اليوم محبوب بالمسلمين .**

# وخاطرة من سيرة الإمام علي

رضى الله عنه في العلماء الزاهدين ، والحكام العادلين  
والمجاهدين الصابرين ، والمؤمنين الصادقين

للاستاذ سعاد الأفغاني  
كلية الآداب - جامعة دمشق

ما أقصر عمر الإنسان ، سنوات معدودة عليه أن يقطعها إلى نهايته  
في مراحل ، كالعربي القديم يخرج من مكة على راحته إلى الشام ، مكابدا  
حر الشمس في صحاري الجزيرة ، تسلمه مفازة إلى مفازة ، يسير الليل ،  
ويقع في النهار ، لا جديد بين يدي سفره ، غير وهج الصخور ، وسعير  
الهواجر ، ويحار من الرمال من يمين وشمال ، ثم كسر بابسة ، يتبلغ  
بها ، وصباية من ماء يحرص على ألا تنفذ ، فيهلك هو وراحته عطشا ،  
فاذا لمح في طريقه الشاق الطويل مورد ماء أو قليلا من ظل أو نورا من  
خضرة ، مال إليه ، كأنه ظفر بجنة الخلد والنعيم المقيم ، يربع راحته  
وبدنه من سفر مشن وعرق متصبب .

وشهر ذي الحجة والحرم واحدة  
من وأحات الروح ، تبلغها بعد أحد  
عشر شهرا من سير حثيث جاهد ،  
فتجد عليها مالا آخر في انتظارها ،  
تأنس به ، وتحن إلى مباحجه : تخفيف  
من أعباء المادة ، بسل هروب منها ،  
ورياضة النفس على شيء من هجر  
الراحة ومن وعاء السر ، وأخذ  
البدن بشيء من الشطف والحرس  
في الطعام والمشرب والمبهج والسكن  
والملبس ، ثم ابتال على الاتصال بالله

هذا حال الروح اليوم مع صاحبها  
الفارق في عيشه المادي الكادح ،  
الطافح بالهموم والأفراح والأحزان ،  
هي مسافر في صحراء ، هائجة  
ظلمى مكدودة ، على شفا المهالك ،  
أما اللحظات التي نصلها فيها بعالم  
المثل والفضائل ، فهي الواحات  
النضرة في سفرها ، تروى فيه  
ظلماتها ، وتبعث نشاطها ، وتبل  
شوقها ، وترد حياتها ، وتشعر  
بالسمادة فتخلق في عالمها العلوي .

فى منازل وحيه ، ومهابط رحمته ،  
ليلا ونهارا : يراقبه ويبتقى رضوانه  
فى مفداه ومراحه ، ويبيعه وشرائه  
وأخذه وعطائه . وهو ان صلى او قرأ  
القرآن او صام او تهجد ، شعر فى  
ترارة نفسه بأشراق لا يالفه فى غير  
هذه الأيام ايام الحج .

ثم حين يسودع العام الراحل ،  
ويستقبل المحرم من عامه الجديد ،  
سائلاربه خيره وخير ما فيه ، وعائذا  
من شره وشر ما فيه ، وان لم يكتب  
له حج وزيارة ، وجد كل شيء قد أعد  
حوله من وسائل الاعلام ليلائم الجو  
الطوى لهذه الأيام ، شأنه فى ذلك  
شأنه فى رمضان : محطات تتزود  
فيها الروح زادها من العام الى العام  
ومن هذا الزاد سير العظماء  
الصالحين ، الذين عاشوا على الأرض  
وكانهم الملائكة طهرا ونزاهة وسبوا ،  
أبشارا لخبر الناس على النفس  
وهواها ، ولرضاء الله على رضا  
غيره ، وللآخرة على الأولى .

.....

من هؤلاء العظماء الصالحين  
الصحابى الجليل ، أحد العشرة  
المبشرين بالجنة ، وخاتمة الخلفاء  
الراشدين ، أول الناس اسلاما بعد  
السيدة خديجة ، ورييب النبى صلى  
الله عليه وسلم فى بيته صغيرا ،  
وأخوه كبيرا ، البطال الشجاع ،  
والفارس المغوار ، أبلغ الخطباء بعد  
النبى ، ومفزع الخلفاء فى الشورى  
والعلم والقضاء ، أمير المؤمنين على  
ابن أبى طالب .

ومن ظن انه يستطيع المرور ببعض  
مآثره فى صفحات ، فقد ظن جهلا ،  
ان ضخام الجلات لتضيق عن ذلك .  
والذى سنذكره فى هذه الأسطر  
خطرات عن الرجل ، الذى امتحنته  
الدنيا بكل مغرباتها ، فذلت مغرباته

تحت قدميه ، ثم حطت عليه الدنيا  
بكل بلاياها ومضايقاتها ، لتزيحه عن  
صلاته فى الحق ، فخصت البلايا  
والمضايقات ولم يتزحزح ، وبقي على  
ابن أبى طالب معلما من أشخ العالم  
فى تاريخ الإنسانية ، ومثلا أعلى  
للحاكمين ، الذين لا يعيشون لأنفسهم  
وانما يعيشون للخير العام ، والفضيلة  
الخالصة ، والمثل الرفيعة النبيلة ،  
هازنا بكل المرغبات والمرهبات ، التى  
تقوم أعذارا لكبار الرجال ، حين يميل  
فى أيديهم الميزان .

ومن قرأ التاريخ وكتب الطبقات  
وجد عليا فى الصف الأول من كل  
طبقة : فى مقدمة الفرسان الشجعان  
وفى طليعة المجاهدين القواد ، وعلى  
رأس العلماء الزهاد ، وأول القضاة ،  
وفى المحدثين والمفسرين ، وفى البلغاء  
الخطباء ، وفى المتصدين الأجواد . .  
انه أمة فى رجل ، وليس هذا بكثير  
على ريبب النبوة فى منزل الوحي .

وخاطرة اليوم تحوم حول منقبته  
راعيا للأمة ، وأميرا للمؤمنين ، وكلنا  
راع نو سلطان قل او كثر ، لكننا لا  
نملك من أنفسنا ما ملك من نفسه ،  
فاذا استطعنا ان نتمثل مواقفه ، كلها  
جيمت بنا الأهواء فاعتدينا به مسا  
وسعنا الاقتداء ، كان هذا حسبنا نلعا  
وخيرا .

لم يكن لهوى النفس ولا لسكرة  
السلطان سبيل على هذا الراعى  
العظيم ، حتى فى المواقف العصيبة  
الدقيقة التى لا ينجو فيها العظماء من  
ضعفهم البشري .

انتقل رسول الله صلى الله عليه  
وسلم الى الرفيق الأعلى ، فطاشت  
العقول ، وأخذت الناس غشبة  
المصيبة ، كبارهم وصغارهم فى ذلك  
سواء ، حللهم وضمناؤهم ، ثم  
رجعوا الى أنفسهم قليلا قليلا ،



وعرفوا أن لا بد من خليفة للرسول يقوم بأمر الناس ، والتفتت أذهان كثير من الصحابة إلى علي ، فلما بويع أبو بكر كان له على نعم المشير ، ونعم المعين ، ولم يائف أن يكون جنديا في خلافة أبي بكر ، ولو كان لنفسه عليه سلطان كما تمهد في المرشحين ، ودعا إلى نفسه ، لوجد المؤيدين ، لكن عليا وعمر وعثمان وأبا بكر طبقة من البشر كيار النفوس ، قل أن يوجد الزمان بمثلها .

ثم بايع الناس عمر ثم عثمان ، فخلص على التصح لهما ، ويبقى كمهده أمام أبي بكر حسن طاعة وسماحة وخلوص نصح ، وعرفوا له جميعا عظمة نفسه ، وأنه ركن من أركان المسلمين ، حتى حين تطلب على عثمان آخر حياته بطانة في اخلاصها شك ، وجعلته يطرح رأى على ، ويأخذ برايهم ، حتى في ذلك الحين لم تأخذ عليا موجدة ما على عثمان ، واستمر على تقديم كل خير يطيقه .

ثم آلت الأمور — كما يعرف قراء التاريخ — من سوء إلى أسوأ ، وحوصر عثمان ، وتآلبت عليه زمر الشر ، فحجرت معها الصالح وغير الصالح ، ولم تخامر نفس على في هذا الموقف نزوة ولا انتصار لرأيه ، بل عذر عثمان ، وهب ينافع عنه ، ويخفف من غلواء أهل الأمصار .

ولما بلغ السيل الزبى ، وغلب رأى بطانة السوء ، ترك ابنه الحسن والحسين بسيوتهما على باب الدار — دار عثمان — يحيطانها مع نفر من خيار الصحابة وأبناء المهاجرين والأنصار ، وحذرهما أن يخلص أحد من الغوغاء إلى عثمان ، وفيهما عين تطرف .

ولكن الأشرار تجنبوا الباب ، وتسوروا جدارا لا حراس عليه ،

ووقع القضاء بالخليفة الصابر الشهيد وهو يقرأ القرآن ، فلما بلغ عليا مقتله ، لم تسمع الأرض ، وأسرع إلى الدار ، فلم يكن منه إلا أن لطم ابنه الحسن والحسين ، فلانسا ليهما التتصير ، وهذا موقف يحسن أن يقف عنده طويلا زعماء الأمن واليوم ويتنبهونه حق التفهم ، حتى لا ينصروا نزواتهم وأهواءهم حين يختلفون ، وينسوا شعوبهم ومصائرهم ، لقد كان أحوج الناس إلى هذا الدرس زعمائنا يوم نكبة فلسطين ، وهم الآن إليه أحوج .

ثم بويع علي ، ولكن أية بيعة ؟ انها لم تكن كيبيعة عمر وعثمان ، لقد آلت اليهما أحوال موافقة ، وسياسة رشيدة حازمة ، وأمر جميع ، وكلمة موحدة ، وأمة تناهض عدوها صفا واحدا ، وتسمى إلى نشر رسالة واحدة ، وآلت إلى على أحوال منتشرة ، وسياسة انسدها بطانة السوء ، وأمر شتيت ، وكلمة متفرقة وأمة يناهض بعضها بعضا ، والعدو بها متربص . . فحمل الأعباء بمزيم البطل المتفد المؤمن بتأييد الله ، وشمر للأصلاح ، لمغير الولاة الذين اضطرب الأمر على عهدهم ، وبدأ باقواهم شككية واكثرهم حزبا وناصرا : معاوية بن أبي سفيان وإلى الشام على عهد عمر وعثمان ، ونصح الناصحون عليا أن يبقية سياسة ورفقا ، فأبى عليه يقينه وقوته في الإصلاح . ومتى حسب أولو المبادئ والرسالات حسابا للسياسات ؟

خلع معاوية ، فشذ معاوية بالشام عن البيعة والجماعة ، فانشطرت الصف الواحد ، ولم يكد على ينظر في هذا الأمر حتى فوجيء بخرق أوسع : بام المؤمنين عائشة وبطلحة والزبير وأهل البصرة ، وبعض أهل مصر ينسلون من البيعة له ، ويعلمون أن لا بيعة إلا بعد الأخذ بثار عثمان ، وكان هذا

أما الزعيمان الآخران طلحة  
والزبير فقد تقطع قلبه حصرة عليها ؛  
ولما رأى طلحة في القتلى متعمرًا ،  
جعل يمسح الغبار عن وجهه ويقول :  
« أعزّز على أبا محمد أن أراك متعمرًا  
تحت نجوم السماء ويطون الأودية ،  
أنا لله وأنا إليه راجعون . والله اني  
لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة  
والزبير من الذين قال الله فيهم :  
« ونزعنا ما في صدورهم من غل  
إخوانا على سرر متقابلين » صدق  
والله .

انصرف على بكل عزمه الى  
ما يصلح أمر الأمة ، لم يلب في حق ،  
ولا جامل قريبا ولا أفا ، ولم يحتل  
الناس ذلك ، فجهاد اخلص الأتارب  
والأصدقاء ، واحدا بعد واحد ،  
ادركهم ضعف البشر ونصرة الهوى ،  
فارقه ابن عمه واخلص نصحاته  
واقوامه ، عبد الله بن عباس ،  
وانحاز اخوه عقيل بن أبي طالب الى  
عدوه معاوية ، ثم انشقى عليه  
الخوارج لمحاربوه ، وهو ثابت  
كالجبال الرواسخ لا يغير من سيرته .  
وصلابته وادامته قيد شعرة ، واخذ  
الناس يتفوضون من حول الأمير  
الحارس الأمين ، الذي حرم نفسه  
راحته ، ولم يتمتعها من الدنيا بمتاع ،  
انصرفوا الى الملك الذي يكسب لنفسه  
ويعطى غيره . ومضى قدما  
صادقا ما عاهد الله عليه ، أميرا  
أجيرا ، حتى لقي الله على سنة النبي  
الكريم وخليفته الراشدين ، لم يفتر ،  
ولم يبذل مكان الراعي القوي الأمين .

يقول السطحيون من مفلسي  
التاريخ : ( ان عليا ضعيف السياسة )  
وغاتهم انه اختار السيرة التي سارها  
عن بصيرة وروية وتصميم ، حين

المطلب أقرب الى التمييز في تلك  
الظروف ، يبذل على من نفسه أعلى  
ما يبذل مصلح مسئول ، وأوشك  
الفريقان على الاتفاق ، بل قد اتفقا ،  
لكن الزمان الى أن يجند على كل  
الحسن ، فبعثت رعويس الشر في  
العسكريين ينشبون القتال في الظلام ،  
قبل أن يفرغ الفريقان ، لتنفيذ ما  
اتفقا عليه ، وظن كل من الفريقين  
الغدر بصاحبه ، وصاحبه يرى ،  
ووقعت الكارثة ، وانفجرت عن عشرة  
آلاف قتيل ، وانهزم أصحاب جمل  
عائشة !!

وفي الليل ، طاف على على  
الجرحي والقتلى من الفريقين :  
انصاره وخصومه ، فعاملهم جميعا  
المعاملة اللائقة ببئله ، وكرم نفسه  
وابوته ، وجعل يقول : « اللهم اغفر  
لنا ولهم » وامر بحمل جيع الجرحى  
والعناية بهم ، وحمل من الحزن على  
هؤلاء ما الله به عليم ، حتى كأنهم  
جميعا أبناءه ، وانه ليشعر أنهم كذلك  
بحكم ولايته .

عاد على الى البصرة  
يتفقد الدور المكتنسة بالجرحي من  
الداء خصومه ومحاربيه ، وتسممه  
أحدى نسوتهم في دخوله وخروجه من  
الطنن والدعاء عليه ما يضيق به صدر  
الحليم ، فيتجاوز تجاوز النبلاء ، ويأمر  
بالاحسان والاکرام ، ويجهز السيدة  
عائشة زعيمة المعارضة أكرم جهاز  
الى المدينة ، ويعطيها ، ويصحبها في  
سفرها الموكب الضخم تعظيما ،  
ويخاطب الناس في وداعها فيقول :

« أيها الناس ، صدقت والله  
وبرت ، وانها لزوجة نبيكم في الدنيا  
والآخرة » ثم يشيعها أميالا ويسرح  
بفيه معها في موكبها الى المدينة .

جعل هدف الحياة ارضاء الله واسعاد البشر ، والا فأمهون الأمور ، أن يبقى معاوية على عمله ، ويزيده فيه ، ويعطى فلانا وفلانا ، وبذلك يكون عند هؤلاء من الدهاة السياسيين . انه اراد الله في كل ما فعل ، فلم يقسم لغيره وزنا . وصدر عن ذلك في كل ما آتته ، وليس عليه أن تواتيه الأمور أو لا تواتيه ، لقد قال الحق ، وعمل بالحق ، وابتغى الحق ، وهذا كل ما على أصحاب الإيمان .

اختلف عليه الناس في حياتهم ، لكنهم اتفقوا جميعا منذ وفاته ، الى يوم الناس هذا على الشهادة بانته كان الحاكم المثالي في كل الفضائل المطلوبة من الحاكم . وليس عليك الا

أن تقرأ في كتب الأدب والتاريخ تلك المجالس التي كانت شيعته تبكيه فيها أمام خصمه القوي العنيد معاوية ، وترثيه بمناقب تلحقه بالأنبياء والمرسلين ، يجهرون بهذا صدعا بالحق ، معرضين أنفسهم لانتقام الحاكم وسطوته ، ثم تتجلى هذه المجالس عن عكس ما اراد منها معاوية ، تتجلى عن تقديس على ، وانتصار الذين كان على إماما لهم ، ثم صار عقيدة في تلويهم ، وعن اقرار معاوية جزينا متحسرا بكل ما قالوا . لقد خضعت القوة القوية أخيرا للحق ، وصاحبه من أصحاب القبور ، وهذا غاية ما يخلد به ناصر للحق مخلص له .

قال معاوية لضرار الصدائي : « يا ضرار صف لي عليا » فقال : « أغضى يا أمير المؤمنين » قال : « لتصفه » قال : « أما إذا أذنت فلا بد من صفته : كان والله بعيد المدى ، شديد القوى ، يقول فصلا ، ويحكم عدلا ، يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويستانس بالليل وظلمته . وكان والله غزير الدمعة ، طويل الفكرة ، يقب كفه ، ويحاسب نفسه ، يعجبه من اللباس ما قصر ، ومن الطعام ما خشن ، وكان فينا كأحدنا : يجيئنا إذا سألناه ، وينبئنا إذا استثنأناه . ونحن مع تقريبه إيانا ، وقربه منا ، لا نكاد نكلمه لهيبته ، ولا نبتدئه لمعظته ، يعظم أهل الدين ، ويحب المساكين ، ولا يطمع القوى في باطله ، ولا يياس الضعيف من عدله . وأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله ، وفارت نجومه ، وقد مثل في محرابه قابضا على لحيته ، يتلجلج تبلجل السليم ، ويبكي بكاء الحزين ، ويقول : يا دنيا اليك عني ، غري غيسرى ، الي تعرضت ، أم الي تشوفت ؟ هيهات . قد باينتك لانا لا رجعة لي عليك ، فمورك قصير ، وخطرك حقير ، وخطبك يسير . أه من قلة الزاد ، وبعد السفر ، ووحشة الطريق » فبكي معاوية حتى أخضلت دموعه لحيته وقال : رحم الله أبا الحسن فقد كان كذلك ، فكيف حزنك عليه يا ضرار ؟ » قال : « حزن من نزع واحدا في جحرا » .

.....

ان وقفة عند سيرة هذا الراعي العظيم ، تملأ النفس إيمانا وطمأنينة وحفزا الى الصامى ، وتنعش الروح وتشحنها بالقوة ، فتتحمس ميادين الخير قوية مؤمنة . وهكذا يكون المثال الذي تقدمه سير العلماء أجدي

بكثير من عشرات الصحف ، حكما ومواعظ .  
رحم الله عليا أمير المؤمنين ، ورعى الله عنه في العلماء الزاهدين والحكام العادلين ، والمجاهدين الصابرين ، والمؤمنين الصادقين .

# في ذكرى الهجرة

مرزوق

بهفئة الاعطاب ناعسة الطرف  
ففسون من الاغراء والرفق واللف  
واسرعت اسراع الكريم الى الضيف  
ويا بنت احلامي ، ويا ربة الظرف  
لابدى من الاشواق بعض الذي اُخلى  
وان كان الفا ، او يزيد على الالف  
صدائي بحسباني يجل من الوصف  
أبو عفرة المهر الكريم الذي يكنى  
عليه بالوان من المكر والحيف ..  
وتود من البغضاء والسكيد والعنف  
وليس لتقار الجهالة من وقف  
متوجة بالطهر والمنطق العف

سرت بيننا كالحلم في ليلة الصيف  
بكحلة بالسحر بلء جفونها ..  
فيمت شطر الحسن أخطب وده  
وقلت : سلام الله يا أخت يوثع  
حنانك ما هذا الممدود ، واننى  
صدائك لو تبديه اعطيه راضيا  
لردت سلامي ، ثم قالت بعزة  
سل المصطفى المختار عنه فاته  
وحسبك أن المشركين تظاهروا  
وشنوا عليه الحرب يضره نارها  
للمسا رأيت الظلم جاوز حده  
عرضت لخير المرسلين محمد

للأستاذ: يوسف زاهر



وناديتيه : السـبيل قد بلغ الزبي  
الى : .. الى من تسلم الحر قلبها  
الى .. الى من تمنح الحر حبا  
فما هو الا الليل أرخى سدوله  
ويعبر أسوار الجحيم مظلمرا  
بها شاد للدين الحنيف دعائيا  
بان رمت يا هذا اكتساب محبتى  
ووصلى وصل المجد والعز والعلا  
فما الغزل المشبوب سلم نيله  
واعزاز اهل الفضل بالعلم والتقى  
وعيشك فى الدنيا بنفس أبية  
وتخلف بعد الموت ذكرى عزيزة

واضحى جميل الصبر لونا من الخوف  
اذا ثار فى وجه الجبابرة الخوف  
اذا عاك شرب الذل فى حانة الخسف  
واذ برسول الله يهز بالخوف  
الى جنة يحيا دانية التطف  
موطدة الاركبان مأمونة الكنف  
فدوتك هذا النهج تلق به عطفى  
وليس بوصل النهج والخمر والردف  
ولسكنه الاقدام فى موطن الحنف  
واذلال اهل الشرك بالرمح والسيف  
تظل - برغم الفقر - شايخة الائف  
منفرة الأفتنان مسكية العرف

# ياسر وأمل

حول مؤتمر القمة

للشيخ: نديم الجسر

مفتي طرابلس - لبنان

ان يمسح خط اذا ظلمت ندييه  
سيمان ، عندي ، برده ولهيه  
هين على سكونه ووجييه  
ان طال من هذا الجفاء نصييه  
قلبا منييا في الحسباب انييه  
تاتي على القلب الكسير تربييه

اخشى على قلبي ، وانت هبييه ،  
ما بي ، وحقك ، ان يكون منعمي  
كلا ، ولا بي ان يقرر قراره  
لكن احساف قراره واباقه  
ويلى اذا انتهت الحوياة ولم اجد  
نن الحوياة امرها لك اتى



ويظلم يمسو بالبور نمييه  
ويغوض في قدر السمسماء يمييه  
هكذا على علم لدى اصييه  
يجنى ويرجو ان نقسمال لنوبه  
ان المسمال اذا دعاه بجييه

واحرنا للعبد يظلم نغميه  
ويقول ربي شحاتني واهاتني  
واذا اصاب الفخير قال ، بجعله  
يكو ، ويطلب ان يقسمال عناره  
وينام من سنن الحبياة ويشتهى



ووقاهم من غرقاة تهدييه  
ما زال ينهر في القلوب مبييه  
ايهاكم بالله فهي تشعوبه  
نلهو بهن وقد اطل رهييه  
ذاك الشيطان ، وفي الفؤاد ندوبه  
صورا لها يطوى البعيد قرييه  
من عهد مجيد قد اطل شعوبه

يا سادة جمع « الكتاب » شحاتهم  
بالله ، بالاسلام ، بالجرح الذي  
لا تتركوا احقادكم تطغى على  
الخطب في الاسلام فوق صغار  
لم ننس « انفسنا » وكيف اضاعها  
دول نكاد نكون ، في تاريخنا ،  
ما كانت « الحبراء » الا ومضت

عرف القراء فضيلة الشيخ نديم الجسر ككاتب مجيد وباحث دقيق ولكن ربما لم يعرف الكثير منهم أنه شاعر ممتاز أيضا ، وهذه قصيدة من قصائده يعبر فيها لصدق تعبير واجوده عما يجيش في صدورنا جميعا .

« الوهي »

ثُـمـبـ ابي ثـمـبـة هـروبه  
تـرف يـدب الـى الثـمـبـوب نـبـيـه  
مـنى عـلى غـرب الدـمـوع غـريـبـه  
يأس مـع الـايـمـان نـهـر يـشـوبـه  
لـك الـورى والـدين نـحـن قـطـوبـه

القصر لا يبقى اذا لم يهـمـه  
اولى عـلـامـات الزوال لـامـه  
اسـتـغـفر الـرحـمـن مـن يأس بـدا  
لم يـجـتـمـع ، نـى صـدر عـبد مؤمن  
لـك البـسـيـطة مـلـكـنا ، وعـديـنا



ولـنا مـن الـهر الفـسـيـح عـوالم  
ولـنا مـن الـامـواء اعظـم انـهر  
ولـنا ، بـهر الروم ، اطول سـاحـل  
وعلى مـصـابـره الثـمـلـة تـلقـى  
ويشـد وهـدنا كـتـاب واهـد  
مـهـما تـرقـنا فـلا مـصـدى لـنا  
هـذا بـمـركـة البـقـاء سـلـاـهـنا

ولـنا مـن الـهر الفـسـيـح عـوالم  
ولـنا مـن الـامـواء اعظـم انـهر  
ولـنا ، بـهر الروم ، اطول سـاحـل  
وعلى مـصـابـره الثـمـلـة تـلقـى  
ويشـد وهـدنا كـتـاب واهـد  
مـهـما تـرقـنا فـلا مـصـدى لـنا  
هـذا بـمـركـة البـقـاء سـلـاـهـنا



الا اناء ، مـن القـروح ، نصـيـه  
خلق الـوجـود ومـركـة غـيـوبـه  
شـيرا لـثـمـبـ اترقـه عـيـوبـه  
نـى غـفـلة ، بالـترقـات ، نـشـوبـه  
ثـمـبـا تـوطـا بالـقـمـال جـنـوبـه  
نـديم الجـسر

ان مـسـبـنا قـرح غـيـا مـن مـشـر  
دول هـى المـدنيـا يـداوـلـهـا الـذى  
هـى نـكـبة لـكن اكاد ارى بـهـا  
ما الخـطب ، عـنـدى ، ان يـبـالـت نائم  
الخـطب ان يـبقى الخـمـسـار ملازما



# المسبح والمسبحون

للاستاذ: علي الجندري  
عميد دار العلوم — جامعة القاهرة سابقا

التسبيح — الصلاة ، ومنه قوله — تعالى — « ... وكان من المسبحين »  
والتسبيح — التزنية ، وسبحان الله ، معناه : التزنية عن المصاحبة  
والولد ، وقد نصب على المصدر ، كأنه قال : أبرء الله من السوء براءة .. أو  
معناه : السرعة اليه والخفة في طاعته ، والتسبيح أيضا : صلاة التطوع .  
وسبح — كمنع — سبحانا — وسبح تسبيحا : قال : سبحان الله ،  
وسبحة الله — بضم وسكون — : جلالة .  
والسبحة : خرزات تعد ، يسبح بها ، وهى أيضا : التطوع من الذكر ،  
والدعاء ، تقول منه : قضيت سبحتى .

## جواز التسبيح بأداة :

ومى ترجية أبى الدرداء : انه كان يسبح فى اليوم مائة ألف تسبيحة .  
وكان خالد بن معدان يسبح فى اليوم أربعين ألف تسبيحة ، سوى ما يقرأ .  
قال السيوطى : ومن المعلوم المحقق : ان المائة ألف ، بل الأربعين ألفا .  
واقبل من ذلك لا يحصون بالانامل . فقد صح بذلك وثبت انهما كانا يعدان بألة .

## التسبيح بمقد اليد :

أخرج ابن أبى شيبه — وأبو داود ، والنسائى ، والحاكم ، وصححه من  
ابن عمر — رضى الله عنه — قال : « رأيت النبى — صلى الله عليه وسلم —  
يمقد التسبيح بيده » وأخرج ابن أبى شيبه ، وأبو داود ، والترمذى ، والحاكم  
عن « بسيرة » — وكانت من المهاجرات — قالت : قال رسول الله — صلى الله  
عليه وسلم — عليكم بالتسبيح والتهليل ، والتقديس ، ولا تغفلن مقتسين التوحيد  
واعقدن بالانامل ، فانهن مسئولات ومستطقات » .



ولمى كتاب « تحفة العباد » ( قال بعض العلماء : عقد التسبيح بالأنامل أفضل من السبحة ، لحديث « ابن عمر » المتقدم .  
ولكن يقال : ان المسيح ان آمن الغلط ، كان عقده بالأنامل أفضل ، والا فبالسبحة أولى .

### التسبيح بالحصى والنوى :

أخرج الترمذى والحاكم والطبرانى عن « صفية » — رضى الله عنها — قالت : « دخل على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وبين يدي أربعة آلاف نواة أصبح بهن » .

فقال — « ما هذا يا بنت حبي » ؟

قلت — « أصبح بهن » .

قال — « قد سبحت منذ قمت على رأسك أكثر من هذا » .

قلت — « علمنى يا رسول الله » .

قال — « تولى سبحان الله عدد ما خلق من شئ » .

وكان سعد بن أبى وقاص — رضى الله عنه — يسبح بالحصى أو النوى .  
وعن سعد بن أبى وقاص أيضا : أنه دخل مع النبى — صلى الله عليه وسلم — على امرأة — وبين يديها نوى أو حصى تسبح به .

فقال : « أخبرك بما هو أيسر عليك من هذا وأفضل (تولى : « سبحان الله عدد ما خلق فى السماء ، سبحان الله عدد ما خلق فى الأرض ، ولا اله الا الله مثل ذلك ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم مثل ذلك » .

وعن أبى بن كعب عن جده عن أبى صفية مولى النبى — صلى الله عليه وسلم — أنه كان — أى أبى صفية — يوضع له نطع (1) ، وي جاء بزئيل (2) فيه حصى ، ليسبح به الى نصف النهار ثم يرفع ، فإذا صلى الاولى أتى به ، فيسبح به حتى يمسى .

وعن يونس بن أبى عبيد عن أمه ، قالت : رايت أبى صفية — رجلا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم — وكان جارنا ، قالت : فكان يسبح بالحصى .

وعن القاسم بن عبد الرحمن ، قال : كان لأبى الدرداء نوى من نوى المجوة فى كيس ، فإذا صلى الفداة (3) أخرجها واحدة واحدة ، يسبح بهن حتى ينفذن .

وأخرج ابن سعد عن أبى هريرة — أنه كان يسبح بالنوى المجزع (4) .  
وأخرج ابن أبى شيبه عن أبى سعيد الخدرى : أنه كان يسبح بالحصى .  
وعن رجل من الطفاوة (5) قال : نزلت على إبراهيم — ولمى بعض النسخ أبى هريرة — ومعه كيس فيه حصى أو نوى ، فيسبح به حتى ينفذ .

(1) النطع — بساط من الأديم .

(2) الزئيل — القفة .

(3) الفداة — الصبح .

(4) المجزع — ما فيه سواد ويبيض .

(5) الطفاوة — بضم الطاء — هى من قيس عيلان .

وقال شيخ من الطفاوة — بينما أنا عند أبى هريرة بالمدينة ، وهو على سرير له ، ومعه كيس فيه حصى أو نوى ، وأسفل منه جارية سوداء وهو يسبح به ، حتى اذا انفذ ما فى الكيس ، القاه اليها فأعادته فى الكيس ، فدفعتة اليه يسبح به .

### التسبيح بالعقد :

وكانت فاطمة بنت الحسين ، تسبح بخيط معقود فيه عقد .  
وكان لأبى هريرة خيط فيه ألفا عقدة ، فلا ينام حتى يسبح به .  
ومن عكرمة — فكان لا ينام — أى أبا هريرة — حتى يسبح به اثنتى عشرة ألف تسبيحة .

### التسبيح بالسبحة :

عن أم الحسن بنت جعفر بن الحسن عن أبيها عن جدها عن على — عليه السلام — برنوعا « نعم المذكر السبحة » .  
وقد قال عمر المالكي لأستاذه الحسن البصرى — ورأى فى يده سبحة —  
انت يا أستاذ مع عظم شأنك ، وحسن عبادتك ، وأنت الى الآن مع السبحة ؟  
فقال له الحسن — شئء كنا استعملناه فى البدايات ، ما كنا نتركه فى النهايات — أحب ان أذكر الله بقلبي ، ويدي ولساني .  
وذكر ابن خلكان « قى » و« فيات الأيمان » انه رأى فى يد « أبى القاسم الجنيد » يوما سبحة .

فقال له — انت مع شركك ، تأخذ بيدك سبحة ؟

فقال — طريق وصلت به الى ربى ، لا أمارقه .

وكان الامام — أبو عبد الله محمد بن أبى بكر بن عبد الله ، وشيخه الامام — أبو العباس أحمد بن أبى المحاسن ، وشيخه — أبو المظفر الترمذى ، وشيخه — أبو الثناء ، وشيخه عبد الصمد بن أحمد بن عبد القادر ، وشيخه — أبو محمد يوسف بن أبى الفرج ، وشيخه — أبو الفضل بن ناصر ، وشيخه — أبو محمد عبد الله السهرقندى ، وشيخه — أبو بكر محمد بن على السلى الحداد ، وشيخه — أبو نصر عبد الوهاب المقرئ ، وشيخه — أبو الحسن على بن الحسن الترقى الصوفى ، وشيخه — أبو الحسن المالكي ، وشيخه — الجنيد ، وشيخه — السرى السقطى ، وشيخه — معروف الكرخى ، وشيخه — أبو بشر الحافى ، وشيخه — عمر المالكي ، وشيخه — الحسن البصرى ، كل هؤلاء كانوا يمسكون بالسبح .

قال السيوطى — وقد اتخذ السبحة سادات ، يشار اليهم ، ويؤخذ عنهم . ويعتمد عليهم ، فلو لم يكن من اتخذ السبحة غير موافقة هؤلاء السادة ، والدخول في سلكهم لكفى ، فكيف بها وهي مذكرة بالله — تعالى لأن الانسان قل أن يراها الا ويذكر الله ، وهذا من أعظم فوائدها ، وبذلك كان يسميها بعض السلف المذكرة — أى المذكرة بالله .

ومن فوائدها ايضا — الاستعانة على دوام الذكر ، كلما رآها ذكر انها آلة للذكر ففاده ذلك الى الذكر ، فها حبذا سبب موصل الى دوام ذكر الله — عز وجل .

وكان بعضهم يسميها — « حبل الوصل » .

وبعضهم يسميها — « رابطة القلوب » .

ولم يُنقل عن أحد من السلف ولا من الخلف ، المنع من جواز عد الذكر بالسبحة ، بل كان أكثرهم يعدون بها ، ولا يرون ذلك مكروها .

وقد رنى بعضهم بعد تسبيحه ، فقيل له — اتمد على الله ؟

فقال — لا — ولكن أعد له .

والمقصود — أن أكثر الذكر المحدود ، الذى جاءت به السنة الشريفة ، لا ينحصر بالأنامل غالبا ، ولو أمكن حصره ، لكان الاشتغال بذلك ، يذهب الخشوع .

### نادرة :

ويقول السيوطى — اخبرنى من اثق به — انه كان مع قافلة في درب « بيت المقدس » فقامت عليهم سرية من الاعراب ، وجردوا أصحاب القافلة جميعا ، وجردونى معهم . فلما اخذوا عمامتى سقطت المسبحة من راسى — فقالوا — هذا صاحب مسبحة ، فردوا على ما كان أخذ منى ، وانصرفت سالا .

### وصف السبحة :

قال فيها عبد الدين المناوى :

ومنظومة الشمل يخلو بها      اللبيب فتجمع من همته .  
إذا ذكر الله جل اسمه      عليها تفرق من هيبته .

وقال النحيسى في سبحة سوداء :

وسبحة مسودة ، لونها      يحكى سواد القلب والناظر .  
كانى وقت اشتغالى بها      أعمد إياكم يا هاجرى .

وقال شوقى :

ما تلك أهـدأى نظـم      بينها الدمع السكوب  
بل تلك سبحة لؤلؤ      تحصى عليك بها الذنوب

وقد أعدى بعض الأصدقاء الى الشاعر المرحوم محمد الأسمر في شهر من شهور رمضان مسحة طريفة ، كل حبة منها ذات لونين أصفر وأسود ، فقال يصنها ويصف أحوال بعض المسبحين .

من عفر وعسجد	مسبحتي كأنها
ح ، للظلام الأسود	ضبت تبائير الصبا
مسبحتين في يدي	فمن رآها ظنها
من معبد لمعبد	رقطاء الا أنه
تعفى كل ملحد	وهي - ولا ناب لها
وما به من شهد (١)	أحب بغيرها الأند
لب ، ضبط الممد	عكازة المستفر الط
وزينة التعب	وحليمة التهجد
يلهو بها أخو الدد (٢)	وربما الغيث
كما ترى في المسجد	فقد ترى في حانة
ادهي وشعر الممد (٣)	وعدة للنصب من
تلق حمارا تصطد	هبالة الخاتل ان
وهي نسيب المفسد	يحلمها في كفه
هداية للمهدى	ومن رآها ظنها
سمرت ملء البلد	شاعت وذاعت فهي انى
يا « رمضان » فاشهد	قالوا - اتى موسمها
لسانك كالمبرد	كم صائم مسبح
كالخنجر المبرد	سبحته في يده

### سبعة زبدان التاريخية :

كانت لام المقتدر العباس قهرمانة تسمى « زبدان » وكانت ممكنة من خزانة الجواهر وفيها جوهر الخلافة - فأتخذت سبعة تشتمل على ثلاثين درة متشابهة في الوزن واللون كل واحدة منها كبيضة العصفور ، مفضلة بمشر يواقت ، لم ير مثلها في مقد ملكة ، ولا خزانة ملك .  
فصارت مثلا في النفائس والذخائر .

(١) الأند - من ليس في فيه من .

(٢) السد - اللهو .

(٣) يحلمها من نطق عليهم التصاميم المحتالون ليظهروا بمظهر المتعبدين ليطمن لهم صيدهم من الغفلين .



لشبح عبد المنعم النمر

## ونحن نستقبل العام الجديد

لا أدري - أخى القارىء - ونحن نستقبل العام الرابع من عمر مجلتنا الحبيبة ، أى الخواطر أتحدث عنها معك فى هذه المناسبة ؟ ، وهى تتزاحم كما يتزاحم الماء المتدفق عند المجر الضيق ، وأنها لخواطر المجلة فى ثلاث سنوات مع قرائها ، وحديث القلب الى القلوب الكبيرة التى تعيش معنا دائما على بعدها الحسى عنا .

أننى وأنا أستقبل العام الرابع أنظر الى الوراء ، الى ثلاث سنوات مرت فى جهاد مرير بسلاح الكلمة ، ولكنه شيق الى النفس ، من أجل هذا الدين الذى اختاره الله طريقا وحيدا لنظام الحياة السعيدة الهادئة ، ومن أجل الوطن الاسلامى الذى حمل أمانة الله ، وأمانة التاريخ ، ثم بدا وكأنه قد تخطى عن أمانته ، وغرط فى سماعته ، ثم يبدو الآن وكأنه أحس واقعه مقلبها الخروج من هذا الواقع ، مستأنفا حمل الرسالة بجذارة وثقة ..

أتذكر الآن كيف كنا ونحن نعد العدة لإخراج هذه المجلة . ونرسم أماننا صورا متعددة لمجلة نريدها فى موضوعها وأسلوبها ومظهرها مغرية بالاتبال عليها ، وامتصاص مادتها ، وتشرب روحها ..

نريد بها أن نحول أفكار الناس وبخاصة الشباب ، عن مكرتهم التقليدية عن المجالات الدينية ، وخلوها من المادة الجذابة ، والمظهر المشجع على القراءة ، ونضع أمامهم صورة جديدة مشرقة للمجلات الدينية الهادئة ، التى لا يصرفها العناية بالجواهر ، عن العناية بالمظهر ، فإن أعمال المظهر ، أو سوء العرض ، كثيرا ما يضر بالسلعة الاصلية الثمينة ، ويصرف الانتظار عنها .

واستعنا بكل تجاربنا وآمالنا ، وبتجارب الخالصين وآمالهم ، وبالاستعداد الكريم من المسؤولين لاحتضان هذا المشروع الاسلامى وتشجيعه ، وخطبونا أولى خطواتنا على الطريق فى ثقة ، ولكن فى استحياء . وانتظار لرد الفعل ..

والآن ، وبعد ثلاث سنوات مضت ، أشعر بكثير من فضل الله بغيرنا ،  
وبوسعده الكريم للعاملين يحفنا من أول عسدد أخرجناه .. وائنا الاعمال  
بالتنيات ..

لقد كان صدى جيلا طيبا . وجزء معادلا ، للعمل الجاد الهادف ، وللننيات  
المخلصة ، فزادنا ايانا وثقة بوعده الله ورعايته ، كما زادنا اصرارا على بذل  
الكثير من الجهد والاستهانة بالكثير من المناعب ..

فما كنا نتوقع أن نصل اليه في عشرة أعوام — وكان ذلك أملا ضميما على  
أساسي الضوء الخافت الذي كان يحيط بالمجلات الدينية — وصلنا اليه بحمد الله  
وعونه في مدى قصير ، ووجدنا الاضواء تسلط على المجلة من كل ركن من أركان  
العالم .. أو وجدناها تضيء قلوبا في كل ركن من أركان العالم وينعكس الشعاع  
من هذه القلوب ليصل إلينا هنا ، فيزيد طريقنا نورا وبصيرة ، ويزيد من عزيمتنا  
جهدا وتضحية ..

ما كنا نتوقع أن نجد انفسنا بعد هذه المدة القصيرة من عمر المجلة ،  
مضطرين لطبع ( ٤٠ ) أربعين ألفا منها ، لنلبى ما يمكن لنا تلبية من حاجة  
القراء ، ويجد المسؤولون انفسهم أمام هذا النجاح ، مقبلين على بذل كل ما يمكن  
لهم بذله ، لتوفير الامكانيات التي تفسح لها الطريق الى يد كل قارئ ..

ولعلني أضاع الأمور في نصابها اذا قلت أن المسؤولين يعتبرون الخدمة  
التي تؤديها المجلة للإسلام والمسلمين ، انما هي من الخدمات العامة التي تقوم  
بها الوزارة ، لا ينتظرون من ورائها كسبا ، بل ولا ينتظرون منها أن تغطي  
نفقاتها ، وحسبهم في هذا — عند الله وعند الناس — أنهم يسهمون في خدمة  
هذا الدين الذي ارتضاه الله لمباداه .

ومن هنا عملت الوزارة من أول يوم على أن تكون أسعارها في متناول  
كل يد ، وأن تتحمل فوق مئونة طبعها وأخراجها ، مئونة حملها الى كل قطر  
عربي وغير عربي بالطائرة .. وليس ذلك بالأمر الهين فإن العدد الواحد قد  
يتكلف حمله بالطائرة ما يوازي ثمنه الذي يباع به في بعض البلاد ، ويزيد عن  
الثلث أضعافا في البعض الآخر .. والوزارة مع ذلك جد مفتبطة لقيامها بهذه  
الرسالة الدينية .. ويضاعف من سرورها أن تجد لهذه الرسالة آثارها الطيبة  
في كل مكان . وأن تصل إليها الرسائل متتابعة من كل ركن من أركان العالم ،  
تشيد بهذا الجهد الذي تؤديه ، وتشد على كل يد تشارك فيه ..

وكم كنت أود أن يتسع المجال لأضع أمامك بعض هذه الرسائل المشرقة ،  
التي نعتبرها باقات زهور تصلنا من أنحاء متفرقة في أمريكا وآسيا وأفريقيا ..  
من الأفراد والجامعات والهيئات .. وكلها يشيد بمستوى المجلة الفريد بين  
المجلات الإسلامية وبحرصها على أن تعرض الإسلام ومبادئه بلغة العصر .  
وتناقش قضاياها على ضوء الدين والعقل ، وعلى أن تلزم بالادب القرآني في  
دعوتها الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، بعيدة عن الخلطات  
الذهبية ، والتيارات السياسية ، مما جعل القلوب والحدود تتفتح لها ..  
وتنتظرها بثغف مع اشرافة الهلال من كل شهر ، وجعل أحد القراء من أحد  
الاعطار يرسل إلينا شاكيا من أن المجلة تأتي في السر ، وتباع في السر ، ولا

يستطيع الحصول عليها ، مع أننا نرسل الى هذا القطر أربعة عشر الفا منها كل شهر ، ولكنها كمية لا تكفيه لتنفيذ بسرعة ، كما يعتمد بعض البائعين الى حجزها لمعاملته .

ولقد حرصنا مع هذا الالتزام على ان تتفاعل المجلة مع الاحداث التي نمر بنا ، والتيارات الفكرية وغير الفكرية التي تهب علينا . لا تفاعل التابع العاجز ، ولكن تفاعل الموجه الحكيم ، والناقد البصير ، الذي يلتقط المبرة من الاحداث . ويوجه القلوب الحائرة المضطربة الى الهدى الحكيم . ويوقظ الضمائر النائمة لتبصر طريقها المستقيم ، بالكلمة اللينة حيناً ، والقاسية غير الجارحة حيناً آخر . وبالإيحاء والإشارة الواضحة حيناً ، وبالمراحة التي لا تثير العناد حيناً آخر . . . وهى تهدف الى ذلك كله الى ان تجنب المسلمين خطورة الانحلال والتفتت ، وتجمع الشمل حول كلمة الله ، ونداء العقل ، ومصلحة البلاد . . .

ومع ان التيارات المذهبية الاسلامية تكاد تفوق في حدتها وتشعبها التيارات السياسية ، ومع ان الاشتباك السياسي يتخذ من الدين احياناً كثيرة ميداناً لمعاركه ، ومع ان المجتمع الاسلامي تفشاه آراء دينية متفاوتة البعد . . ما بين متمسك محافظ على الموروث من كلام السابقين وآرائهم لا يريد أن يحدد عنها ، وبين من يعطي نفسه حرية التحرك والفهم والاختيار من كلام السابقين او الاستنباط في دائرة الهدى الحكيم ، وبين من لا يرضيه هذا ولا ذاك . ويريد ان يطوع الدين لاغراضه بحجة التطور وملاءمة العصر .

اقول مع هذه التيارات كلها نشق طريقنا الى الهدف الذي نؤمن به . وإن كنا نجد منتهى الصعوبة والحرر احياناً في اختيار الرأي . والكلمة المبررة عنه . ونجد أنفسنا مضطرين احياناً الى ان نجعل المجلة ميدان نقاش هادئ هادف . بين هذا وذاك ، بقصد الوصول الى رأى ناضج . فان الحقيقة بنت البحث كما يقولون ، والحجة تفرع بالحجة . لا بالشتم . ولا بكيل الاتهامات جزائماً .

ومع هذا كله لا ندعى أننا وصلنا الى ان نكون محل رضا من الجميع . فنك غاية لا تدرك . . . ولكن حسبنا عند الله أننا نجتهد لنصل الى الصواب . والعقلاء يعرفون مما علمنا الرسول اياه : ان من اجتهد فأخطأ فله اجر . ومن اجتهد فأصاب فله اجران ، ولا يبيح عاقل لنفسه امام هذا ان يجرئنا حتى من الأجر الواحد ، ان اختلف معنا . او لم يعجبه شيء مما تقدمه اليه . ولقد قلت في افتتاحية اول عدد أننا نرحب ونفرح بالتقد الهادف . وشمارنا في هذه المجلة : **رحم الله امرأ اهدى الى غيوبى . .**

ومع دقة الظروف والاضاع التي تغشى عالمنا العربي ، ومع شدة الحساسية من القراء ، ومع ما يفرضه طبيعة الحيا الذي تنبت في ظله المجلة ومنه تخرج ، اقول مع ما يفرضه هذا كله . فاننى لا اعتقد أننا توانينا عن واجبا في ابداء الرأي لاصلاح حال هذه الامة . ولا غضضنا الطرف عما جرى ويجرى فيها من امور شاركت مشاركة فعالة في تأخرها ثم في هزيمتها . . بل كنساً صرحاء . ولكن في حكمة — مع أنفسنا ومع قرأنا وقادتنا ، صراحة حتمتها حالنا .

وفرضتها مرارة الهزيمة التي حلت بنا ، والرغبة فى الخروج منها ، والتخلص من آثارها .. ولا اغالى اذا قلت : ان القراء قد وجدوا فيها كتبناهم وقدمناهم اليهم تعبيرا صادقا حرا عما فى نفوسهم ، اعتقد انهم لم يجدوه فى مجال آخر ..

كتب لى رئيس تحرير صحيفة يومية كبيرة تطبع ربع مليون نسخة يوميا يقول : ان ما نقوله « الوعى الاسلامى » هو ما كان يجب على كل صحيفة وعلى كل كاتب ان يقوله فى هذه الظروف ..

وكتب لى وزير عربى سابق يقول : « اود ان ابلفكم بكل صراحة لا شأن للمجاملة او المودة فيها اخلص التهنة على ماقدمتموه فى الاعداد الاخيرة من « الوعى الاسلامى » من كلمات تمتاز بصراحتها ونضجها وعمقها ، ووعيتها الكامل لحقيقة الاحداث ، وتعاليلها عن الاساليب اللامسئولة ، التي تمتلئ بها الصحف العربية ، ودنيا العرب العامة . ولقد كنت اطرب وانا اقرا بعض هذه الكلمات طربا عقليا شديدا ، وآلم فى الوقت ذاته لما شديدا حين اثارن ذلك بما يبدو من تقصير الكتاب فى الصحف السياسية عن اللحاق بأسلوب المسئولية الرفيع الذي تمتاز به كلمات « الوعى الاسلامى » ، ولكم تمنيت — وانا اقروها — ان تتواجد فى البلاد العربية صحافة سياسية على نسبتنا ، تصدر عن شعور عميق بالمسئولية ، لتلمع دورها الحيوى فى توعية شعبية حقيقية ، لا عن روح تطبعها الانانية والانتهازية ، وعدم المبالاة بكل الاعتبارات والقيم العظيمة ، التي كان التخلى عنها سببا أساسيا فى انحطاط الامة العربية وانحدارها ، عندما انغمست فيها تنغمس فيه الآن من الصفات التي تاباها الروح العربية الاصيلة ، والشوائب الاسلامية الكريهة ، مثلما كان التخلى بها سببا فى رفعة الامة العربية وعظمتها فى الايام الغابرة ، لذلك كله بورك فى « الوعى الاسلامى » صراحة الرواد المخلصين ، ونضج العلماء المجريين وبورك الوعى المدرك ، والأسلوب الرفيع ، وبالله عليكم زيدونا من فهمكم فيها ، ومن وعيكم وعيا ، وانثروا دروب المنتفعين بكم ، تسهموا فى خدمة امتكم العربية ، وعالمكم الاسلامى اسهاما عظيما ..

صورة يرسمها قارئ من ذوى الثقافة الواسعة . والادراك الواعى . عاشى فى معترك الحياة السياسية سفينة طويلة ، ثم تركها ، ولم يكن من الذين يجولون فى الفلك الدينى . ولكنه كما يقول — جذبته « الوعى الاسلامى » فأصبح من قرائها وعشاقها كما ترى .. وفى اطار هذه الصورة تلقى معالى الوزير : والسيد الوكيل . كما تلقينا فى المجلة عشرات الرسائل من جميع انحاء العالم . وكلها تجمع على انهم وجدوا فى « الوعى الاسلامى » شيئا جديدا وروحا متوثبا ، لم يأنسوه فيما قرؤوا ويقرعون من مجلات ..

ونحن لا نملك ازاء هذا كله الا ان نحمد الله على ما وفقنا اليه . ونسأله سبحانه المزيد من عهده وتوفيقه .. ونعاهده ونعاهد القراء على ان نظل سائرين على النهج الذى اخترناه واعلناه . لنظل « الوعى الاسلامى » مجلة الشباب والشيوخ والرجل والمرأة ، تشق طريقها الى القلوب . فى عالم مضطرب حائر . حاملة هداية الله اليها فى غير تزمت ولا تحلل والله الموفق والمعين .



# شباب الإسلام

٢

في شعر  
أحمد محرم

للكئوب: أحمد الشرباصي

المدرس بكلية اللغة العربية - جامعة الأزهر

ونعود مرة أخرى إلى ديوان « مجد الإسلام » :  
إذا كان شاعرنا قد عطر صفحات هذا الديوان بذكر مواقف بليلة بالبطولة  
والإقدام للسابقين الأول من شباب الإسلام ، فإنه لم ينس أن يخصص من هذه  
الصفحات جانباً لفتيات الإسلام ، وها هو ذا مثلاً - وهو يعرض قصة الهجرة  
النبية - يذكر الفتاة المسلمة فيها ، ويشير إلى ما بذلته الشابة المؤمنة أسماء  
بنت أبي بكر رضي الله عنها ، فقد روت السيرة أنه عقب خروج الرسول مع  
الصديق من مكة جاء أبو جهل دار أبي بكر ، فوجد عندها أسماء ، فقال لها أي  
غفلة : أين أبوك ؟

فأجابت وهي صادقة : الله يعلم أين هو . فلطمها أبو جهل لكمة أطارت  
ترطها من أذنفا ، ومع ذلك احتملت أسماء ، وشاركت في اتهام الهجرة  
بخطواتها ، وحملها الزاد إلى صاحبي الفار ، وشق نطاقها نصفين لربط زاد  
المهاجرين ، حتى سميت « ذات النطاقين » .

يصور شاعرنا موقف أسماء مع أبي جهل بقوله :

ويلع أسماء إذ يجيء أبو جهـ	ل على خدرها المصون مغيرا
صاح : أسماء ، أين غاب أبو بكـ	ر ؟ أجيبى فقد سألنا الخبيرا
قالت : العلم عنده ، ما عهدنا	أجم الأسد تستشير الخدورا (١)
فرماها بلطة تعرض الأجيـ	ل عن ذكرها صواف صورا (٢)
تذغت قرطها بميدا ، ورضت	من وجوه النبي وجها نفسيرا (٣)

\*\*\*

(١) الأجم : جمع أجمة ، وهي بيت الأسد .

(٢) الصدوف والصور : الميل والأعراض .

(٣) رقت : دقت أو كسرت . انظر ديوان مجد الإسلام ، ج ٢ ص ١٠ .

ويتحدث محرم عن فرحة المدينة بلقاء الرسول صلوات الله وسلامه عليه يوم الهجرة ، فقد خرجت المدينة من بكرة أبيها تستقبل النبي المهاجر ، والرسول الفاتح للقلوب والعقول ، وفي مقدمة من خرج فتيات كالزهرات من بنى النجار ، يحيين نبي الرحمة بالغناء والنشيد ، ويقفن غميا يقلن :

نحن جوار من بنى النجار يا حبذا محمد من جـار !  
ويثير هذا اللقاء شاعرية محرم فيقول :

ما للديار تهزها نشواتها	أهـى الأناشيد الحسان ترتل ؟
رقت فزارتها ، وطاب أريجها	وترددت أنفاسها تتسلسل
فكانها في كل مغنى روضة	وكانها في كل واد بلبسل
هن العذارى المؤمنات اتبننه	عيدا تحبيه الملائك من عل
في موكب لله أشرق نوره	فيه ، وقام جلاله يتبسل
جمع النبيين الكرام ، فأخذ	بيد الإمام ، وعائذ يتوسل
يمشي به الروح الأمين مسلما	وجبينه نعم النبي مقبل
أيه بنى النجار ان محمدا	لأشد حبا للتي هي أجمل (١)

\*\*\*

وأجد محرم يرى أن الحياة تتلخص في امرين : البيت والولد ، وإن اعداد الأبناء هو الوسيلة لاصلاح البلاد ، فيقول :

أعجلت رأيي في معنى الحياة لمن	يبغى الحياة ، فكان البيت والولدا
هذا يسان بتدبير ومعرفة	وذا يعد لاصلاح البلاد غدا !

وهو يؤمن بأن تربية الشباب أفضل من اقتناء المال ، ولذلك يجب انشاء المدارس لتعليمهم دون مبالاة بما تنفق من مال في هذه السبيل ، فيقول :

نبنى المدارس للطلاب تمهرها وما نبالي أتمام المال أم نفدا

ويطالب محرم بأخذ الشباب بالحزم ، حتى لا تضعف همهم ، ولا تخور عزائمهم ، ولذلك ينمى على أولئك الذين يدللون أولادهم ، فيسيئون اليهم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، فيقول :

أوص البنين بما يعظم شأنهم	من خلة شرف ، ومنع سؤدد
لا تؤذهم بالبر تجهل حكمه	فقرى بمنزلة العدو المفسد
كم والد جمح التدلل بابنه	حتى تمنى أنه لم يولد

ومحرم يؤمن بأن واجب الأب يقتضيه أن يكون تدوة صالحة لابنائه بالقول والعمل ، والإرشاد والمعاونة ، حتى ينشئوا شبابا صالحين ، تساعدهم البيئة بما فيها من حوافز الخير ودوافع الاستقامة على تحصين نفوسهم وتطهير قلوبهم ، فيخاطب الأب قائلا :

عود بنيك الخير ، أن نفوسهم  
ما للبينين من الخلال سوى السدى  
صف بما شأنت يمينك تكتسب  
سنت لهم أم . وأورثهم أب  
ومن الخلال الصالحات مؤدب !  
للبرء من شرف العثيرة زاجر



ولاحد محرم وصاة رائعة . وجهها الى ابنه سليمان . وهى وصاة تصلح نبراسا لكل شاب يريد أن يكون ماجدا فى حياته ، وحينما نظرت فى هذه الوصية البليغة استطعت أن أقسمها الى خمسة أقسام ، كل قسم منها يدور حول أمر له قيمته ومكانته ، فالقسم الأول من الوصية فيه تذكير بحق الوطن العظيم ، مع ضرب المثل على أعزاز هذا الوطن من حياة الشاعر نفسه ، ومن أعماله وجهوده والقسم الثانى منها فيه حث على مجموعة من الفضائل ، مع التحريض على الاستمسك بالدين وعصمة اليقين ، والقسم الثالث فيه تحذير من طائفة من الرذائل وقبائح الأعمال ، والقسم الرابع فيه وصية بالصبر والاحتياط ، مع فسحة الرجاء وسعة الآمال ، وفى القسم الخامس والأخير من الوصية يعود الشاعر الى حث ابنه على الاستمسك بالدين ، لأنه عماد الأمر وملك الحياة .

ان الشاعر فى القسم الأول من وصيته يذكر ابنه بحق الوطن ، ويحذره أن ينساه ، فإنه أمانة فى عنقه دونها الأمانات الأخر ، وأنه الجدير بأن يذهب فداء له والشيب والشباب ، ويقرر الشاعر انه عاش وفيا لوطنه ، لم يخن ولم ينحرف ، ورأس ماله فى حياته حبه لأمته وبلاده ، وفى سبيل هذا الوطن أعد كل شيء : أعد المال والأولاد والروح ، وظل على وفائه من صباه الناصر الى شيخوخته التى وهن لها العظم واشتعل فيها الرأس شيئا .

يقول مخاطبا ابنه :

سليمان ، لا تنس حق الوطن  
شباب البين لمصر الفداء  
فاتت على عهد مؤتمن  
رأت من أبىك فى ماجدا  
وشيب الرجال لمصر الثمن  
يرى حبه من معالى الأمور  
عفيف المذاهب حمر السنن  
أعد لها ماله ، والبنيين  
ويعدها من غوالى السنن  
رعت عهدا نضرات الصبى  
وملكها روحه والبسدين  
فهذا سبيلى ، فلا تمده  
وبر بها العظيم لما وهن !  
عدتك بنى عوادى الزمن ! (1)



والوفاء للوطن والقيام بحقه يحتاجان الى نفس كريمة قويمة ، تستعصم  
 بالقيم والمبادئ وتستعلى على الآفات - والشهوات ، ولذلك ينتقل الشاعر من  
 القسم الثانى من وصاته الى مطالبة ابنه - ومطالبة كل ابن مثل ابنه - بتطهير  
 نفسه عن الفواحش والردائل ، والا يخذعه عن استقامة من زل أو انحرف ، وأن  
 يصون عرضه وكرامته ، وأن لا يقبل الضيم أو الاذلال من انسان ، وأن يحفظ  
 دينه ويلوذ بتماليه ، وأن يتحصن باليقين اذا هاجمته الخطوب أو عادته المحن .

يقول :

ونفسك صنها عن الفاحشات	ولا يستخفنك من لم يصن
وعرضك لا تمتنه الرجال	فان البلية أن يمتنه
وضن بدنيك ، واستبقه	ولا تخطئك أيدى الفسق
واما رمتك خطوب الزمان	فونابتك أرزؤه والحن
فلذ باليقين ، فان اليقين	أجل الدروع وأقوى الجن (١)

\*\*\*

وينتقل الشاعر من القسم الثالث من وصيته الى تحذير فتاه من طائفة  
 من الردائل وأخلاق السوء ، ومن البديهي أن النفور من الردائل يتضمن الحث  
 على مقابلها من الفضائل ، ويذكره من بداية هذا القسم بأن الاصيل الكريم لا بد  
 أن يكون محسنا ، وأن يكره القبيح ويحب الحسن ، ثم ينهاه عن الظلم فانه من  
 سيئات الشيم ، وعن الاستجابة للسفيه من استفزازه ، فان مجاوبته تريحه ،  
 والأعراض عنه يقتله ، وعن العقوق فانه يشين كل مخلوق ، وعن الغضب  
 المؤدى الى الجهالة والفرق ، ويوصيه مع هذا ببعض المكارم ، فيقول :

وأحسن الى الناس ، ان الكريم	يعاف القبيح ، ويرضى الحسن
وايماك والظلم ، لا تأتبه	ومها يقل قائل فاستبين
ولا يستفزك قول السفيفه	فليس يضيرك مهمما يكن
وان آثر الناس دين العقوق	فوال الجيل ، ولا تدمن
وبالرنق من كل ما تبغى	- اذا كنت ذا اربة - فاستمن (٢)
خذ الأمر الحزم ، ان الأمور	لذى الحزم مأخوذ بالرسن (٣)
وعود لسائك قول الجيل	ومها غضبت لسا تجهلن
وهون عليك اذا ما غبت	فلمست بأول حمر غيبن !

\*\*\*

(١) الجن : جمع جنة ، وهى الوقاية .

(٢) الازبة : الدهاء والاحتيا .

(٣) الرسن : العبل .

وفى القسم الرابع من الوصية نجد الشاعر يوصى ابنه بالصبر والاحتفال  
وإذا عرضت له على الطريق ظلمات ، أو صادفته عقبات ، فلا يركن الى اليأس  
والقنوط ، بل ينتظر الشمس بعد ظلام الليل البهيم ، والفجر بعد الدياجي  
المنشرة ، ثم يضرب المثل من نفسه ، فقد مرت عليه تجارب فى الحياة ، وذاق  
مرارة الفشل ولذمة الحرمان ، ولكنه صابر وثابر ، حتى مرت الصعاب وبقى  
إيوانه سليما ورجاؤه عميقا ، والرجل اللبيب الفطن يستطيع أن يتهر المتاعب  
والمصاعب بأخلاقه الثابتة ونفسه مطمئنة ، وإيوانه بأن مع العسر يسرا ، وأن  
مع الشدة ليينا وأن مع الضيق فرجا ومتسعا .

يقول الشاعر :

ورج العوائب أن أخلفتك	مبادئ الأمور ، ولا تيأسن
لقد رضت قبلك هذا الزمان	رياضة مصطبر مطمئن
إذا غضب الخطب أبدى الرضى	وإن عصفت الشر يوما سكن
يثوب له خلق لـين	إذا تاب للدهر خلق خشن (١)
ويشتد حيناً فيلوى به	ويهموى يركنيه أن لم يلسن
وما أن يصيب أذى الحادثات	أخا اللب بين الرجال الفطن
بأخلاقه يتسوى اللبيب	فنعلم السلاح له والمجنن !

\*\*\*

ويبلغ الشاعر القسم الخامس والأخير من وصاته ، فإذا هو يعود الى  
نصح ابنه بالإيمان والامتزاز بالله وطاعته والاعتماد عليه ، ويؤكد الشاعر  
الوصاة فى هذا تأكيداً بليغاً واضحاً ، لأنه مفتتح الأمر وختامه ، فيقول :

الى الله تأسكن ، ودع من ترى	لما لامرئ دونه من سكن
دع الكل وأنس به تسرح	فكل عناء ، وكل حزن
وما ينه عنه فلا تاتيه	وما يرض من صالح فاعملن
مقتواه أفضل ما يقتننى	ومرضاته خير ما يختزن
حملنا الأمانة من ربنا	فطوبى لنفس امرئ لم يخن !

\*\*\*

وهكذا عنى شاعرنا أحمد محرم بالشباب ، وحذرهم معاطب الطريق ،  
ورسم أمامهم معالم السبيل ، وحاسبهم على الهفوات ، وحذرهم من السيئات ،  
وحرضهم على المكرمات ، وأغراهم بمكارم الأخلاق ، لعلمه أن الشباب معقد  
الأمل ومناطق الرجاء ، فعليه سلام ربه فى الخالدين من الشعراء .

(١) يثوب : يرجع .

لقد جعلت سخرية القدر بقوة  
المشركين في أن جعلت من  
جهاة الضار رداً لكيدهم

# حماة الضار

للأستاذ أحمد أبوالمجد

أرايت ما فعلت حماة  
في محبرة مبيونة  
حيث النبي وصاحبا  
والشرك عينا حقه  
رحلا وقد ذاقا بكسة ما تضمنه  
بقامت على الدين الجديد ، علي النبي ، لها قيامه !!

وقفت هجاءا كالسلا  
والسكر القى مرعبا  
أورد كسود المشركين على شراستهم حماه ؟  
أرايتها والعنكبو  
سسلم وحرب جمعا  
في موقف يادي السكراه !!

كانت له هذي علامه  
الناسيات بها خطاه  
عند الآله له دعاه ؟  
أيمان ظل له حسامه  
تمحور في الميدان لاه  
هي قدرة الجبار كل  
من ذا يرد النصر من  
هو أعزل لكتما الـ  
من يضر الرحمن لهم

# بين يدي النبي

للاستاذ: معوض عوض ابراهيم

في مقام النبي بين رحابه      يجد النفس من يلوذ بيبابه  
قد بلغت المنى واسعد نفسي      اننى قد دفوت من اعتصامه  
واجتلى القلب نور احمد في الرو      ضمة من قبره الى محرابه  
في وجوه الآلوف خفوا مشوقين      كشوقي للمصطفى وصحابه  
في دموع الخشوع والشكر لله      واكرم بالدمع في اعرابه  
ان في كل جانب من ثرى احمد      تبدو مشاهد من جنابه

.. .. .

هذه البلاد التي نضر الله ثراها ، وزاد في اطيافه  
منذ آوى الانصار فيها ابا القاسم      سم بعد الوفود من اصحابه  
ها هو المسجد الطهور فسارح      واقض فيه للقلب بعض رغابه  
هذه القبة التي نسخ الليل      سناها ، وما لها من مشابيه  
وهمام الحمى يروح ويفسدو      كيفما شاء ، آمنا غير آبه  
او يخشى غوائل الدهر من جا      ور طه ، وعاشي بين رحابه ؟!  
ذلك المنبر الذي غير الكو      ن هدهداه ، وعب من اكوابه  
وسيقى يذيع في الناس ديننا      خلد الله ذكره في كتفابه  
ووصايا محمد حيث لا معمدل      عنها لكل اصيد نابه  
والذي ينشئ الحياة على السدين      سميد في حاله ومآبه

.. .. .

في مقام النبي سبأمت ربي      لي وللمنبين حسن متابه  
فانلتا الرضى وثبت على الحق      خطي الاخذين في اسبابه

# أول معرض للمصاحف النادرة في العالم

للاستاذ صلاح عزام

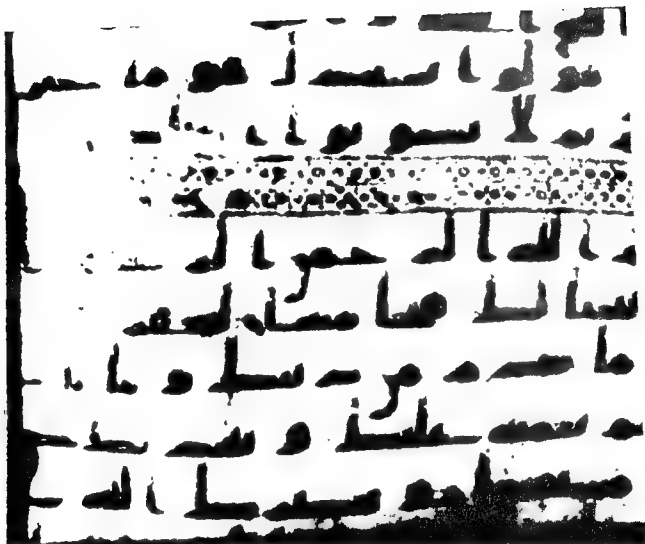
مصاحف عثمان بن عفان ومهفر الصارق وحسن البصري

في الأيام القليلة الماضية انتهى معرض المصاحف الذي أقامته القاهرة ولمدة حوالي شهرين بدأت مع ليلة القدر الأخيرة .

وقد أقيم المعرض في أكبر قاعات دار الكتب بميدان باب الخلق .. وتردد عليه ( ١٩/٨٧٢ ) مواطنا ومسلما من جميع أنحاء العالم الاسلامي المقيمين بالقاهرة والزائرين لها ..

وقضيت يوما كاملا مع العدد القليل من المصاحف التي عرّضت ، والتي لا تتجاوز السبعين مصحفا .. ولكنها تمثل تطور الكتابة المصحفية واحجام المصاحف .. والفن الابداعي في اخراجها ، حتى توقفت ، عند القرن الثالث عشر الهجري .. لتعرض نموذجا واحدا لتطور الكتابة المصحفية بعد ذلك .. بطريقة بريل للذين حرموا نعمة البصر ..

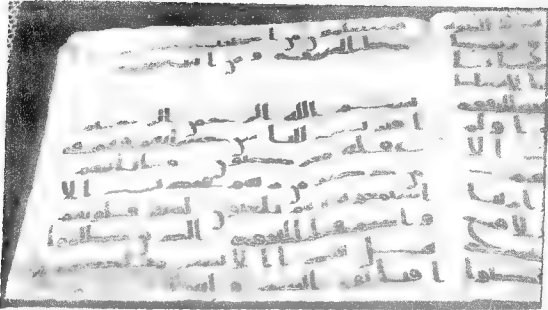




### أكبر مجموعة

وقصة معرض المصاحف يحدثنى عنها الأستاذان : أحمد عابدين مدير عام دار الكتب ، وأحمد عيسى الرحمن رئيس أمناء المخطوطات والمعارض بدار الكتب ، فيقولان . أن دار الكتب تضم أكبر مجموعة من المخطوطات القرآنية فى العالم . . . إذ بها ٢٠٠٠ مصحف مخطوط على مر العصور ، ومن أجل ذلك رأى السيد حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية ووزير الأوقاف والشئون الاجتماعية أن يكون من بين مظاهر احتفالات القاهرة بمرور ١٤ قرناً على نزول القرآن الكريم ، أن يكون هناك معرض قرآنى ، يعرف منه الناس : كيف كانت المصاحف فى أول العهد بها منذ أيام سيدنا عثمان إلى يومنا هذا . . فصارعنا بعرض نماذج من المصاحف من أول مصحف سيدنا عثمان ، إلى أن تطورت الكتابة ، وما يكتب عليه المصاحف - الرق - والدرج - والجلد - والحبر - والورق . . .

ويقولان : أن المعرض لم يكلف دار الكتب استعداداً أكثر من سبعة أيام . . . وبعدما افتتحه السيد حسين الشافعى وبدأ كلمته التى سجلها بهذه المناسبة بقوله .



### مصحف بخط سيدي حسن البصري

« بسم الله الرحمن الرحيم »

الحمد لله الذي شرف مصر ودار كتبها أن تكون مقرا لحفظ المصحاح النادرة التاريخية ، وقد سعدت في مناسبة احتفالنا بمرور ١٤ قرنا على نزول القرآن الكريم بأن أرى هذه الثروة الغضة ليست من ناحيتها العاطفية محسب .. بل وكذلك ما تحتويه من ثروة فنية وتاريخية لا تقدر بثمن .

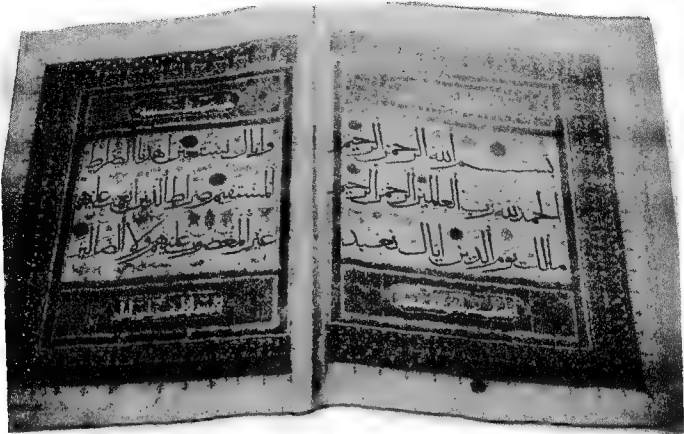
.....

وطوال أيام المعرض جاءت وفود من مسلمى العالم الذين يقيمون في القاهرة أو يزورونها ..

ومن الزيارات التي لا تنسى ما يذكره لي الأستاذ أحمد عبد الرحمن المشرف على المعرض من أن أسرة الطبيب المشهور المرحوم علي - باشا - إبراهيم ، جاءتهم أسرة صديقة من لبنان عندما علمت بخبر المعرض لتشاهده ، وكان هذا في عطلة العيد ، واتصلت الأسرة بمدير دار الكتب تذكر له الأمر ، وترجو منه السماح بفتح المعرض .. فوافق على ذلك واستمر المعرض مفتوحا أيام العطلات ، ومن الثامنة صباحا إلى التاسعة مساء كل يوم ..

وكان المعرض موضوع دراسة تفصيلية لطلبة قسم الوثائق والمكتبات بأداب القاهرة .

وكذلك موضع دراسة فنية لطلبة الفنون الجميلة ، ومعهم أستاذهم الدكتور طه حسين - وهو غير عميد الأدب العربي - الذين ترددوا على المعرض خمسة عشر يوما ، لنقل هذا الفن الإسلامي الرائع ودراسته .



### مصحف قايتباي ٨١٥ - ٩٠١ هـ

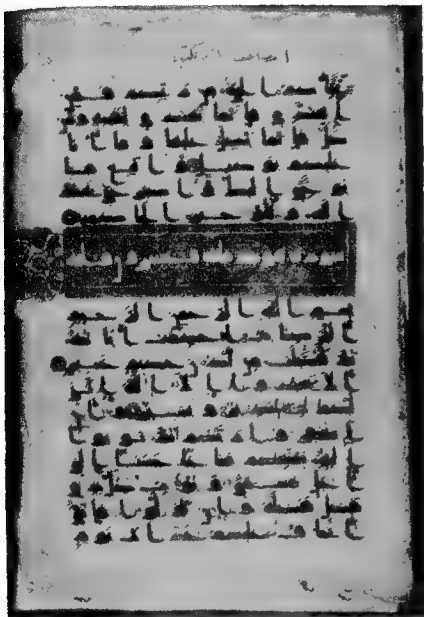
وقد بلغ عدد الذين سجلوا اسماءهم كما سبق ان ذكرنا ( ١٩/٨٧٢ ) ،  
ويضاف اليهم مثل هذا العدد من رواد دار الكتب ، ولم يقيّدوا اسماءهم في دفتر  
زيارات المعرض كما يقول لي المسئولون .

### مع النماذج المعروضة

ومن بين النماذج القرآنية المعروضة .. كانت مصاحف نادرة يقول لي  
المشرف على المعرض ، انها لا توجد الا في دار الكتب فقط .. وأن المعرض  
منها قليل ، ولكنه يمثل أولا النادر منها .. ويمثل أيضا هذا الطابع التاريخي  
المرتبط بالقرآن الكريم .. ويمثل ثالثا تطور الكتابة القرآنية ومنها الكتابي  
والزخرفي ..

### أول المصاحف

ومصحف سيدنا عثمان بن عفان ، هو أول ما يلقاه زائر المعرض ، وهو  
بالخط الكوفي ، وكل الذي كتب عليه أنه مصحف عثمان بن عفان الذي كان يقرأ  
فيه لحظة مقتله ، ويشرح لي قصته الأستاذ نصر الله الطرازي الذي تفصل  
مشكورا بصحبتى ، شارحا أن هذا المصحف نسخة مصورة عن المصحف  
الحقيقي الموجود حاليا بطشقند ، وقد أتبع له أن يراه فعلا هناك ، وعليه آثار  
دم سيدنا عثمان ، ومكتوب بجواره هناك نيزة تاريخية تقول : أنه كان موجودا  
في جامع خواجه عبد الله الأحرار ، ثم اشتراه حاكم تركستان ، ونقل إلى



بمصحف جعفر  
الصادق مجلد بقطع  
خشب الصنوبر وفي  
أوائل سورة وبعض  
آياته حليات ذهبية

بترسبرج ، فوضع في دار الكتب القيصرية ، حتى قامت ثورة ١٩١٨ الروسية .  
فنقل في حراسة مشددة الى النظارة العريبة ، حتى عام ١٩٢٣ وبمدها نقل  
الى تركستان ، حيث ظل مدة طويلة في سمرقند ، حتى حوالى الاربعينيات من  
هذا القرن ، فنقل الى طشقند ، حيث يكون الآن بناء على طلب المسلمين هناك .

ومرة اخرى يؤكد لى السيد نصر الله الطرازى ان آثار الدم باقية الى اليوم  
على المصحف الاصلى .. دم الخليفة الثالث عندما قتل رضى الله عنه .

### ومصحف حسن البصرى

وثانى المصاحف المعروضة .. مصحف بقلم كوفى على الرق ، ومن غير  
شكل ولا نقط ، وبه بداية سورة النساء .. وفي آخره انه كتب بخط سريدى  
حسن البصرى عام ٧٧ هـ .

# مصر افند و عيالهم جدا ناو مستخدم بالامانة لا طلع السلطان و روف لحسنهم حصانهم بقوا لادن اسو كوا لادن طاهم

اول مصحف على طريقة ( ابو الاسود الدؤلى )

## ومصحف جعفر الصادق

ومصحف ثالث .. وهو الثالث فى الترتيب .. مفتوح على صفحة واحدة ومكتوب فى القرن الثانى الهجرى ، على ورق ، ومجلد بقطع خشب الصنوبر ، وفى أوائل سورة وبعض آياته حليات ذهبية ، ومكتوب فى آخره أنه مصحف سيدى جعفر الصادق المتوفى عام ١٤٨ هـ .

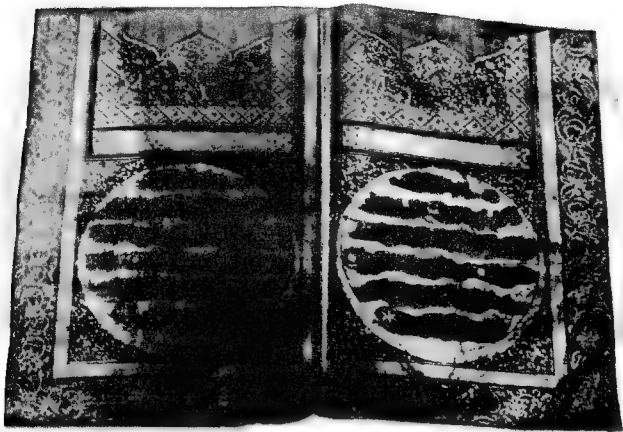
## وبداية تطوور

ومع بداية القرن الثالث الهجرى وطوال شهوره مع القرن الرابع الهجرى ايضا يرى المشاهد تطورا فى كتابة القرآن ومحاولات فنية رائعة ، تستعين بالذهب والحليات ، وان استمرت الكتابة على الرق وبالخط الكوفى ، وعدم التقيد بان يكون المصحف فى مجلد واحد بل وجد مصحف فى ١٣ جزءا .

ويقدم المعرض فى مقدمة المصحفين او الثلاثة المعروضة تعبيرا عن القرنين الثالث والرابع الهجرى .. اول مصحف يظهر فيه النقط والتشكيل على الكلمات .

وبعدها يجمع المعرض المصاحف بدون تحديد زمنى .. وانما يضمها تحت اسم الدولة التى كانت مسيطرة على الحكم فى مصر كل فى جانب .

- ومصاحف من الدولة الفاطمية .
- ومصاحف من الدولة الايوبية .
- ومصاحف من عصر المماليك .. وما اكثرها .



### مصحف السلطان قلاوون مكتوب بالذهب الخالص - مصحائف ذهبية

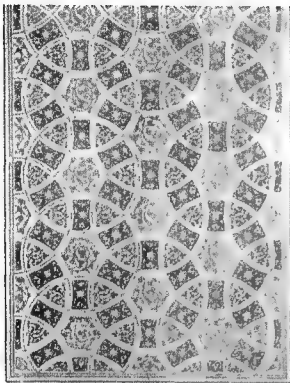
وتقف جميعها عند القرن العاشر الهجرى .. وجميع مصاحف هذه المصور تتشابه الى حد كبير ولكن تتنافس فى روعة الفن والبذخ .. والتحليّة بالذهب .. واختلاف الاحجام ما بين مستطيل ومربع .. وكبير وصغير ..

ووضعت نماذج للمصاحف الخاصة تميرا عن ارقى ما وصل اليه الفن الكتابى للمصاحف ، ممثلة لمصاحف السلاطين وهى بالتحديد :

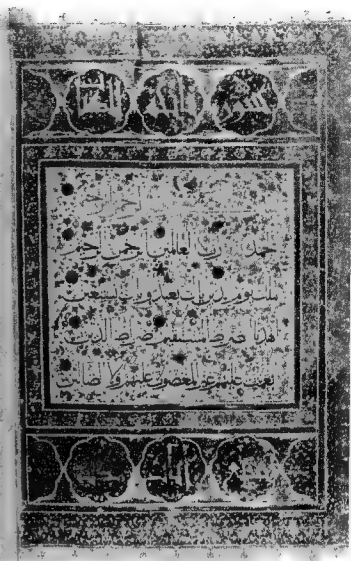
- مصحف السلطان محمد بن قلاوون ٦٩٣هـ
- مصحف الأمير ارغون شاه ٧٥٠هـ
- مصحف السلطان شعبان ٧٦٤هـ
- مصحف السلطان برقوق ٨٠١هـ
- مصحف السلطان المؤيد ٨١٥هـ
- مصحف السلطان خستقدم ٨٦٥هـ

ومن أجل المصاحف خطا مصحف قايتباى ٨١٥هـ - ٩٠١هـ وهو بخط جاثم السيفى جاتى بىك الدودار الكبير .





الحمد لله الذي جعل هذا الكتاب من كتب الله التي لا تحصى  
 حاشية على الزبدة السبعة : تدعى طون برأ على سائر المسلمين . بمصنف  
 القراء والمطالعة وانتقاء وحسن سماعها في السيرة القروية والاشارة بالحق والصدق  
 الجاد والحر في الحقائق والظاهر وتقبل النظر في ذلك فحسن حاله في زمن بيت الله الذي لا يزول  
 ما لا يزول من الدنيا . في النظر في ذلك الوقت في الحقائق والصدق الجاد والحر في الحقائق  
 والذين من هذه الامم من عليها وهو خير الناس شرطوا في ذلك الزمان في الزمان لا يفرح  
 من الله في الحقائق والصدق الجاد والحر في الحقائق والصدق الجاد والحر في الحقائق  
 ما لا يزول من الدنيا . في النظر في ذلك الوقت في الحقائق والصدق الجاد والحر في الحقائق  
 والذين من هذه الامم من عليها وهو خير الناس شرطوا في ذلك الزمان في الزمان لا يفرح



## انضم مصحف في العالم وزن ٢ طن مهدي من نواب بهوبال الخلف من الفضة والماس مكتوب في القرن الحادي عشر

### من الدولة الفاطمية

٤. مصحفا عثمانيا ، ومن اروعها ما كتبه الى صدر الصدور بروسلى محمد  
 باشا نقد كتب القرآن كله في ٣٠ صفحة مقاس ٢٥ سم x ٣٠ سم وبخط نسخ  
 والمصحف كله محلي ومجدول بالذهب .

٣ و مصاحف كتبت في ايران ، وكلها بخط ياقوت المستعصمي ، وهو كما  
 فكر لي مرافقي من اكبر اساتذة الخط في التاريخ . . ومن المدرسة النظامية  
 في القرن السابع الهجري ، وقد كتب اكثر من ١٠٠٠ مصحف وقال عنه الامام -  
 عبد القادر الجيلاني : ( كان في يده سر من اسرار الله ) وعلى احد هذه  
 المصاحف بعض التفسيرات باللغة الايرانية .

وثالثة البلدان الاسلامية التي انتقي المعرض بعض مصاحفها الهند . .  
 ومن بين مصاحفها القليلة التي عرضت واحدا بخط محمد روح الله بن محمد



حسين اللاهوري ١١٠٧ هـ وهو فى ٣٠ ورقة تزيد عن حجم (الوعى الاسلامى) قليلا ، والقرن فيه بان يكتب فى أول سطر من كل صفحة كلمة تبدأ بحرف ا .

وأخر البلاد الاسلامية .. المغرب وقد اختير منها ٣ مصاحف طومار .. للحرب .. حيث كان صاحبها يلغها حول وسطه ، وهو يحارب ، ولا يزيد طول المصحف عن مترين x ٢٠ سم فقط .. ومن الجلد .. ومكتوب عليه بخط النسخ ..

### وقبل النهاية : نمونجان

وقبل النهاية .. وفى مكان متقابل يقع نظر المشاهد للمعرض على نموذجين غريبين .. أولهما .. المصحف بطريقة بريل وهو أحدث ما كتب عام ١٩٦٧ .. ويقابله النموذج الثانى ٣٠ جزءا من مصحف السلطان المغولى السلطان الجانيو مقل همدان ٧١٣ هـ . وهو مزخرف بطريقة هندسية مختلفة ، بحيث لا يتشابه جزء مع الآخر وقد آل الى الناصر قلاوون ا .

### ومخطوطات اخرى

والى جانب المصاحف عرضت دار الكتب رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المقوقس .

و .. ا كتاب مخطوط صغير فى التفسير والقراءات من بينها :

- الحجة فى القراءات لابن خالويه فى القرن الثالث الهجرى .
- وايضاح الوقف والابتداء لابن الانبارى .
- وتحرير التيسير فى قراءات العشر لحمد بن الجزرى .

### وقبل النهاية

ومع نهاية المعرض يودع الزائر اكبر مصاحف العالم — كما يقولون لى — اذ تبلغ زنته طنين وحجم الصفحة منه ١٧٥ x ١٢٠ سم ، ويقع فى ٧ اجزاء ، ومكتوب بالخط النسخ ، وعلى الجلد ، ومستعمل فيه الذهب فى اجزاء مختلفة بين حشواته ووقفاته ، وله غلاف آية فى الروعة والفن ، يتسع للاجزاء السبعة . وهو من الفضة الخالص . ومحلى بالياقوت ، وقد اهداه الى مصر تواب بهويال ( امير بهويال ) فى وسط الهند وقد كتب فى القرن الحادى عشر الهجرى .

ومع نهاية المعرض يبدأ حديث العالم كله عنه ، بعد ان جاءته وفود .. وبعد ان طلبت اخباره وكالات انباء العالم والجامعات الكبرى .

# أورُوبا تُرسل بعثاتها إلى الأندلس لتلقي العلوم في جامعاتها

للاستاذ سليم طه النكريتي

اخذ الكثيرون من علماء أوربا ومؤرخيها في الآونة الأخيرة . يتحرون من التعصب ويعترفون في كتبهم وأبحاثهم العلمية والتاريخية بفضل الحضارة الإسلامية على النهضة الأوربية ، ويوردون الأمثلة الدامغة التي تؤكد أن الحضارة الإسلامية هي أم الحضارة الغربية الحاضرة ، وإن ما أبدعته العقول الإسلامية كانت المعين الفيض الذي استقى منه علماء الغرب في عصر الانبعاث الأوربي علومهم ومعارفهم وحتى فنونهم وصناعاتهم .

ولقد كانت الأندلس أول المسالك التي سلكتها الحضارة الإسلامية في انتقالها إلى الغرب وأخطرها أثرا في نقل التراث العربي الإسلامي إلى أوربا ووضع أسس الحضارة الأوربية الراهنة .

ذلك أن الشهرة التي بلغتها الأندلس في مضمار التقدم والازدهار قد حفزت العديد من ملوك أوربا وأبرائها في ذلك العهد إلى محاولة محاكاة العرب والمسلمين الأندلسيين في تقدمهم وتذنبهم فلم يجدوا أمامهم من سبيل سوى أن يبعثوا بالبعثات العديدة من أبنائهم إلى الأندلس للدراسة في معاهدها وجامعاتها الكثيرة .

يقول المؤرخ الفرنسي « فالير FALIER » في كتابه « استرداد الأندلس Rapsia oaindeloussia » أن البعثات العلمية كانت قائمة في أوربا على قدم وساق لارسالها إلى الأندلس الإسلامية لتلقي العلوم والفنون والصناعات في معاهدها الكبرى وذلك نتيجة الدعايات التي انتشرت في تصور ومراكز معظم المقاطعات الأوربية في ذلك الوقت كاتكلترا وفرنسا والمانييا وهولندا وتوسكانيا .

اخذت البعثات الأوربية تتدفق على الأندلس بأعداد متزايدة سنية بعد أخرى حتى بلغت سنة ٣١٢ هـ ( ١٢٩٣ م ) زهاء سبعمائة طالب وطالبة . وكانت إحدى هذه البعثات من فرنسا برئاسة الأميرة « اليزابث » ابنة خال لويس السادس ملك فرنسا .

وراست الأميرة « دويان » ابنة الأمير جورج مالك مقاطعة ولز الانكليزية إحدى البعثات من بريطانيا وأقبلت بعثات أخرى من سافوي . وبافاريا . والرين وسكسونيا وغيرها .

وبعث فليب ملك بافاريا الى الخليفة هشام الاول بكتاب يطلب اليه ان ياذن له بارسال بعثة من بلاده الى الأندلس للاطلاع على احوالها وانظمتها وشرائعها وثقافتها وذلك لاقتباس المفيد المثر منها لبلاده .  
ووافق الخليفة هشام على هذا الطلب وعندئذ ارسل الملك فليب بعثة برئاسة وزيره الاول المدعو « ويلمين » الذي يسميه المؤرخون العرب باسم ولیم الأمين .

وسار ملوك آخرون من أوروبا على المنوال ذاته . فالبعثة التي اوغدها جورج ملك ولز برئاسة ابنة اخيه كانت تضم ثمانى عشرة فقة من بنات الأشراف والأعيان وقد توجهت البعثة الى اثبيلية ورافتقن فى سفرهن النبيل « سفيلك » رئيس موظفى القصر فى ولز وكان سفيلك هذا يحيل رسالة من الملك جورج الى الخليفة هشام الثالث نشر المؤرخ الانكليزى الشهير « جون دوانثورث JOHN DOINBURTH » نصها فى كتابه الخطير « العرب عنصر السيادة فى القرون الوسطى Arabs : Element of Surerniacy in

### The Meadeuel Centuries

تقول الرسالة .

من جورج الثانى ملك انكلترا والغال والسويد والنرويج الى الخليفة ملك المسلمين فى مملكة الأندلس صاحب العظمة هشام الثالث الجليل المقام .

بعد التعظيم والتوقير . فقد سمعنا عن الرقى العظيم الذى تتمتع بفيضه الصافى معاهد العلم والصناعات فى بلادكم العابرة فأردنا لأبنائنا اقتباس نماذج هذه الفضائل لتكون بداية حسنة فى اقتفاء أثركم لنشر انوار العلم فى بلادنا التى يسودها الجهل من أربعة أركان .

ولقد وضعنا ابنة شقيقنا الأميرة « دويان » على رأس بعثة من بنات اشراف الانكليز لتتشرف بلثم أهداب العرش والتماس العطف لتكون مع زميلاتها موضع عناية عظمتكم وحماية الحاشية الكريمة وحذب من اللواتى سيتوفرن على تعليمهن .

ولقد ارفقت مع الأميرة المسفيرة هدية متواضعة لمقامكم الجليل أرجو التكرم بقبولها مع التعظيم والحب الخالص .

من خادمكم المطيع جورج م . ا .

وقد رد الخليفة هشام الثالث على رسالة الملك جورج بهذه الرسالة الرقيقة البليغة التى تمثل كرم المسلمين وسماحتهم ولطفهم .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه سيد المرسلين .

وبعد .

الى ملك انكلترا وايكوسيا واسكندنافيا الأجل .

لقد اطلعت على التماسكم فوافقت ، بعد استشارة من يعينهم الامر من

أرباب « الشونة » (١) . على طلبكم وعليه ماثنا سنعلمكم بأنه سيتم الاتفاق على هذه البعثة من بيت مال المسلمين تأكيداً على مودتنا لشخصكم الملكي .  
أما هديتكم فقد تلقيتها بسرور زائد . وبالمقابل أبعث اليكم بغالى الطنافس الأندلسية وهو من صنع ابنائنا هدية لحضرتكم وفيها المغزى الكافى للتدليل على اتفاقنا ومحبتنا والسلام .

خليفة رسول الله على ديار الأندلس  
عشام .

ويقول المؤرخ التركى عبد الرحمن شرف أن هدية ملك ولز الى الخليفة  
عشام كانت تتألف من شمعدين من الذهب الخالص طول الواحد منهما ثلاثة  
أذرع ، واثنان وعشرون قطعة ذهبية من اوانى الطعام .

اما بعثة ملك بافاريا التى راسها ويليبين فكانت تتألف من مائتين وخمسة  
عشر طالباً وطالبة وزعموا على جينج معاهد الأندلس لدراسة الفلسفة والعلوم  
وصناعة النسيج والنقش والتطريز ، والطبابة والتبريض وصناعة الاسلحة .  
والزجاج ، والورق ، وبناء السفن وصنع البارود وبناء القلاع ، بالإضافة الى  
دراسة علم الفلك والكيمياء والفيزياء والعلوم الزراعية وغيرها ولقد اعتنق  
ثمانية من افراد هذه البعثة الدين الاسلامى ومكثوا فى الأندلس ورفضوا العودة  
الى بلادهم . ومن هؤلاء ثلاث نتيات تزوجن بمشاهير من رجال الأندلس فى  
ذلك الوقت وانجبن عدداً من العباقرة كان منهم عباس بن مرداس الفلكى .

وهناك عدد آخر من الفتيات اقدمن فى بعثات الى الأندلس من فرنسا  
وهولندا وإيطاليا والمانيا وبلجيكا اتمن فى الأندلس واعتنقن الاسلام وتزوجن من  
المسلمين من أمثال الأميرة « ماري غوبيه » من بلجيكا ، وروبيكا ستارت من  
المانيا ، والراهبة جانيت سمبسون من انكلترا ، وشوفا ابنة الكونت سيرجك  
من هولندا .



وبالإضافة الى البعثات العديدة التى بعثت بها أوروبا الى الأندلس . عبد  
بعض ملوك أوروبا وإمرائها الى استقدام الأساتذة والخبراء والمهندسين من  
الأندلس لتأسيس المدارس والمصانع ونشر الوية التنظيم والعمران .  
فى خلال القرن التاسع الميلادى وما بعده وقعت حكومات انكلترا وهولندا  
وسكسونيا وغيرها على عقود مع حوالى تسعين من الأساتذة العرب فى  
الأندلس بختلف العلوم لاتشاء مختلف المعاهد فى اقطار تلك الحكومات . وقد  
اختير هؤلاء الأساتذة العرب من بين أشهر العلماء الذين كانوا يحسنون اللغتين  
اللاتينية والاسبانية الى جانب اللغة العربية .  
وقعت تلك الحكومات عقوداً أخرى مع حوالى مائتى خبير عربى فى  
مختلف الصناعات ولا سيما انشاء السفن وصناعة النسيج والزجاج والبناء  
ومقنن الزراعة .

(١) يقصد بعبارة أرباب الشونة . أركان الدولة .

ولقد أقام بعض المهندسين العرب أعظم جسر على نهر التيمس في بريطانيا هو جسر « هليشم Helichem ». وهذه الكلمة تحريف لكلمة « هيلم » خليفة الأندلس الذي أطلق الإنكليز اسمه على ذلك الجسر اعترافا بفضله لأنه أرسل اليهم أولئك المهندسين العرب . وكذلك كان المهندسون العرب هم الذين شيّدوا قباب الكتائس في باغاريا . ولا تزال توجد بمدينة « شتوتفارت » بألمانيا حتى اليوم سقاية ماء تدعى « أميديو Amedeo » . وهو تحريف لكلمة « أحمد » اسم المهندس العربي الذي صنع تلك السقاية . وكان الأسطول الهولندي الذي قهر الأسطول الإنكليزي في لشبونة سنة ١٥١٢م من صنع العرب . وكان قائد ذلك الأسطول الهولندي يسمى نفسه « أميرال البحر طارق » .



كان من بين الذين درسوا في معاهد الأندلس العلمية وساهموا بتسسط كبير في نقل الحضارة الإسلامية إلى أوروبا الراهب الفرنسي « غريوت » المولود سنة ١٤٥م . فقد رحل غريوت هذا إلى الأندلس فأضى فيها ثلاث سنوات درس في معاهدها بأشبيلية وقرطبة بالرياضيات والفلك والعلوم الأخرى ثم عاد إلى بلاده وأخذ يبشر فيها بالثقافة الإسلامية فرماه بعض تومه بالكفر والسحر وأذ ذاك رحل إلى أوروبا فعمين مستشارا لقيصر روما ثم ما لبث أن أصبح كبيرا للأساقفة هناك وأخيرا ارتقى سنة ١٩٩م كرسي البابوية وسعى بالبابا سلفستر الثاني . وكان هذا البابا أول من أدخل الأرقام العربية ونظامها إلى أوروبا والتي لا زالت سائدة فيها . وهناك راهب فرنسي آخر يدعى « أيبار » تفقه في الفلسفة والعلوم الأخرى على المصادر العربية الإسلامية واشتهر بها في القرن الثباتي عشر الميلادي .

ومن درس في قرطبة وتخرج على أيدي علمائها المسلمين « شابجة » ملك ليون وأستوريا في شمال أسبانيا . ومنهم « هرمان » الكسيح ابن أمير والماسيا الذي نقل مآثر الحضارة الإسلامية في ألمانيا ودول البلطيق عن الطلاب الأوربيين العائدين من الأندلس والذين كانوا يبرون بدير « ريخناو » الذي يكثر فيه هزبان ويقضون فيه أياما عديدة قبل تفرقهم إلى أهليهم . وعن هؤلاء نقل هرمان كل ما جلبوه من الآلات الملكية العربية وفي مقدمتها الأسطراب الذي صنع أول واحد منه في أوروبا على الأسس العربية في القرن الرابع الميلادي .

ومن المعاهد الطبية في مدن أشبيلية والفوصة وزرذقة وقرطبة في الأندلس تخرج ما لا يقل عن عشرين طبيا أوربيا كان من بينهم الراهب الإنكليزي « سبيرومان » الذي اتفذه البابا يوس الثالث طبيا خاصا له . ولقد ظلت الأندلس تلعب دورها الفعال هذا في نقل الحضارة الإسلامية إلى أوروبا حتى بعد أن قضى على الحكم العربي فيها وأجهز على المسلمين تقبلا وتجهيزا وتنصيرا في عصر محاكم التفتيش القظيمة . فقد تفرق فطاحل العلماء من المسلمين الأندلسيين في مختلف الولايات الإسبانية وفي فرنسا وإيطاليا وغيرها يحملون معهم علومهم وفنونهم التي لم يضيئوا بها حتى على الكفار الذين أنزلوا بهم وبأهلهم سوء المصذاب مما كان له أثره في ازدهار حركة البعث الأوربي ونشوء الحضارة الأوربية الراهنة .

أعدها: أبو نزار

# مائة الفقرة

## الرسالة المهاجرة

ان الرسالة الاسلامية التي هاجرت مغلوبة من مكة الى المدينة . هاجرت  
غالبية من الشرق الى الغرب . بفضل مبدئها الالهي الذي قامت عليه . ودعت  
اليه . وفازت به . وهو توحيد الله : وتوحيد الكلمة . وتوحيد القوى :  
وتوحيد الغاية .

## أين عمر ؟

سمع عمر بن الخطاب بكاء طفل آخر الليل . فأتى أمه فقال : انى لارك امرأة  
سوء . مالى ارى ابنك لا يقر منذ الليلة ؟ قالت : يا عبد الله : انى امرنه على  
القطام . قال : ولم ؟ قالت : لان عمر لا يفرض للرضيع . وانما يفرض للقطيم .  
قال : وكم له ؟ قالت : اثنا عشر شهرا . قال : لا تعجلينه وذهب . فمضى  
الفجر . وما يستبين الناس قراءته من غلبة البكاء عليه . فلما سلم قال : يا بؤسا  
لممركم قتل من اولاد المسلمين . ثم امر . فنادى : الا تعجلوا اولادكم عن  
القطام فاننا نفرض لكل مولود فى الاسلام . وكتب الى الامايق كافة .

## مؤول الاحلام ؟

كان سعيد بن المسيب من أعلم الناس بتمبير وتفسير الرؤيا . جاءه رجل  
فقال له : انى ارى كأتى أبول فى يدى فقال له : اتق الله فان تحتك ذات  
محرم . فنظر فاذا امراته بينها وبينه رضاع .

وقال الحصين بن عبد الله بن نوفل : طلبت الولد . فلم يولد لى فقلت  
لابن المسيب : انى ارى انه طرح فى حجرى بيض . فقال ابن المسيب : الدجاج  
اعجب . فاطلب سببا الى العجم . قال : فتسريت لمولد لى .

## أمسلم هو ؟

مما يذكر من سرعة جواب المتنبي أنه حضر مجلس الوزير ابن خنزابة :  
ولم يمه أبو على الأمدى الأديب المشهور ، فانشد المتنبي أبياتا جاء فيها :

انها التهئات للأكفاء

فقال أبو على : التهئة مصدر ، والمصدر لا يجمع .

فقال المتنبي لآخر بجنبه : أمسلم هو ؟

فقال : سبحان الله . هذا استاذ الجباعة أبو على الأمدى .

قال المتنبي : فإذا صلى المسلم وتشهد اليس يقول : « التحيات »  
فخجل أبو على وقام .

## عظامى عظامى

يروى أن الحجاج ذكر عنده رجل بالجهل ، فأراد اختباره ، فقال له :  
اعظامى أم عظامى ؟ يقصد : أشرفت بآبائك الذين صاروا عظاما ، أم بنفسك .

فقال الرجل : عظامى عظامى ، فقال الحجاج : هذا أفضل الناس ، ثم  
تبين له بعد ذلك من مناقشته أنه أجمل الناس ، فتمجّب الحجاج ، وسأله :  
كيف أجبتنى بما أجبتنى به حين سألتك .

فقال الرجل : لم أعلم اعظامى خير أم عظامى ، فخشيت أن أقول  
أحدهما ، فقلت كليهما ، فإن أضررت أحدهما نفعتى الآخر .

فقال الحجاج : المتأدبر تصير العمى خطيبا .

## ساعة هارون الرشيد

ذكر مولتير المؤرخ الفرنسى أن أول ساعة عرفت فى أوروبا هى الساعة  
التي أهداها أمير المؤمنين هارون الرشيد الى شارلمان ملك فرنسا سنة ٨٠٧ .  
وكانت بدعا فى ذلك العصر ، حتى أنها أورثت رجال الديوان حيرة وذهولا .

كان لها اثنا عشر بابا صغيرا بعدد الساعات ، فكلما مضت ساعة فتح  
باب وخرجت منه كرات من نحاس صغيرة تقع على جرس فيطن بمسدد  
الساعات ، وتبقى الأبواب مفتوحة ، وحينئذ تخرج صور اثني عشر فارسا على  
خيول تدور على صفحة الساعة .

## لا تفرکه بيرد !!

تيل لاعرابى : ما تسمون المرق ؟

قال : السفين

قال : فإذا برد ؟

قال : لا تدعه بيرد

# تاريخكم يا شباب الإسلام

للاستاذ أحمد محمد جمال

نواصل الحديث من (سوابق) الفكر العربي والإسلامي في المجالات المختلفة للحضارة الإنسانية . فنذكر نظرية «المعقد الاجتماعي» للفكر الفرنسي جان جاك روسو - التي يتحدث عنها كثير من الكتاب العرب ، المتنوعين بكل ما هو (أجنبي) أو (غربي) على أنها نظرية حديثة وإبتكار غربي!

لقد كنت أقرأ بعض رسائل النبي صلى الله عليه وسلم ، التي يزود بها بعض عماله وولائه ، ويرسم لهم فيها منهج الحكم وكيفية سياسة الحكوميين . فوثقت على كتابه الذي كتبه عليه الصلاة والسلام لعمرو بن حزم حيث بعثه واليا على اليمن ، ماذا ماتحته تقول :

(بسم الله الرحمن الرحيم - يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ..) ثم مضى الكتاب يفصل لعمرو بن حزم بمسؤولياته كحاكم مسلم : من التقوى ، والأخذ بالحق ، وإمر الناس بالخير ، وإن يلين لهم في الحق ، ويشد عليهم في الظلم ، وينهاهم عن التمسب للعشيرة ، وإن يعلمهم أمور دينهم من وضوء وصلاة وجمعة وحج ، وإن يفقههم في القرآن الخ (١) .

وفي افتتاح الرسول عليه الصلاة والسلام كتابه عن موضوع الحكم ومسؤولية الحاكم بهذه الآية القرآنية : (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) إشارة تفتي عن عبارة - إلى نظرية المعقد الاجتماعي التي طلع بها جان جاك روسو خلال القرن الثامن عشر الميلادي ، أي بعد نحو اثني عشر قرناً من نزول القرآن بهذه الآية ، واستدلال الرسول بها في موضوع الحكم وأواجبات الحاكم ،

(١) التي للكتاب معاصرة بعنوان (بهمة الحاكم المسلم) في أحد المراسم الثقافية بمكة المكرمة - تحدث فيها بأسهاب عن كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم لعمرو بن حزم .. وهي تحت الطبع .



كإشارة بليغة وجيزة الى أن الحكم انما يقوم على اساس التماثل والاتفاق بين الحاكم والأمة - وهو مضمون نظرية روسو عن العقد الاجتماعى .

ويؤيد رأينا فى هذا السبق الاسلامى الى نظرية العقد الاجتماعى - ما تواتر من احاديث الرسول وآثار الصحابة وقواعد البيعة : من أن السمع والطاعة ( من الحكوم للحاكم انما هما ( فى المعروف ) . وما يشترط للناس على الحاكم حين مبايعته : أن يحكم فيهم بكتاب الله وسنة رسوله .

فبذلك يتضح أن ( الحكم ) فى الاسلام عقد اجتماعى يتم بين الحكومة والأمة . على أن تكون طاعة الأمة رهنا بقيام الحكومة على العدالة والمعروف .

### وفى مجال التشريع :

صدر قبل شهور معدودة كتاب للدكتور بيران وولف أسماه ( افضل سنوات المرأة ) تحدث فيه عن الطلاق ، واقترح أن تبذل محاولة للشورى والتوجيه بين أهل الزوجين ، قبل اتمام الرجل على توقيع الطلاق ، أو قبل عزم المرأة على طلب الانفكاك من زوجها . ويرى الكاتب الغربى أن يكون الذى يتدخل بين الزوجين المتبلين على الفراق خبيراً محكماً ، أو صديقاً للطرفين ، أو رجلاً من رجال الدين ، أو محامياً ، أو عالماً نفسياً .. فإذا رأى بعد ذلك أنه لا جدوى أو لا مصلحة فى استمرار الحياة الزوجية بينهما . فإن الطلاق مبدئياً يكون هو الدواء النجاسى والحل الوحيد ..

ونحن المسلمين نجد تشريعنا الإسلامى قد سبق الى هذا الرأى الاصلاحى منذ أربعة عشر قرناً . : اذ شرع لنا هذا المنهج الاجتماعى فى آيتين من سورة النساء فى القرآن الكريم احدهما تقول : « وأن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها ان يريدوا اصلاحاً يوفق الله بينهما ان الله كان عليماً خبيراً » والثانية تقول : « وأن يفرقا يغن الله كلا من سمعته وكان الله وأسماً حكماً » .

ان الدكتور بيران وولف يرى الرأى نفسه الذى نزل به القرآن الكريم ووجه به الناس الى بذل محاولة خلصة ، فى سبيل التوفيق بين الأزواج المتنازعين ، قبل إيقاع الطلاق ، وما يترتب عليه من تشريد أطفال وترميل نساء ..

### وفى مجال التخطيط العمرانى :

نظن أجيالنا الناشئة أو المساعدة أن ما يسمونه « تخطيط المدن » من مبتدعات العصر الحديث ، وأنه من ابتكارات الحضارة الغربية العصرية . ويعتدرون لهم عن خطأ هذا الظن بعض الكتاب فيزعمون بأن تاريخنا الإسلامى لم يكتب بمسح حتى يقرأه الجيل الصاعد ، ويعلم به ما جهل من سوابقنا الحضارية ..

ان تخطيط المدن .. الذى يعنى تنظيم المباني والشوارع والطرق والميادين والحدائق العامة : والذى يظن بدعة غربية عصرية — قد عرفته عهود الصحابة رضى الله عنهم ، كما يروى القاضي أبو يعلى فى كتابه ( الاحكام السلطانية ) اذ يقول : لقد مصر الصحابة البصرة على عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وجعلوها خططا لقبائل اهلها . وجعلوا عرض الشارع الاعظم ستين ذراعا . وجعلوا عرض ما سواه عشرين ذراعا . وجعلوا عرض كل زقاق سبعة اذرع . وجعلوا وسط كل حطة رحبة فسحة لربط خيلهم .

وبتحويل الاذرع الى امتار نجد ان عرض الشارع العام كان منذ ذلك العهد السحيق نحواً من اربعين متراً ، والشارع الفرعى خمسة عشر متراً ، والزقاق خمسة امتار او اربعة امتار . وذلك ما لم يتحقق فى عصرنا الحاضر .. فى كثير من الشوارع والدروب والأزقة ، فى عدد من البلدان العربية المتطورة : بل وفى البلاد الأوروبية أيضاً :

ويلاحظ ان الرحبة الفسيحة : التى ذكرها أبو يعلى فى تخطيط البصرة . هى ( الميدان ) فى تخطيطنا الحديث ، وهو ما يخصص جزء منه لمواقف للسيارات ومابقى مداراً لحركة المرور .

ويتحدث الأستاذ حيدر باهات فى كتابه ( دور المسلمين فى بناء المدنية الغربية ) عن الهندسة المعمارية الاسلامية ، التى اقتبس الفرييون جمالها وجلالها ونفسها العربى ، ويشير الى مدينة الزهراء التى بناها عبد الرحمن الناصر ، فى الاندلس ، والى قصر الحمراء بها . ويقول : ان الفن الاسلامى المقدس الذى يتجلى فى المساجد ، هو الذى يشهد بعظمة الماضى الاسلامى وجلاله فى مضمار الهندسة المعمارية . ويؤكد فى نفس الوقت تأثير السرب الفنى على الفن الايطالى نتيجة لاقامة العرب فى صقلية . ويشير الأستاذ باهات الى اقتباس الهندسة والزخرفة الاسلاميتين فى كنائس بعض دول اوربا .

.....

### وفى الحضارة الاسلامية سوابق اقتصادية كثيرة ..

فابن خلدون — مثلاً — سبق المدارس الاقتصادية الحديثة التى تدعو الى حرية التداول التجارى ، وعدم ايفال الدولة فى التدخل والتسلط والتوجيه : وعدم الاسراف فى فرض الضرائب .

فهو يقول : ان واجب الدولة ان تتأكد من ان الضرائب لا تثبّر اذا هى مرضت مرضاً تعسفياً ، وان الضرائب المعتدلة اعظم جاذب على العمل .

ثم يتحدث ابن خلدون — باسهاب — عن المصادرة ، والاحتكار ، وعن اشراف الدولة على شؤون التجارة .. حتى ينتهى الى القول : بان الدولة انما تقوم على الشعب وعلى روح الاقدام والمغامرة التى يتحلى بها ، وعلى مدى انتاجه . ويؤكد : ان المبالغة فى تدخل السلطات الحكومية تعيق التطور الطبيعى للاقتصاد والتجارة ، وتسبب نقصاً فى الثروة وضعفاً فى الانتاج ...

.. وهذا ما حدث ويحدث فى تجارب بعض المذاهب الاقتصادية الجديدة .. اذ تنقص الثروة ويضعف الانتاج .

.....

## والطب العربى القديم :

وننتقل الآن الى ميدان آخر ، ميدان الطب العربى وسوابقه . حيث نجد الشباب العربى والاسلامى لا يكتفى بأعماله مطالعة صفحات التاريخ الاسلامى من سوابق المسلمين الطبية — بل يضيف الى جهله بحضارة الاسلام انكارا لها واستهزاء بها ، ويخوض فى حديث الطب العربى القديم ، فيقف منه ذلك الموقف الفهم حيث يصفه بالتخريف والشعوذة :

ولقد كان « الطب » خلال القرون الاولى بعد الهجرة النبوية جزءا لا يتجزأ من الثقافة العربية الاسلامية العامة .. وظهرت مؤلفات عربية طبية ، وقام الأطباء المسلمون بدور فعال فى تقدم العلوم الطبية لدى الغرب ، اذ ظلت كتب الرازى — وابن زهر — وابن سينا — وأبى القيس أساسا للدراسات الطبية فى المدارس الغربية خلال قرون عديدة . ومن أوسع المؤلفات الطبية العربية وأشهرها كتاب ( الحاوى ) وكتاب ( المنصورى ) للرازى ، وكتاب ( القانون ) فى الطب لابن سينا ، الذى نشر بالعربية فى روما فى أواخر القرن السادس عشر الميلادى ، واتخذ أساسا لتدريس الطب فى جامعات فرنسا وإيطاليا خلال ستة قرون كاملة .

وقد تحدث الرازى فى كتابه ( الحاوى ) عن الحميات الطفحية ، كالجدري والحصبة . واستحدث الرازى فى الصيدلية استعمال المسهلات الخفيفة ، والحجاجة فى حالات الفالج ، والماء البارد فى حالات الحمى المستعصية واستعمال غتيلة الكى .

كما تحدث ابن سينا فى كتابه ( القانون ) عن علم وظائف الأعضاء ، وعلم الصحة ، وعلم الأمراض ، وعلم المواد الطبية . وألف ابن سينا — أيضا — كتابا فى علامات أمراض القلب ، ونظم قصائد فى الطب وبلغت علاجاته الطبية ( ٧٦٠ ) علاجا .

ويعترف المسالم الفزيولوجى ( هالر ) بأن أبا القاسم خلف بن عباس القرطبى كان أهم جراح عربى ، وكانت مؤلفاته مصدرا ومرجعا لجميع الجراحين الذين ظهروا بعد القرن الرابع عشر . ويقول جوستاف لوبون : أن مدرسة سالون أول مدرسة فى أوروبا ، مدينة بكثير من شهرتها للطب العربى .

وقد سبق المسلمون الى « الطب الوقائى » الذى كان معروفا يومذاك بعلم الصحة ، وهو علم يبحث فى طرق الوقاية من الأمراض قبل حدوثها . كما سبقوا أيضا الى تدريس الطب فى المستشفيات نفسها ، حيث يدرس الطلاب المعارف الطبية بالتدريس من أسرة المرضى . وهو ما يتبع الآن فى تدريس الطب الحديث ، حيث يقضى الطلاب بعد خروجهم من الكلية علما فى بعض المستشفيات للتمرس بشؤون الفحص ، وطرق العلاج الى جانب الأطباء السابقين المتقنين ، وتقريبا من المرضى الذين يمالجونهم .

كما سبق الطب العربى الاسلامى الى أفراد كل نوع من المرضى بمصح خاص كالجائنين — والمجانين . وكانت عندهم جمعيات للبر والاحسان تقوم بعلاج المرضى الفقراء فى أيام معينة من كل أسبوع . وأرسلت طلبة فى الأماكن البعيدة لداواة المرضى فيها ، وتوزيع الأدوية عليهم .

وهذا ما يجرى عليه الطب الحديث ، حيث تقوم المستشفيات الخاصة لكل صنف من المرض .. كمرض السل ، والجنون ، والعميون الخ .. وكما نرى ونسمع الآن عن المستشفيات المتنقلة ، أو السيارة ، التى ترسل الى القرى والمدن النائية لمعالجة مرضاها .

# أرحنا بها يا بلال

للاستاذ أحمد العناني

كلمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوقفني طويلا .. طويلا ..  
وأحسست بها راحة هائلة عميقة .. عميقة  
ونقلتني من متاهة نكراء موحشة الى درب أم . صراط سوى  
واستشعرت روحى هادئة فى جسدى  
وقلبى مستقرا مستريحا فى صدرى  
وعينى وجدت بها أهالا ديمتين ثم تحررتا من كرب محتبس كدمعتى طفل  
سل عن أهله فى سوق مزدحمة بالناس  
ثم نجاة عثر عليهما . وتعلق بأهدابها . من بعد ان ظن الا تلاقى

□ □ □

كلمة لرسول الله محمد صلى الله عليه وسلم  
كانت المفتاح الرئيسى العميد : الذى يفتح كل الابواب فى عمارة كثيرة  
الحجرات ، متعددة الابواب .  
او الطاعة الصغيرة الخفية ، يتسرب منها النور فى سفح جبل ، فاذا  
اهتدى اليها عابر سبيل فنظر منها كشفت له من ورائها ومن تحتها عن عالم من  
الآثار ، وعمائر الحفائر لم تكشف نفسها لكل سائر ..

□ □ □

أرحنا بها يا بلال  
بلال بن أبى رباح الحبشى الذى كان قبل سنوات من هذه الكلمة عبدا  
حبشيا أسود يجرجره فى وحول المهانة كما يشاء رجل من قريش يسمى أمية  
ابن خلف .  
بلال بن أبى رباح الذى كان مولى مهانا . فاصبح اليوم فى مركز صدارة .  
بين أحرار مكة والمدينة المؤمنين : ثم أذن للصلاة ، لندخل فى فترة من الحياة ،  
نيس فيها شئ من هذا الذى يزعجنا فى دنيانا ، وبذلك ننتشى ، وننسى وننشط  
ونتجدد .

□ □ □

كانها رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يقول لبلال بن أبى رباح :  
هذه الحياة متعبة يا بلال .

متعبة لأن نفوس الناس من داخلهم تتعرض لوساوس تحبب اليهم الكسل  
وقلة العمل ، وتضريهم مع ذلك بسريرع المغنم ومغاچجى الربح .

لأن نفوس الناس من داخلهم نزقة هشة ملولة يصعب عليها أن تصبر  
وتنتظر حتى يطلع الحق ، ويشق عليها أن تجانب الهوى فى الحكم ، وتحتل  
عقبه النزاهة فى الراى .

لأن نفوس الناس هلوعة جزوعة ، وعقولهم مشاكسة مجادلة . وهواهم  
لجوج ، وقلوبهم حارة مقلقة تغاديبها الفيرة ، والحيرة . ويدخلها الحسد ،  
والحسرة ، وتسارع الى القنوط للثغافه الثقافه ، وتضج بالغرور للعارض الزائل .

وإذا ماخرج المخرج .. ومخرج المسلم من ذلك هو الصلاة .  
وليس التخدير مثلاً بالخمر ، ولا اللهو الشرود بالقمار . ولا ما دخل فى  
باب الخمر أو اندرج تحت فصيلة القمار .

وانها هى الصلاة يا بلال  
وإذا كانت الصلاة كان بالله اتصال  
ومناك يكون الصبر الجليل بغير خجر  
واسلام الروح لهداية غراء لا تفلل ولا تغدر .

□□□

من لى ببلال يريح المؤمنين بها وهم جباة !  
يصفون لدى التهيؤ لتلك الراحة الى تقى منهم يعلن حلول موسمها .  
تقى لا هو ناظر بحسرة الى لونه الاسود أو الاحمر  
ولا الذين يسمعونهم فى انفسهم شئ له غير الاعجاب والمحبة  
كلهم خالصون من الكبرياء والحدق  
وهل أفسد دنيا الناس اليوم الا كبرياء القوة ، وحقد الضعف ؟

□□□

من لى بالصلاة تؤدى على وجهها حقاً ، فتوفر على جيل الضياع الحائر  
كل هذا الضجيج الذى لا يولد الا ضجيجاً مثله وأقضى .  
توفر هذه الموسيقى المحيوية الثملة فى حفلات النفاق . واهتزاز الاجساد  
الرعن فى حركات كحركات القردة البلهاء .

وهل مسخ الناس الضالون الا قردة بغير أذنان ، وهم فى رقصهم المختلط  
المجنون ، يفرون من اوصاف الضمائر الملطخة بمظالم النفوس ، ماذا هم فى  
اسوأ مما نمروا منه يرتكسون .

يناديهم لموسيقى « الجاز » رجال أكثرهم من العبدان السود لأن هذه الموسيقى أصلا انفجرت من مظالم المتبوزين في حضارة الانانية والفساد .  
والعبدان يعزفون وهم حاقدون ، يتميزون غيظا على الواقدين والمباشرين الراقصين .  
والعابثون يغرون من فراغ الكبرياء والنفاق الى كؤوس يشربون فيها مع الحمر دماء المستذلين السوداء .



وكانها يقول محمد صلى الله عليه وسلم أرحنا بها يا بلال  
أى انتقل انفسنا بهذا التغيير المسعد من رتبة الحياة الى الاتصال باله  
انقلها من حالة الاجهاد . من الصراع ضد الشر والظلام ، الى واحة نغسل  
فيها بالضياء ، فنعود احد عزبا ، وأعظم بضاء ، لنستأنف المعركة تحت لواء الحق .  
فكرة تجدد وتاهب واستعداد  
لاستئناف المعركة ، لا للفرار كما يفعل اولياء الشيطان  
لأن صلاتنا ونسكنا ومحبتنا ومماقتنا لله رب العالمين .



لكن واضحا من كلام الرسول عليه السلام ان الصلاة اذا لم توجد راحة  
فلا تكون صلاة .  
فمن حيث الشكل والاسلوب والاداء — كما نقول اليوم — ثبت أن الرسول  
عليه السلام قال — وهو يرى مصليا معجلا ينقر في صلاته نقرا — عن ذلك  
الرجل « كأنه لم يعمل »  
ومن حيث الموضوع والمحتوى فان صلاة لا تنهى عن الفحشاء والمنكر ليست  
أبدا بصلاة .  
وانها هي تماوت يميت على المسلمين دينهم كما أشار عمر بن الخطاب  
عليه رضوان الله ..



ولكى نستطيع أن نجد الراحة بالصلاة يجب أن نهيئ أسباب الاداء  
الصحيح لها شكلا وموضوعا .. ففي نطاق الفرد طهارة لا تقبل الاثم ، ولا تسيفه  
أن يستمر اذا وقع . ولا تلبث أن تغسل آثاره بالقوة ونفس لا تستمرىء الكسب  
الا حلالا ، ولا تعيش على النسل عالة ، وقلب اذا أحس القوة لم يجنح الى  
الكبرياء ، وان استشعر الضعف لم يرتكس في المذلة أو الحقد .  
واستعداد دائم لاداء الحساب أمام الله عن النفس والاسرة ، وكل ما دخل  
في نطاق المسؤولية ضاق ذلك أم اتسع .

وفى نطاق الامة تباعد عن الشح والانانية ، والترف والتبذل ، وتاهب نعال  
للجهاد والتضحية . وبث الحقيقة وحمل الرسالة ولو الى اقاصى الارض : فى  
محبة مطلقة للمؤمنين . وشدة شديدة على المقاومين والمحاربين .



وبلال يرفع الاذان قرير العين ساكن البلب  
يقف فى صف كأنه صف الملائكة حيث ينتهى به المكان  
لا يدامع عن موقف لأنه فقير . ولا عن منزلة كرامة لأنه اسود  
ولا عن حق لأنه ضميم  
لو عمل لأخذ أجره على تصاميه قبل أن يحف عرقه  
ولو استأذن على عمر لدخل بسابقة الايمان قبل أبى سفيان  
ولو اتعمده ضعف أو شيخوخة فله فى بيت المال سبيل الى الامان  
أما بعد أيها الناس فنحن عبيد الله لا محالة  
نعيش أطوارا محتومة بقضائه وننتهى الى حساب عنده  
وليس لنا مفر من الله الا اليه  
ولذلك يرحبنا ويشرفنا باستقبالنا خمس مرات اليه . يؤتينا من نوره ماتجدد  
به المعزم . ونستأنف الفضل والصيل .  
فمن كان سبيله غير هذا السبيل . لماننا فراره من سعوية الى مصيبة .  
ومن تلقى الى هم وداهية

واذا سألتم لماذا تظلم دروب الحياة كل هذا الانظام  
فان لكم جوابا لبقا حميفا من مدرسة فى جامعة ميلانو  
فى الدكتوراة الدارسة ماجلبرى التى تقول :  
لقد اشتد الظلام بهجران القرآن  
وهل آلة الصلاة ومادتها غير القرآن ؟



ليت شعرى هل تنهض العدالة فى الارض كما نهضت ذات يوم ؟  
هل تملو كلمة الحق كما علت فاضاعت الارض فى ذلك العهد ؟  
هل تصبح الموازين فى العمل والتقوى والنداء فى الله ؟  
هل يرتفع فى الافاق صوت صادق الاداء كصوت بلال ؟  
فتجد الانسانية المعذبة تلك الراحة الحققة دون راحة القرار القلقة التعسة  
فى حياة الشيطان ..

ونسمع صوت الرسول الكريم ونحس ابعاد كلمته المنيرة الخالدة  
« ارحنا بها يا بلال » !



# هل الإسلام دين سلام

للشيخ: محمد أبو خوات

المدرس الاول بالازهر - الاسكندرية

كلما احتفل المسلمون بذكرى الهجرة النبوية ، ثارت ، تساؤلات تتناول أسباب الهجرة ، وما حدث فيها من أحداث معجزة : وقد تنفرع عن هذا أحاديث تتناول حقيقة هذا الدين ، أدين حرب أم دين سلام ؟ .  
وإذا كان هذا الدين دين سلام — كما يصفه دعائه ، وكما يبدو من حادث الهجرة — فلماذا حبل المسلمون السلاح ؟ ؟ .  
ونحن من جانبنا — انطلاقاً من حادث الهجرة وبمناسبتها — نعطي هذا التساؤل حقه من البحث ، اسهاماً في تجلية أمره للمتسائلين ، ورداً مقنعاً — ان شاء الله — على المتحاملين ، فنقول وبالله التوفيق . .

**اولا : الاسلام دين سلام ، سواء في دعوته ومبادئه ، أم في واقع اعتناقه ونشره . .**

## ( ١ ) الدعوة والمبادئ .

فأما الدعوة فهي بطبيعتها دعوة الى السلام . وذلك لان أكثر ما يثير الخلافات بين البشر ، شعور الجماعة بوضع متميز ظالم يفرض عليها لصالح فرد أو أفراد . . . . ودعوة الاسلام تجردت عن هذا المعنى تجرداً كاملاً سواء في ذات الدعوة له سبحانه وتعالى ، أم في شخص الداعي . .  
فأما ذات الخالق سبحانه وتعالى ، فقد دعا الاسلام للإيمان به ، على أساس من العدل يلجئ كل ذي عقل غير معاند الى الإيمان به ومحبيه والخضوع له ، . . فمن طريق مخاطبة العقل ومساعدته في خلق السموات وما فيها من أجرام ، وخلق الأرض وما فيها من معادن وماء وزروع وثمار ، وخلق الإنسان نفسه وما يميزه عن غيره من أسباب التكليف والتكريم ، وذلك كله من غير ان يزعم أحد — سواء من الداعي أم المدعويين — بأنه هو الذي خلق ، أو



بأن شيئا من هذه المخلوقات . هو الذى خلق غيره ، مع اعتبار حب الانسان للعدل والشعور به فى نفسه لدرجة أن يسأل . أقم يخلق كمن لا يخلق ؟ .

أقول . عن طريق مخاطبة العقل ومساءلته فى ذلك كله وغيره ، مما زخرت به صفحات الكتاب الكريم ، يشعر المدعو الى الايمان ، بأن المدعو له حقيق بالايمان به ، جدير بالخضوع له ، وبأن من الظلم العظيم سلب حقه فى العبادة واعطاء هذا الحق لغيره من شمس أو قمر ، أو نبات أو انسان أو حجر ، ومن هنا أعجب المشركون بأسلوب القرآن فى دعوته للخلاق ، وأخذوا به وتحيروا فقالوا . « لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » ،

واعتمدت الدعوة على تأثير القرآن فى نفوس العرب حتى جعلت مجرد سماع المشركين لآياته الباهرات هدفا من أهدافها . « وان أجد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه » . . . . . ولقد بلغ من تأثيرهم به ان تواصلوا . « لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون » . . .

وهذه الطريقة فى الدعوة الى الله طريقة سلام ما فى ذلك شك . لانها تعتمد على الاتناع العقلى . والايقان النفسى دون تقلد قوس أو امتشاق حسام ، ولكن اصحاب الزعامة الدينية . والاغنياء السادة المستغلين للتجارة والزراعة والناس من العبيد والفقراء ، تصوروا فى الدعوة الجديدة سلبا لزعاماتهم وقضاء على استغلالهم ، فوقفوا ضد الدين الجديد يحاربونه بكل ما يملكون ، على ان هناك طائفة ثالثة تحجرت عقولها وعييت بصائرهم فلم تعرف الى الحق اى سبيل . . .

هذا ما سلكته الدعوة بالنسبة الى ذات الله والايمان به . وان شئت فاقرا الآيات من اول سورة الرعد ، أو آيات سورة النمل من قوله تعالى . « قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ، آله خير ام ما يشركون ؟ . الى قوله تعالى . ( ام من يبدأ الخلق ثم يعيده ؟ ومن يرزقكم من السماء والارض الله مع الله ؟ قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين ) . . . بل ان شئت فاقرا القرآن كله تجد الدعوة الى الله قد تجردت عن كل ظلم وقسر ، فهى كما ترى تطلب من المدعويين — بالحق وبالعدل — الايمان والخضوع لن يستحق الايمان والخضوع . . .

**وأما شخص الداعى** ، فقد حرص على إبراز عبوديته وخضوعه لن يدعوهم للايمان به والخضوع له . وعاضده القرآن فى ذلك ايها معاضدة فلم يطلب لنفسه ، ولم يطلب له القرآن وضعا متميزا على غيره من المدعويين . « ان عليك الا البلاغ . . ان انت الا نذير . قل لا املك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ، ولو كنت اعلم الغيب لا استكثر من الخير وما مسمى السوء ، ان انا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون » . . .

ولئن كانت نشأة النبی وحياته نشأة الفقراء وحياتهم . مما جعل المعاندين يأنفون أن يؤمنوا برسالته . لقد كان لهم من مقام أرومته وأصاله محتده ومنزلة آيائه ، ما يجمعهم عليه ان كانت دوافع ايمانهم بصدقه ترتبط بعراقة الاصل ومجد الآباء والجدود . . .

وبهذا ثبت ان طبيعة الدعوة . من حيث ذات المدعو اليه وهو الله سبحانه ، ومن حيث صفات الداعى الأصلية ، وما تحلى به بعد تكليفه بالرسالة ، طبيعة سلام ، لأن سلاحها الحق والعدل .

**وأما المبادئ التى دعا إليها داعية الاسلام ، فهى مبادئ آمن وسلام ،**  
 وأصول حياة تقوم على المحبة والنظام ، ونحن اذا استعرضنا قدرا من أهم  
 المبادئ والأصول التى قام عليها هذا الدين ، على أنه علاقة بين العبد وربّه ،  
 وتنظيم اجتماعى وسياسى واقتصادى بين البشر تبين لنا صدق دعوانا حتى  
 لكأن المقصود بكل مبادئ الاسلام وأصوله وقضاياه الكبرى هو تحقيق السلام  
 والأمن والنظام ، برغم ما يليقه بعض الناس من أحجار فى هذا الخضم  
 الواسع ، فمهما يلقوا فى البحر يغرق . .

نتنظيم العلاقة بين العبد وربّه ، من صدق الايمان وكامل الايقان ،  
 والصلاة والزكاة والصيام والحج على الوجه المطلوب كما قرره الدعوة فى  
 كتابها وعلى لسان الداعى ، أمر يملأ نفس المؤمن معرفة للحق — وانتمالا  
 بمعانى العدل ، وحبا للخلاق يدعو له طاعته ، فياتر بها أمر وينتهى عما نهى ،  
 وهذا كله يصنع من المؤمن انسانا يتخلق بأخلاق الله فى العدل والرحمة والأمن  
 والسلام ، مع استحضر حصر الدعوة كلها فى رحمة الله بالخلق ، وما أرسلناك  
 الا رحمة للعالمين . . .

وهذه المعانى تنعكس على علاقة المؤمن بغيره من المخلوقات كلها ، علاوة  
 على ما فى الصلاة والزكاة والحج والصيام ، من تجسيد هذه المعانى فى علاقة  
 كل مؤمن بغيره من المخلوقات ، وهذا شئ واضح . . وكذلك تنظيم العلاقات  
 الاجتماعية والسياسية والاقتصادية بين الناس ، لم يكن له من هدف فى الاسلام  
 الا أن تقوم هذه العلاقات على العدل الاجتماعى والسياسى والاقتصادى ، مع  
 ما يفرسه فى نفوس معتقيه من المحبة والإخاء والإيثار .

وبهذه المعالجة نستطيع أن نحكم — مستريحى الضمير — بأن الاسلام  
 فى دعوته ومبادئه دين سلام يكره العنف والأذى والاعتداء ، لانه يكره الظلم  
 ويقيم للحق والعدل أعلى الدعامات . . .

### **ب ( تاريخ الاسلام وواقع نشره واعتناقه .**

أما أن الاسلام — من واقع نشره ، وتاريخ اعتناقه — دين سلام ، فذلك  
 باب واسع ، يطول بنا البحث لو قصصنا الاحداث التاريخية والوقائع المروية  
 عن الثقات من الرواة ، التى تدل عليه . .

فالاسلام عقيدة يمتلئ بها القلب والوجدان فيندفع الانسان — بها ومن  
 أجلها — الى القيام بمختلف العبادات التى تدل على صدق المعتقد فى اعتناقه ،  
 ولئن كانت العبادات الظاهرة صالحة للبرائة البشرية والحساب الدنيوى ، فان  
 العقيدة القلبية لا يمكن أن تكون محلا للبرائة والملاحظة ، لأن عقيدة أى شخص  
 سر من أسرار نفسه ، لا يعرفها على الحقيقة سواه ، ومن هنا لم يكن من الممكن  
 كشف المنافقين الا عن طريق الوحي . . ولننظر . ماذا تكون نجات المسلم ؟  
 ابقائه بالعبادة الظاهرة دون ايمان وايقان ، أم الايمان بالخلاق وما يجب له من  
 العبادة والخضوع ايمانا يدفع صاحبه راغبا للعبادة والخضوع ؟ . .

وهذا الايمان المطلوب لا تمكن مراقبته ، لانه امر نفسى . كما لا يمكن القسر عليه ، لان العقائد لا تكتسب بالقوة ولكن تتحقق بالاتفاق .. والا فماذا صنعت قريش حين لجأت الى تمغيب من آمنوا بمحمد ورسالته بأقوى انواع التمغيب ؟ ...

هل ردوا احدا بالقوة وعن طريق القسر عن ايمانه ؟ وهذا جانب من البحث له دلالة على ما نحن فيه .. وفرق بين رجلين يقفان فى صف واحد . احدهما يؤمن بأن عقيدته تستحق أن يبذل فى سبيلها نفسه ، لأن بقاء عقيدته اسمى واعز عنده من بقاء نفسه ، والآخر يأتى الى الصف بلا عقيدة ، فان تحقق النصر فهو مع المنتصرين . وان رأى الهزيمة فر وتولى لا يلوى على شيء . فعلى مثل الاول قام الاسلام ونهضت مبادئه . وعلى مثل الثانى تضعيع المبادئ والمنادون بها جميعا ...

واذا كان معنى الدعوة الى الاسلام غرس عقيدة مكان عقيدة . فهل باشر محمد مع من آمن به فى اول الامر شيئا من اساليب الضغط او الاكراه ، وهو المقيور الذى لا يستطيع أن ينثر الذهب على تابعيه ، البعيد عن مجالس الحكم والرياسة والجاه .. بحيث لا يطبع طابع أن ينال من آثار هذه المجالس ادنى نصيب ؟ ... ونحن نحدثنا رواة التاريخ عن الحقبة التى قضاهما النبى فى مكة قبل الهجرة : لا نجد فى حديث واحد منهم ، سواء المسلم وغير المسلم ، ما يدل على أن محمدا أكره احدا على الايمان بالله ورسالته ، بأى نوع من انواع الاكراه ..

وبعد الهجرة ، يثبت التاريخ أن الدعوة الى الله لم تأخذ صورة العنف ابدا ، فقد دخل الرسول يثرب وما يكاد يوجد فيها بيت فيه مسلم ، وقبل الانصار وجود المهاجرين معهم : واوسعوا لهم فى السكن وفى العمل وفى القلوب جميعا ، وأحلوا الرسول من ذلك كله محل الكرامة والعزة والمنعة . ومع ذلك لم يقاتل اليهود الموجودين بها : بل عقد معهم المعاهدات التى تجعل لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم : ولما صارت للمسلمين بالمدينة دولة أصبح عليهم — كما تقضى بذلك سنة العمران — أن يحافظوا على حدود دولتهم . وعلى حقوق مواطنيها من المسلمين وغير المسلمين : وأن يمنحوا عنها بالقوة — اذا لزم الامر — كل من يحاول أن يعتدى على حرمانها او يخرق حدودها ، وذلك شئ من طبيعة العمران لا شأن للدعوة الى الله او لغير الله فيه . ونخلص من هذه النقطة ، بأن الدعوة الى الله فى المدينة هى نفس الدعوة اليه فى مكة وفى كل مكان ، سبيلها الانتاع بالحق وبالعادل .

ورغم الغزوات التى خاضها المسلمون بقيادة الرسول الكريم ، والتى اضطروا فيها لحمل السلاح دفاعا عن دولتهم ومواطنيها ، فاننا لا نعدم فى كل غزوة منها روح السلام تبدو من جانب المسلمين : وروح الاعتداء والفساد والتفاهر بالقوة تبدو من الجانب الآخر ...

ويروى التاريخ أن من كان يبعثهم الرسول لاسكات من يشغبون على الدولة ، كان يأمرهم بالأبىقاتلوا إلا المقاتلة : أما المسلمون والشيوخ والنساء والمستضعفون . فعلى قادة البعث الأبى تعرضوا لهم بسوء . ومن هذا القبيل قول الله تعالى : « فلا عدوان إلا على الظالمين » ..

ويروى التاريخ بمداد من نور موقف النبى والمسلمين فى الحديبية ، ففى سبيل حقن الدماء : ورغبة فى السلام للجميع قبل النبى شروط الصلح التى عرضها أهل مكة ، رغم ما فيها — فى ظاهر الأمر — من اجحاف بالمسلمين الذين كانوا يستطيعون القتال لو كانوا يريدونه ، فقد كانوا ألفا وأربعمائة ، كل رجل منهم يحب الموت أكثر من حب غيره للحياة ...

كما يروى التاريخ أن النبى يوم فتح مكة أوصى خالدا بعدم القتال ، وكان خالدا قد قاد جزءا من جيش المسلمين عن طريق أسفل مكة ( المسفلة ) ، وقاد النبى سائر الجيش من طريق أعلى مكة ( المعلاة ) ، وعزل سعد بن عبادة لما بلغه عنه أنه تكلم بلسان الحرب فى موكب السلام ، وأمر أبى سفيان أن ينادى بالامن والسلام لكل من يفعل أى فعل يدل على رغبته فى السلام ، فمن التى سلاحه ومن دخل المسجد وحتى من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، وقال لمن أخرجوه منذ ثمانى سنوات بعد أن دبروا قتله ، وقد كانت حياتهم وموتهم على كلمة منه يومئذ . قولته الخالدة . اذهبوا فأنتم الطلقاء ، وعاتب خالدا عتبا شديدا لما بلغه أنه قاتل ، حتى اعتذر خالدا بأنه لم يقاتل إلا من بدعوه بالقتال . وبعد الفتح زال الحرج الذى كان مسيطرا على أكثر قبائل العرب ، الذين لم يريدوا أن يغضبوا قريشا ، ولا يودون محاربة الرسول ، فدخل الجميع — دون قتال — فى دين الله أفواجا ...

ثم لتقف هنا وقفة لنسال الذين يرمون الحديث من افواههم ، ترديدا لمن سبقوهم به ، أو انفعالا ببعض المواضع دون بحث ظروفها وأسبابها ، فيقولون . أن هذا الدين فرض على المؤمنين به بالسيف والقوة ، لنسال هؤلاء . أى الاوقات بعد الهجرة وبدر كان أخصب فى ظهور الدعوة وكثرة المؤمنين بها ، الاوقات التريص والخوف أم اوقات الصلح والامن والسلام ؟؟ . أن التاريخ الصادق يحدثنا أن عدد من آمن بهذه الدعوة فى ظل الامن والهدوء والحرية والسلام فى سنتين بعد الحديبية يفوق أضعافا مضاعفة من آمن قبل ذلك فى خمس سنين فى ظل التريص والحذر والخوف — ... أفيعد هذه الحقيقة الواقعة الدامغة ، يكون هذا الدين من واقع نشره والايمان به دين حرب وأعنات وإكراه ؟؟ .. وهل تصلح هذه الصفات وسائل لتثبيت عقيدة أو تخليد مبادئ أو تأسيس حضارة ، اللهم أن العقيدة ثابتة والمبادئ خالدة والخضارة قائمة ، ولا يمكن أن ينهض هذا كله على الاكراه والإعنات ... وصدق الله العظيم . « لا إكراه فى الدين » . « أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » .. ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ... أنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء ... ومن هذا القصص التاريخى المختصر يتبين لنا أن هذا الدين من واقع نشره واعتناقه ، لا تزدهر مجادته ، ولا يربو عدد تابعيه الا فى ظل الامن والسلام ...

# كتاب "میلاد الفرق في الإسلام" أو مدخل إلى دراسة الدين الإسلامي

عرض وتلخيص الدكتور محمد غلاب

مؤلف هذا الكتاب أستاذ شهير في الكلية دي فرانس ، وقد ألف قبل هذا الكتاب دراسات عن الإسلام : « محاولة على المذاهب الاجتماعية والسياسة لابن تيمية » و « رسالة عن الحق العمام عند ابن تيمية » وهي ترجمة مهمشة ل « السياسة الشرعية » تأليف ابن تيمية . و « عقيدة ابن بطلة » و « الخلافة في إى رشيد رضا » وهي ترجمة مهمشة أيضا لكتاب « الخلافة » لهذا الأخير . وغاية هذا الكتاب الذى نحن بصدد الآن — كما يقول المؤلف في تمهيد — هى ان يقدم الى الطلاب الجامعيين الغربيين ، والصفوة العقلية المتطلعة الى الثقافت ، سفرا أكثر شمولاً وعمقاً في الفروع المتباينة : وأنواع التراث الداخلى للإسلام الذى أصبح دوره عظيم الاهمية في العصر الراهن ، الذى صار من الضروري فيه أن تتبادل الأديان الكبرى فيما بينها علاقات التفاهم والاحترام . موضوع هذا الكتاب إذن هو تقديم عرض واف للاختلافات الداخلية التى وقعت بين مدارس وشيعه التى يطلق عليها اسم « الأسرة العقلية العظمى » والتى اختلفت كثير منها على مر الزمن ، ولكن عددا منها — ولا سيما أقدمها — قد برهن على حيوية قوية ممتدة بمقاومة الزمن . ولما لم يكن من الممكن وجود عامل أقوى في إبراز النشاط ، واستحقاق الاجلال والخلود من عامل التباين في الآراء والاختلاف في الفكر ، فقد كان من الطبيعى أن يكون موضوع هذا الكتاب الذى يهدف الى الكشف عن التراث العقلى في الإسلام ، هو أمانة هذه الاختلافات . ولما كانت هذه المذاهب وتلك الشيع ابعدها ما تكون في الاختلاف بينها . فقد صرح لدى المستشرقين ان يطلقوا عليها عنوان « الانشقاقات الداخلية أو الانشقاقات في الإسلام » .

نبد المؤلف منهج دراسة هذه الفرق مستقلة بعضها عن بعض ، بمعنى انه لا معنى فيها الا بالتحليل وحده وسبر اغوار كل فرقة على حدة سائرا على النظام التالي : اى السنية ، والخوارجية ، والشيعية ، والاعتزالية ، والفلسفية ، والصوفية ، لان من عيوب ذلك المنهج الذى نبدّه انه لا يسمح للدارس بابرار علائق كل منها بالاخرى ولا بفهم الظروف التى أحاطت بها ، ولا بياضح الزمان والمكان اللذين نشأت فيهما ، ولا بتحليل الاحداث السياسية والاجتماعية التى أحدثت بها . واذن فقد فضل المنهج التاريخى الذى سمح له بالنجاة من هذا المازق ، وان كان قد لجأ الى تخصيص مكان واسع للتاريخ . ولذا يشير الى ان كل مذهب من تلك المذاهب الاسلامية له جوانب سياسية واقتصادية واجتماعية ، لا يمكن فصلها فى سهولة عن مظاهره المذهبية . وهذا ناشئ عن انه لا ينبى الاغضاء عن أن الناحيتين الروحية والمادية فى الاسلام مرتبطتان ارتباطا غير قابل للانحلال .

ولكى يكون هذا المنهج نزيها ومحيادا — كما يحدثنا المؤلف — يجب الا يصدر مبتدئا من مدرسة معينة يدرس الباقيات على ضوئها ولو كانت أكثرية او ظائرة بالرجحان ، بل هو يقتصر على دراسة الظروف والاوقات والبيئات التى نشأت فيها هذه المدارس وتطورت عبر التاريخ ، كما يعول فى دراسته على المؤيدات السياسية التى سندتها ، والخصوم الذين شوهوها أو هاجموها ، فإذا فرغ من هذا ، شرع فى تحليلها ، ووضع طوابعها التى تميزها عن سوابقها ولواحقها ، وإبان زعماءها وعلماءها .

يتألف هذا الكتاب بعد التمهيد الذى اشرنا اليه آنفا — من أحد عشر فصلا وخاتمة علمية تحليلية طويلة . فاما الفصول المشرّة الاول ، فقد خصصها لدراسة الشيع والفرق مقترنة بتاريخ الخلفاء وآرائهم ، منذ وفاة النبى صلى الله عليه وسلم الى نهاية القرن الثامن عشر . وأما الفصل الحادى عشر ، فانه يهجر فيه التاريخ نهائيا ويخصصه لتلخيص واف يحتوى أهم الحركات الدينية والسياسية والاصلاحية او التطورية . وأما الخاتمة فهى تعنى على الاخص بالنقاط البارزة التى يحدث فيها الجدل من كل مذهب ، والتى تسفر المناقشات فيها عن اتفاقات جامعة ، او اختلافات مفرقة . وقد اعتمد فى هذا كله على آراء علماء المسلمين الادقاء التى وردت فى كتبهم المعتبرة . ولم يعول فى هذه المناقشات على الباحثين الغربيين الا قليلا وفى كثير من التحفظ والاحتياط .

### عرض سريع :

يبدأ مؤلفنا هذا العرض السريع بأنه لا يكاد النبى صلوات الله عليه يلتحق بالمألا الاعلى حتى تبدو مسوغات الانشقاقات . وسر هذا كله هو أولا اختلاف الامزجة والاهواء والغايات بين الصحابة الذين انبجست منهم منابع الخلاف . ثانيا : سخط الذين آمنوا فى مبدأ الرسالة على من آمنوا أخيرا !! وكان الاولون يتهمونهم بالانتهائية ، بل وصل بعضهم الى حد القول بأن عددا من المسلمين الاخيرين لم يؤمنوا الا للفوز بالفتن والمناصب ، ورغم هذا وضعوا فى صفوف السابقين ، وعلى نفس مستواهم بلا تفریق ولا تمييز !! ثالثا : تمرد البدو والمنقسمين على أنفسهم فى الشمال والجنوب ، والذين كانوا حينئذ عهد بالاسلام من جهة ، وساططين على تقدم قریش عليهم فى الرياسات من جهة أخرى . غير أن قوة الخليفين الاولين ، وحزمهما وإيمانهما وشجاعتهما قد قضت على هذه الفتنة الاولى فى مهدها . على أن هذه الجهود الجبارة التى بذلها ذاك الخليفان العظيمان لم تمنع بعض متأخرى الشيعة من مخالاب الهررة التى حاولوا أن

يحدثوا بها تصرفاتهما الحكيمة فيما نقله مؤلفنا عن ابن تيمية وابن كثير ، كان اخذوا على ابي بكر مثلا أنه غاصب للخلافة فرضه عمر بن الخطاب على المؤمنين فرضا ، وأنه اعتبر منع الزكاة ردة يستحق عليها فاعلوا القتل ، وقتلهم فعلا ، وأنه ارتكن على حديث آحادى لم يروه الا هو ، فمنع فاطمة من ميراث ابيها . واسندوا الى عمر عدم تطبيق الحدود كما وردت عن الله ورسوله ، وأنه منح مائثة وحفصة ابنته نفقات اكثر مما تستحقانه .

ولكن التشنقات الحقيقية الاولى ، قد بدأت تكثر عن انبيائها فى عهد عثمان وانتهت بقتله . ذلك الحادث الجلل الذى تسببت الاحكام التبانة عليه — فيما بعد — فى اختلافات جسيمة من جانب اهل السنة والشيعية والخوارج . وعلى اثر ذلك فتحت مسألة خلافة الامام على كرم الله وجهه ابواب الانشقاق الاول ، وهو وجود عصبة الخوارج والاحكام التى صدرت عليها فى القرون التالية ، ونشأة الشيعة المغالية التى رعى مؤسسوها الاولون بالزندقة ، ثم انتشار الشيعة بوجه عام وفى شىء من العنف بعد فاجعة كربلاء .

ثم يتابع المؤلف بعد ذلك دراسة نشأة الفرق الشيعية المختلفة على مر الزمن مع احكام علماء الاكثرية لها او عليها كالكيسانية ، والحربية ، والبيانية ، والباطنية ، والمنصورية . وكذلك نشأة المرجئة . ثم يستمر فى دراسة الخوارجية بافرعها الثلاثة : الصفرية ، والاباضية ، والازارقة ومناضلاتها السياسية والدينية ضد الامويين . ثم يحدثنا كيف أن خلفاء بنى أمية — بعد أن حطوا الشيعة والخوارجية — يهاجمون القدرة التى اسسها معبد الجهنى ، والجهمية التى اسسها جهم بن صفوان . ثم يصل بعد ذلك الى المعتزلة فيحدثنا أنها نشأت فى اواخر حكم بنى أمية ، وأن مؤسسها هو واصل بن عطاء ، وأنها كانت فى اول امرها مذهبية محضة قبل أن تختلط بالسياسة وتظهر بالاهمية العظمى ، وتتأرجح بين عواصف أهواء الخلفاء فى العصر العباسى . ولم تكن المعتزلة وحدها هى التى قاست أهوال الخضوع للخلفاء ، بل أن الشيعة أيضا قد كان لها معهم مواقف عنيفة ، فلم يكد الخلفاء الاولون من العباسيين ينتهون من القضاء على الامويين حتى تفرغوا للعلويين فصبوا جام غضبهم واضطهادهم على الشيعة عامة ، والزيدية خاصة . وليس هذا فحسب ، بل أن الفروع الشيعية التى نشأت بعد جعفر الصادق كالناوسية ، والموسوية ، والخطابية وغيرها من المذاهب والفرق التى نشأت فى ذلك العهد ، والتى كان تعددها وتعارضها سببا فى تكون المذهب السننى وتسميته بهذا الاسم املا فى العشور على الصراط المستقيم الذى يقتاد اتباعه الى أهداف الرسول التى لم تشوهها البدع ، ولم تنل منها الاغراض . وكان من بين المؤسسين الاولين لهذه الجماعة تحت اسم « اهل السنة » عدد من تلاميذ الحصن البصرى ، وابن سيرين ، وابو قلابة ، وابو حنيفة ، ومالك بن انس .

ولما ولى المأمون الخلافة اراد محو الشقاق بين العباسيين والعلويين بحجة أنهم جبيما هاشميون ، فدعاه ذلك الى رعاية الشيعيين وحمائهم لأنهم انصار اهل البيت الهاشميين ، وقد سند الاعتزال ، وأيد المعتزلة بكل ما لديه من قوة ، بل صار هو نفسه معتزليا مقتنعا قوى الشككية ، ولكن هذه المناصرة للمعتزلة جعلتها تطفئ وتضطهد زعماء اهل السنة ، وعلى الاخص الامام أحمد بن حنبل الذى يحدثنا ابن الجوزى أن الخليفة المعتصم قد أمر بجلده وسجنه فجلد وسجن ، ولم يظهر بحريته الا بعد ثمانية وعشرين شهرا . بيد أن هذا لم يدم طويلا ، إذ لم يكد الخليفة المتوكل على الحكم حتى جعل رد الفعل يظهر ويتجلى فى حياة اهل السنة فيستعيدون قوتهم ويكافحون ضد الشيعة والمعتزلة .

وليس هذا محسوب ؛ بل ان شأن هذه الجماعة جعل ينمو ويعظم . وفي ذلك العهد ظهر فيها عدد من العلماء حملوا لواءها بهيئة مشرفة ترفع الرؤوس ؛ وتسجل مواقف العقلية الاسلامية بأحرف الخلود كالترمذى . والنسائى ؛ وأبو بكر الخلال . وأبو بكر السجستاني ؛ وعلى الأخص توجت أعمالها في هذه الحقبة بمنتجات أبي الحسن الأشعري الذي كان مذهبه على قمة الاعتدال بين الضابطة والمعتزلة . والذي رفع نجاحه رأس أهل السنة خاصة . وعلماء الكلام عامة . وقد ظلت الحال على هذا المنوال من التقدم ووفرة الانتاج حتى تم الامر لأسرة البويهيين في سنة ٣٢٤ هـ وجعل الخلفاء السنيون يصفعون شيئاً فشيئاً . ويهبط معهم حظ أهل السنة من التلالؤ . وكان الأشعري قد توفى منذ سنة ٣٢٤ هـ .

وعند ذلك رفعت طوائف الشيعة رؤوسها لا سيما فرعى الاسماعيليين القرامطة . والفاطميين الذين كان لهم فيها بعد شأن عظيم في مصر ثم في أصقاع الدروز . ومعنى هذا أن جماعتي السنة والشيعة المعتدلة في مطلع حكم البويهيين كانتا قد وفتقا على اقدامهما . وكذلك الصوفية كجماعة محددة ، والفلسفة التي ان كانت قد تأثرت بالعناصر الاغريقية ، فانها لا تزال اذ ذاك في داخل المحيط الاسلامي .

وفي منتصف القرن الرابع الهجري استولى الفاطميون على مصر ونشروا فيها مذهبهم . وبهذا احيط مذهب أهل السنة بعوامل المحاربة والاضمار من كل جهة ، فالفاطميون في مصر . والبويهيون في بغداد قد ضيقوا عليها الخناق ، ولم يبق لها ولى ولا نصير سوى السلطان محمود الغزنوي . وفي اثناء هذا الاحداق الخائق من كل الجوانب هب السلاجقة السنيون واستولوا على بغداد في سنة ٤٥٥ للهجرة ، فنفس أهل السنة الصعداء ، وجعلت مدارسهم تنقش . ولهذا كان القرنان الرابع والخامس ساطعين في المعارف الدينية بأنواعها ؛ فمن أهل السنة ظهر أبو بكر الأجرى ، وأبو حسين الملقب ، وابن بطة المكنى ، وأبو بكر الباقلاني ، والحاكم النيسابوري ، وأبو منصور البغدادي وإمام الحرمين الجويني . والإمام الغزالي . ومن المحيط الشيعي برز الشيخ المفيد ، والشريف المرتضى ، وأبو جعفر الطوسي في الشرق . وابن حزم في الغرب ، وكان في عصره أقوى المدافعين عن المذهب الظاهري .

وعندما هزم الايوبيون الفاطميين في مصر وسوريا زادت قوة أهل السنة واخذ نجمها في الصعود . فظهر ابن الجوزي الذي يعتبر كتابه « تلييس ابليس » موسوعة جامعة لكل المذاهب المغالية والشيع المتطرفة التي نبذها أهل السنة وهاجموها مهاجمات تتفاوت عنفاً ولينا بتفاوت ابتعادها في رأيهم عن مبادئ الدين .

وفي أواخر ذلك العصر ازهر امام المارفين محيي الدين بن عربي ؛ وكان متمتعا برعاية الملك الاشرف الايوبي في ديشق تلك الرعاية التي اثبتت منها هديره الصائفي الذي سمح له بتسجيل تلك النفحات القدسية في كتاب « الفتوحات المكية » .

بيد أنه لم يكد القرن السادس الهجري ينتهي حتى تغيرت الظروف والاجواء ؛ فجعل الخلفاء العباسيون الثلاثة ؛ الناصر ، والظاهر ، والمستنصر يحسون بشدة الضيق من السلاجقة ؛ ويفكرون في التخلص منهم ، وقد اضطرم هذا الى الاستعانة عليهم بوزراء شيعيين دون أن يلتفتوا الى مذهبهم الدينية ما داموا سيحققون لهم اغراضهم السياسية . ولما تولى الخليفة الضعيف المستنصر ، لم يستطع ان يقاوم غزو المغول الذي لم يكد يتم حتى اعتنق الفزاة



مذاهب الشيعة وتحولوا الى جانبهم ، فعلا نجههم ، وتقويت شوكتهم . ولكن سلاطين الممالك السنيين — بعد أن انتصروا على ملوك الايوبيين فى مصر وسوريا — أخذوا يكافحون الشيعة المغولية المنتشرة فى بغداد ، وجعلوا يناصرون المذهب السنى حتى استعاد حيويته وانتعاشه فى القرون الاربعة : من السابع الى العاشر .

ومما ساد فى عصر الممالك بعث الحنبلية الذين كانوا مضطهدين فى بغداد فى عهد المغول ، وقد مثل هذا البعث على الاخص ابن تيمية الذى كانج — بمنجاته القوية فى القاهرة ودمشق حتى وفاته — ضد اسلام المغول المشتبه فيه من أساسه ، وضد الشيعة والمبتدعة ، والباطنية ، وضد المتكلمين عامة ، والاشاعرة خاصة .

وفى نهاية الربع الاول من القرن العاشر الهجرى . تم للمماليك الاستيلاء على مصر بعد أن شنقوا طومان باى آخر سلاطين الممالك ، وفى هذه الفترة عينها حاربوا الشيعة حتى هزموها فى شخص الشاه اسماعيل الذى كان قد جمع حوله الايرانيين والعراقيين والمغول . وبعد أن انتصر السلطان سليم على الشيعة من جهة ، والممالك من جهة أخرى ، وفاز بسبب هذا ، بلقب السلطان السنى الاقوى فى العالم الاسلامى ، بل اعلن أنه أصبح الوارث العلى للخلافة غير أن النضال ضد أسرة الشاه اسماعيل قد استمر بحظوظ مختلفة ونتائج متباينة . ولم ينقطع الا فى القرن الثانى عشر الهجرى حين عقد نادر شاه معاهدة السلام مع العثمانيين سنة ١١٦٠ هـ .

وفى عهد الممالك والعثمانيين السنيين ، نلتقى بعدد من المتكلمين المتأخرين ، والمؤرخين المحققين كمحمد الدين الأجبى مؤلف كتاب « الواقف » الذى شرحه الجرجانى ، والدوانى ، وكتاب « العقائد العضدية » الذى هتمس عليه الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده . وكفاج الدين السبكى مؤلف « طبقات الشافعية » : وابن خلدون . والمقرئزى . والسيوطى الأشعرى الشافعى الشاذلى المؤرخ المعروف : وابى البركات النسفى الماتريدى الحنفى مؤلف كتابى « المصدة » و « الكنز » . وقد اعتمد فى تأليف هذا الاخير على كتاب « الهداية » وسعد الدين التفتازانى شارح كتاب نجم الدين النسفى الماتريدى .

وبهذا ينهى مؤلفنا الفصول العشرة الاول من كتابه التى لخصناها تلخيصا عاجلا . بل خاطفا . ولم نكد نرسم منها سوى خطوطها المريضة التى دلت على سعة اطلاع داعية للاعجاب بهذا المؤلف المثقف الدقيق النزاهة .

غير أن هذا العرض السريع لم يمنعه من أن يخصص جانبا عظيما من الاهمية للسنية والشيعة المعتدلة : ولكن ذلك التمييز من جانب المؤلف لم يكن بعنوان السلفية بل بسبب اهميتها من وجهة أن زعماءها من اكبر علماء الاسلام . وان اتباعها هم الاكثرية الغالبة من المؤمنين . وانها كانتا دائما دين الدولة الرسمى على التوالي . او متعاصرتين فى هذه المنزلة الرسمية فى امتين مختلفتين من الامم الاسلامية . وقد دفع هذا الاعتبار مؤلفنا الى الاحساس بهذه الضرورة العلمية . وهى ابراز آراء اكبر علماء الاسلام من هاتين الطائفتين كل منهما فى الاخرى على التبادل . ثم معرفة آرائهم فى المذاهب الباقية . ولما كانت كل طائفة من هاتين الطائفتين تضم بين دفتيها شيعا كثيرة وفرقا متباينة ( تنقسم امتى الى اثنتين وسبعين فرقة ) فقد تباينت أحكام كل فرع من كل طائفة على الاخر من اتباعها وخصومها . وقد اعتمد مؤلفنا — فى فهمه وتحليله واحكامه — على أهمات كتب هذه المذاهب واساسياتها الرئيسية ، وكتب التاريخ الموثوق بها مثل : ( كتاب السنة ) لاحمد بن حنبل و ( منهج السنة النبوية ) لابن تيمية . و ( تلبيس إبليس ) لابن الجوزى : و ( أصول الدين ) لعبد القاهر

البغدادى ، و ( الفرق بين الفرق ) لنفس المؤلف : و ( مقالات الاسلاميين ) للأشعري ، وكتاب ( الفصل ) لابن حزم ، و ( الطبقات الكبرى ) لابن سعد ، و ( الملل والنحل ) للشهرستاني ، وكتاب ( الخطط ) للبقرى ، و ( الخطط ) لابن الاثير ، و ( تاريخ الامم والملوك ) للطبري . وكتاب ( الارشاد ) للشيخ المفيد ، و ( منهاج الكرامة فى معرفة الإمامة ) لجمال الدين الحلبي ، و ( مرق الشيعية ) لحسن بن موسى النوبختي ، و ( مهرست كتب الشيعة ) لابن جعفر الطوسي . وكتاب ( طبقات المعتزلة ) لابن المرتضى . وكثير غير هذا من المصادر الاسلامية والاوربية التي يعتبر مؤلفوها من أعيان الباحثين ك ( ماسينيون ) و ( هنرى كوربان ) و ( رينيه بلاشير ) و ( بروكيلمان ) و ( دونالدسون ) و ( نادير ) وما الى ذلك مما يؤلف مجموعة محترمة من المستندات المذهبية والتاريخية المعتمدة التي سحبت له بان يجري تحليلات دقيقة لعلماء المسلمين البارزين كالفزالي ، وابن حنبل . وابن تيمية ، وجمال الدين الحلبي .

ومما يلفت النظر فى هذه الدراسة أن المؤلف هنا قد عنى بمذهب أهل السنة عناية فائقة يبدو من خلالها امتياز هذه الطائفة ورجحانها على بقية الطوائف الاسلامية ، فخصص لها مكانا واسما فى كتابه تناول فيه نشأتها وطريقها : السلبى واليجابى اللذين وضعهما لها مؤرخو الحركة المعتزلية الاسلامية الذين وصفوها فى النظرة الاولى بأنها تنبذ جميع المذاهب التي شقت الاسلام قبل تكونها . وصورها فى النظرة الثانية مرتبطة بالكتاب الكريم والسنة الصحيحة والاجماع المعتر احكم أنواع الارتباط . ويستنبط المؤلف من هذا أن من العناصر الرئيسية التى هيات الانتصار الرائع للسنة على جميع الفرق عنصر ذلك الوضع المعتدل بين الشيعة والخوارج . ومن هذه العناصر أيضا الواقعية السياسية التى تأمر بطاعة السلطات الحاكمة ما دامت لا تأمر بمعصيان الله ورسوله « لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق » . ومن ذلك أيضا الإغضاء عن جميع الانشقاقات التى وقعت بين الصحابة ، أو تصغيرها ، أو تصيد الاعذار لفاعليها بقدر المستطاع . ومن هذه العناصر كذلك اعتبار الخلفاء الراشدين الاربعة شرعيين ، وقبول من جاءوا بعدهم من خلفاء المسلمين وأمرائهم مهما قيل فى شأنهم . وقد جعل هذا العنصر الأخير أهل السنة جدبرين حقا باسم مذهب ( جمع الأمة الاسلامية ) . ولكى توفق هذه الجماعة بين الآراء الداخلية لدى طوائفها الفرعية أقرت مذهبى أهل الحديث وأهل الراى ، ذلك الاقرار الذى لا أدرى لماذا يطلق عليه مؤلفنا — وهو دقيق ممتد — اسم الوسيلة التى تشوبها الصناعة قليلا . وكان ينبغي له أن يسميه بالوسيلة الحكيمة أو السياسة الرشيدة . ومن آيات استحقاق هذا الاقرار للارشاد والحكمة ما انتجه من ثمار مفيدة خالدة .

ومهما يكن من الامر ، فإن الدور الذى مثله أهل الحديث وأهل الراى وكل ما يتصل بهم على مر الزمن من قريب أو من بعيد والخلفاء أو السلاطين الذين كانوا ينعتفون نحو المذهب السننى ، والاهمية التى ظفر بها مذهب أهل السنة ، كل ذلك قد ناز بنصيب الاسد من عناية مؤلفنا .

وتلى هذه المنزلة عنده منزلة الشيعة المعتدلة ، إذ يعنى بقيمة زعمائها العقلية والعلمية وبفضالهم القوى ضد غلاة الشيعة ، وضد جميع الفرق التى أحدثت تشققات فى الصفوف الاسلامية ، أو فتحت ثغرات فى الأمة .

وبعد هاتين المنزلتين العظيمتين ، وضع مؤلفنا المعتزلة الذين صاروا — منذ عهد المأمون وخلفيه المعتمد والواثق — على رأس مدارس علم الكلام . وفى الحق أن هذه الطائفة من المتكلمين المتوازنين ، قد طبعت العقلية الاسلامية بطابع قوى سواء اكان ذلك عن طريق التأثير المباشر أم عن طريق رد الفعل الذى تولد

من مجادلاتهم فيما بينهم من جهة ، وما وقع بينهم وبين غيرهم من جهة أخرى . وقد خصص المؤلف فى كتابه دراسة تحليلية هامة لبدا الحركة الاعتزالية ولؤسسها وأصل بن عطاء . وقد تتبع هذه الحركات عبر التاريخ الإسلامى مسجلا أهم الأحكام التى صدرت لهم . أو عليهم من أعظم العلماء السنيين والشيعيين ، وقد أهتم على الأخص بمبادئهم الأساسية وقواعدهم الخمس التى اتفقوا عليها والتى وصفها بأنها قد احتلت المنزل الأولى فى الجدالات الإسلامية . وبعد ذلك علق على هذه الدراسة التحليلية التزنية بأن المعتزلة هم مع الفلاسفة ، أبرز فرق المسلمين التى استرعت انتباه الباحثين الأوروبيين وشغلت من مؤلفاتهم عددا وفيرا .

وأخيرا خصص مكانا واسعا من كتابه للصوفية وإبان كيف أن التصوف — بسبب انبثاق أصوله من الإسلام — كان موضع القبول الذى لا مشاحة فيه ، بل كان فى مرتبة الحب والرعاية والثقة والدعاية من انتباه المسلمين وانكباثهم . ولكن هذه الخطوة قد نبذت عندما خضع التصوف للتأثيرات : الهندية ، والفارسية ، والأفريقية . وقد عنى مؤلفنا — فى هذا الموقف كما فى غيره — بتسجيل الأحكام التى دأبت التصوف عن دقة وثبتت حيناً ، وعن سطحية وقشورية حيناً آخر ، وعن أهواء نفسية ، وأغراض فردية حيناً ثالثاً .

**الحركات التطورية :**

أسلفنا أن الفصل الحادى عشر قد عنى بالحركات التطورية منذ القرن الثامن عشر حتى الآن ، فعرض للهوابة وأبرز جانبها وأضحى من حرص زميلها على مزج الأسرة السعودية بالمذهب الوهابى حتى جعلوا منها وحدة لا تتجزأ . وكذلك لخص ما يدعى « بعصر التنظيمات » فى تركيا . ثم بسط الحديث عن السيد جمال الدين الأنفانى ، والاستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ، والسيد رشيد رضا ، ثم عرض للحركة المهدية فى السودان حيث يرى أثر الاستعمار البريطانى بارزا ملموسا ، ويشاهد انقلاب الفتن الإنجليزية ضد صانعيها ، وانتصارهم حيناً ، وانهزامهم أحيانا .

وبعد ذلك يقف هتية عند السنوسية فيشرح ميولها وحركاتها الدينية الممتزجة بسياسة الانتمال عن التيارات الأوروبية .

وعلى أثر انتهاء المؤلف من أفريقيا يعود الى آسيا ، ويعرض للهند فيدرس فيها الحركات الدينية والسياسية التى لا يفوته أن يسجل أنها لم تدرس كما ينبغي ، وأن الباحثين الغربيين لم يمنحوها ما تستحقه من العناية . ومن هذه الحركات مثلا حركة الفرائضية ، والمجاهدية ، وهما كلفتها ضد الاستعمار الإنجليزي ، وحركتا الهنديات التى يتزعمها السيد سيد أحمد خاى بهادر ، والاحمدية التى كان يقودها ميرزا غلام أحمد ، وكلاهما من مؤيدى الاحتلال الإنجليزي . ولذا كان أكثر ابتداعاتها خارجا على الإسلام السنى .

وبعد أن يفرغ من هذه الحركات يلقي نظرة فاحصة على حركات : الشيخية التى يتزعمها الشيخ الأحسانى ، والبابية التى يرأسها السيد على محمد الشيرازى الملقب بالبابى ، والتى كان لها تأثير سياسى بارز ، وتركت وراءها انتاجا أدبيا رائعا ، والبهائية التى أسسها ميرزا حسين على نوري تلميذ البابى . وهذه الحركات الثلاث الأخيرة متفرعة عن الدوحة الشيعية .

ونحن نرى — بعد القراءة المتعمقة المستأنية — أنه كتاب قيم جدير بالتداول والتشجيع ، بل نرى وجوب ترجمته لا لظهوره المميقة فى الإسلام وتأييده إياه ، وتأييده الفائق مع علمائه الأقدمين فحسب ، بل لأن مجرد الاطلاع على المراجع الأصلية التى يسجلها يشعر كثيرا من مثقفى المسلمين الفزهاء الحساسين بالخجل العميق لأنهم لم يروها قبل استعراضهم هذا السفر الجليل .

# السيدة أسماء

للمأستاذ: محمد لبيب البوهي

دار

دولاب الأيام بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة ، وقد أتم الله نعمته على الناس ، وأرضى لهم الإسلام ديناً ، وأشرقت الأرض بنور ربها ، وأمتلات عدلاً وفضلاً وعلماً ، وانتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جوار مولاه الكريم ، ولحق به بعد ذلك أبو بكر ، ثم عمر ، ثم بقية الراشدين ، وتقف بنا الأحداث عند سيدة مؤمنة فاضلة هي أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها وعن أبيها وعن كل المؤمنين والمصالحين الى يوم تقوم الساعة .

## ذات النطاقين

وأسماء هي صاحبة القصة المعروفة يوم الفار ، اذ ضربت المثل الأعلى في الشجاعة في حادث الهجرة يوم كانت تحمل الطعام الى النبي صلى الله عليه وسلم وأبيها اذ هما في الفار ، وكانت من الذكاء بحيث أدركت بأن تقديمها ستركان اثرهما على الرمال حين تسير ، فيعرف المشركون المكان ، فكانت تأخذ معها خادماً لها يرمى الفغم ، وتسير بحيث تجعل الأغنام من خلفها ، فتطمس الأغنام معالم تقديمها ، وقد شدت الى كتفيها اثابين بحزام لها هو نطاق نسجته ، فجعلته شطرين ، ولذلك سماها النبي صلى الله عليه وسلم ذات النطاقين ، وهي التي وضعت بعد الهجرة أول مولود يولد في الإسلام هو عبد الله بن الزبير الذي حملته حين وضعت الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فتناولوه بيديه الشريفتين ثم قبله ، ودعا له بالخير .

هذه مقدمة يسيره عن أسماء ، لندخل بعد ذلك الى بعض الأحداث التي أشرقت فيها فضائل هذه السيدة الكريمة ، فقد كانت قد نيفت على المائة من عمرها ، وما زالت تجلس لتعليم المؤمنين الذين كانوا يأتون الى حلقة درسها من كل فج عميق ، فقد كانت في شيخوختها مصباحاً منيراً من مصابيح العلم ، وامتحنها بعد ذلك الأيام باتسعى ما تمتهن به امرأة وأم .



ذلك انه لما تولى معاوية الثاني أمر الخلافة ، لم يرض عنه أهل الحجاز ، وأسرعوا إلى عبد الله بن الزبير وهو ولد السيدة أسماء — يبايعونه في مكة ، لما يعلمون من علمه وورعه ، وعجز الأمويين عن اخضاع عبد الله ، فحاربوه فأرسل عبد الملك بن مروان قائد جيوشه الحجاج بن يوسف على رأس جيش كبير ، محاصر مكة ، وذهب يضربها بالمنجانيق ، وهي أشبه ما تكون بالقنابل تصنع من الحجارة ، فتوضع في المقاليع الهائلة ، ويرمى بها الناس والدور ، وذهب الحجاج يلتمس من أنصار عبد الله ضعف النفوس ، فيفريهم بالمال الكثير ، والجاه العريض ، والضعف في كل زمان ومكان كائن في الناس ، والشيطان يغوى هؤلاء بالعاجل من زينة الحياة وترغها ، ويهون لهم ما يكون من شأن الخيانة وعاقبتها ، ويلتمس لهم من ذات أنفسهم أسبابا ينيم بها ما قد يكون هناك من بقايا الضمير ، فانفض عن عبد الله أنصاره أو أكثرهم ، وبقي وحيدا أو شبه وحيد ، يلوذ بالحرم ، يسأل الله من هذه الفتنة النجاة . وعلمت أمه العجوز أسماء بمأساة ولدها عبد الله ، وما هو فيه من شدة وبلاء ، وأنصراف أعوان ، ووقوفه في مواجهة الشر الكبير وحيدا . وكانت الأم حينذاك في المدينة ، فأسرعت بالسفر إلى مكة ، لتحليل على ضعفها ، وفي قلبها ما يكون في تلويح الأمهات من الهم والغم . والإشفاق على ولدها الذي لا تدري اتصل إلى مكة فقراء حيا ، أم تكون سيوف الفتنة قد نأثته من كل جانب ، وأذاقته كأس المنيا ، فلا يقدر لها أن تراه . وأسرع إليها الحجاج يطلب إليها أن تطلب إلى ولدها تسليم نفسه ، وسيضمن له حينذاك العفو والعافية ، وتركها على هذا الرجاء تذهب إلى ولدها في مكانه من داخل الحرم .

وشدت من قامتها حتى علت على الأحداث . وتصاغرَت الدنيا تحت قدميها ، وتداخل بعضها في بعض ، وتركت كل شيء جانبا ، وأمسكت قلب الأم بقبضة من حديد ، ونحت كل عاطفة جانبيا لتشد من أزر ولدها بما يجعله يواجه الدنيا والأحداث والفتن بروح المؤمن الذي لا يساوم في الحق ولا يلين .

لقد لتيها عبد الله قدير المين ، وأسرع فدفن وجهه في صدر الأم الحنون ،  
وشعر بدفء الحياة والأمن في أحضان الأمومة ، ثم أخذ بيدها ، وأجلسها إلى  
جانبيه ، وراح يلتبس منها نصحا ، فقال رضى الله عنه : « يا إمامه لقد خذلنى  
الناس حتى من كان منهم من خاصة أهلى ، فلم يبقى معى إلا الله ، وما هى ذى  
جيوش الحجاج تحاصرني ، وإن قوتى لن تقوى على مواجهة بأسهم ، وإن  
رسل الحجاج وعبد الملك يصلون إلى تباعا يعرضون على أقصى ما يتمنى المرء  
من رغد ودنيا ونعيم ، ويضمنون لى الأمن والعافية والسلامة .  
ونظرت الأم الحطمة القلب ، الملتساعة الفؤاد إلى ولدها ، واطرقت  
راسها ، وظن أنه لس وترا من قلبها ، وأنها ستوصيه بما توصى به كل أم فى  
مثل هذه الساعة ، وهى تتبنى لودها العافية والنجاة .

وطال صمتها ، وأربد وجهها ، وارتعشت شفتاها ، وهبت بعد ذلك  
واثقة كالطود ، وأخذت تمسح رأس ولدها فى عطف ومودة ، فأسرع مرة  
أخرى ، ولاد برحاب حنانها وعطفها وبرها ، يلتبس آخر ما فى الوجود من  
تطرات الحنان ، وجاءه صوته هادئا تويها وتورا مستائبا تشرق كل حروفه بنور  
الإيمان ..

أى ولدى عبد الله . تلتبس منى الراى والمشورة ؟! انك أعلم يا ولدى  
بنفسك فإن كنت على حق ، وإليه تدعو فقد قتل على الحق أصحابك ، فلا تمكن  
من نفسك بنى أمية ، وإن كنت أنما تريد الدنيا فبئس العبد أنت ، أهلكك نفسك  
وأهلكك من قتل معك .

وعاودت تمسح رأسه فى رفق ، ثم ودعته بنظرة تتصارع فى وبضها  
أقصى ما عرفته البشرية من حنان وحسب ، وهى تدرك أنها تودع أحب الناس  
فى الدنيا إلى قلبها ، لا تودعه وداع السلامة والنجاة من الأحداث ، وإنما  
تودعه وهى تلقى بقلبها إلى سيوف الطفبان .

لقد تصورت دماء الولد العزيز تتفرق تحت لحيته ، تحت ضربة منتظرة  
من سيف أحمق مجنون ، فشدت من جفניה حتى تحبس الدمع بارادة لم تعرف  
لها الدنيا مثيلا ، وانصرفت وهو ينظر إليها ، وكأنها تملو بقامتها ، وتملو فوق  
هضاب مكة وفوق الدنيا بأسرها ، وأخذ ينظر إليها قبل أن يتوارى شبحها ، وفى  
أذنيه طنين يملأ عليه رحاب نفسه « لقد قتل على الحق أصحابك ، فلا تمكن من  
نفسك بنى أمية ، وإن كنت تريد الدنيا فبئس العبد أنت ... »

وصرخ صرخة ارتجت لها أعماق نفسه ، وأسرع من خلفها يصيح بجراح  
قلبه وروحه وإيمانه ، رحباك يا أمى رحباك ... لييك ربى لييك .. وحبل  
سيفه وحيدا ، وتقدم ليلقى سيوفاً ظائمة بنذ بعيد إلى دمه ، فتوقفت أبه لتراه  
فى معركة لا أمل له فيها . توقفت الأم لترى السيوف تناله من جميع اتجاهاته .  
حتى سقط أمامها ، فأنختت ثقيله ، ولم تزل تضمه إلى صدرها حتى أمر الحجاج  
أن تضحى ، وأن تملق جثته أياما ثلاثة فى مكة عبرة للآخرين .

وظلت فى مكانها أياما لم ترحه ، وكان حديثا صامتا تعجز عن فهمه الدنيا  
يدور بين روحه وروحها من وراء عالم الفتنة ودنيا الناس ..

كانت عيناه مفتوحتين ، وكأنه يريد أن يعبر بهما تعبيراً يلبس به قلبها ،  
ويلتبس رضاها ، ويشكرها على برها ونصيحتها ، ويطمئنها على إيمانها ،  
ويبشرها بما لقى هناك .

تباركت يا إمامه فهل أنت راضية ؟ لقد محضتى خير نصيح يا إمامه ... فما  
دنيا الحجاج ؟! وما دنيا بنى أمية ؟! وما دنيا الناس جميعا بإزاء ما يلقاه فى  
سبيل الحق شهيد ؟!

# الفتاوى

## فى الإيلاء

قلت لزوجتى ( تحرمى على لمدة أربعين يوما ) ولا اتصد الطلاق ورجعت اليها وعاشرتها معاشرة الأزواج بعد أسبوع من اليمين . فما حكم الشريعة .  
( ن . ع — وزارة الكهرباء والماء — الكويت ) .

## الإجابة :

الحلف على تحريم الزوجة المدة المذكورة يعتبره بعض الفقهاء من قبيل الإيلاء وبعض الفقهاء يرى أن أقل مدة الإيلاء أربعة أشهر ، وبناء على ذلك لا يكون قوله المذكور إيلاء .

وبما أن السائل قرر أنه لا يقصد به طلاقا — فعلى رأى من يقول أنه إيلاء فيكون حنثه فى يمينه خيرا قال عليه السلام : « من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليكنف عن يمينه ، وليأت الذى هو خير ، ويجب عليه كفارة اليمين . وهى اطعام عشرة مساكين يوما أو كسوتهم ، أو تحرير رقبة وعلى رأى من يقول أن القول المذكور لا يعتبر إيلاء يكون قوله من قبيل الكفريات ، وحكم ذلك أنه لا يقع به يمين الا بالنية وما دام لم يقصد طلاقا فلا يقع به شيء ولا كفارة عليه .

## الحج عن الغير

شخص مقيم فى الاراضى المحتلة التى اغتصبتها اسرائيل ولا يستطيع الخروج منها منذ مدة طويلة وهو مسلم بلغ من العمر أكثر من تسعين عاما . فهل يجوز لابنه أن ينيب عنه فى الحج ويسقط عنه بذلك فريضة الحج .  
( عبد الله قدوم ) .

## الإجابة :

الحج من الاعمال التى تقبل الانتابة عند الأحناف والشافعية والحنابلة ولا تقبل الانتابة عند المالكية .

وبما أن الشخص المسئول عنه يعتبر زمنا لكبر سنه فضلا عن عدم تمكنه من تأدية فريضة الحج فيعتبر عاجزا عن أدائه ومن أسباب المعجز كبر السن ومنها أيضا وجوده فى مكان لا يستطيع الخروج منه ، فيجوز لابنه أن ينيب عنه من يحج عنه ، باعتبار أن ذلك من قبيل البر بالوالدين والإحسان اليهما قال تعالى « وبالوالدين أحسانا » .

وأذا حج عنه فيسقط فرضه — ويرى الحنابلة أنه لو قدر على الحج بعد ذلك فلا يلزم بإدائه مرة أخرى — ويشترط فى النائب أن يكون قد حج الفرض .

## حج الصبي

رجل يريد الحج ومعه ابنه الصغير وعمره سنة . فماذا يفعل له من أعمال الحج وهل ينوب عنه الأحرار ويعطوف عنه .

( ف — ق — الكويت ) .

## الإجابة :

من شروط وجوب الحج البلوغ فلا يجب على الصبي ، وإن فعله صح منه أن كان مميزا . ولا يجزئه عن الفريضة لقوله عليه السلام : ( أيما صبي حج عشر حجج ثم بلغ فعليه حجة الاسلام ) . والصبي غير المميز لا يصح منه الإحرام ولا مباشرة أى عمل من أعمال الحج ، ولكن الولي يحرم عنه ، وعليه أن يحضره الموافق ، فيطوف ويسعى به ويأخذه الى عرفة .  
وفى الحديث : أن امرأة أخرجت صبيا من محفته وقالت يا رسول الله هل لهذا حج ، قال نعم ولك أجره .  
ويتبين مما سبق أن مثل الطفل المذكور لا يصح منه الإحرام ولا مباشرة أى عمل من أعماله ، ويحرم عنه الولي ويحضره الموافق ويطوف ويسعى به ويأخذه الى عرفة ولكن لا تسقط عنه الفرض حين يصل سن التكليف وهو البلوغ .

## فى التكاح

زنا رجل بامرأة وولدت بنتا من مائه . فهل يصح للزاني الزواج من هذه البنت ؟  
( حسين عبد الله حسين / قطر ) .

## الإجابة :

يقول أبو حنيفة : أن من زنى بامرأة أو لمسها أو نظر الى العضو المخصوص منها بشهوة ، ترتب على ذلك حرمة المصاهرة ، فيحرم على الزاني التزوج بغرور الزنى بها ، وبأصولها وتحرم الزنى بها على أصول الزاني وفروعه .  
ويقول الشافعية : أنه يجوز للرجل أن يتزوج بنته المخلوقة من مائه زنا لأن ماء الزنا لا حرمة له ، ولكن يكره له نكاحها .  
ويقول المالكية : أن البنت المتخلقة من ماء الزاني فى تحريمها خلاف ، والمعتمد الحرمة .  
ويقول الحنابلة : أن وطء الزنا يثبت به حرمة المصاهرة على الصحيح من المذهب ، فمن زنى بامرأة حرمت عليه أمها وبنتها وحرمت على أبيه وابنه .  
وواضح مما سبق أن الأحناف والحنابلة والمالكية يحرمون على الرجل التزوج من بنته المتخلقة من مائه زنا ، والشافعية يقولون بكراهة نكاحها .  
التزوج من بنته المتخلقة من مائه زنا ، والشافعية يقولون بكراهة نكاحها .  
وبناء على هذا نفى بأنه لا يجوز لهذا الرجل أن يتزوج من بنته من الزنا .

## فى الميراث

توفى شخص عن :  
زوجتين ، وثلاثة أخوة لام ، واخ من أب .  
فما نصيب كل وارث ؟

( م . ع . ج — طالب بمعهد الإمامة بالكويت )

## الإجابة :

بوفاة شخص عن زوجتيه وثلاثة أخوة لام واخ لاب . يكون توزيع التركة بينهم على الوجه الآتى :  
للزوجتين الربع مناصفة بالتساوى بينهما فرضا لعدم وجود فرع وارث للمتوفى ، وللأخوة للأم الثلث فرضا مثالثة بالتساوى بينهم ، لا فرق بين ذكر وأنثى ، والباقي للأخ لأب تعصبا ، وذلك بعد نفاذ وصية وقضاء دين إن كانا .





## يا حاج

من أدى فريضة الحج في ديارنا يضاف الى اسمه تشريفا وتعظيما لقب ( حاج ) ( يقال مثلا : يا حاج ، او الحاج فلان ، او الحاجة فلانة ، فهل يجوز هذا في الاسلام .

( رمضان ارسلان بابا )  
مفتي دارنده - تركيا

ونجيب الاخ الكريم بأن هذه عادة مستحدثة لم تكن مسموعة في عصر الرسول الكريم ، ولا في عهد الخلفاء الراشدين ، ولا زمن الائمة الاربعة ، وانما درج عليها كثير من المسلمين في العصور المتأخرة ، وقد ذاعت وشاعت ، فاصبحنا نسمعها في لغة التخاطب بين الناس ، ونقرأها في الرسائل ، ونطالعها في الصحف في اعلانات التهاني والوفيات ، بل نراها في بعض البطاقات الشخصية ، وقد اتخذ بعض الناس هذا اللقب وسيلة لتعلق الحكام والرعاة ، او للتباهي والتفاخر وكثيرا ما نجد هذا اللقب متبوعا بالاسم منقوشا بخط جميل على الحجارة او الواح الرخام في واجهة بعض المساجد او المنشآت الخيرية ، او القبور مثل : انشا هذا المسجد ولى النعم جناب الوالى الحاج .. او افتتحت هذه المدرسة في عهد السلطان الحاج .. او انشئ هذا السبيل صدقة على روح الحاجة .. او هذا قبر المرحوم الحاج .. وهكذا .

وقد شاهدت بنفسى بعض الذين ادوا فريضة الحج بغضب على محدثه اشد الغضب اذا جرده من هذا اللقب ، ولم ينعت به هذا النعت ، بل انه ليذهب في دفاعه عن لقبه ( الحاج ) وحرصه على ان يضاف الى اسمه - الى القول لمن جرده منه بانه تكبد بشقة السفر الى الارض المقدسة ، وانفق اموالا طائلة في اداء هذه الفريضة . كانه انما سافر واتفق ليشترى لقباً لا ليؤدي فريضة من فرائض الله التي اوجبها على عباده القادرين .

وفريضة الحج كاي فريضة من فرائض الاسلام يؤديها المسلم طاعة لله عز وجل في اخلاص ورجاء للقبول دون اعلان ولا مباهاة ، ومثل هذه الفريضة مثل سائر الفرائض كالصلاة والصوم والزكاة ، فكما لا يقال يا مصل او يا مذك او يا صائم فكذلك لا ينبغي ان يحرص الحاج على ان يلقب بهذا اللقب .

## المصاحف العثمانية

ويسال الاخ أبو فارس من درعا - بسوريا - عن عدد المصاحف العثمانية ، وعن الموجود منها الآن .

وأحب قبل الإجابة عن سؤال الأخ أن أشير إلى أن جميع المصاحف المعتبرة المتداولة الآن في جميع الأقطار - هي مصاحف عثمانية بمعنى أنها موافقة تمام الموافقة للرسم العثماني الذي كتبت به المصاحف في عهد سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وأقره عليه جميع الصحابة الموجودين في عصره .

والثابت أن هذا الخليفة الراشد جمع القرآن الكريم من الصحف في مصحف واحد سماه المصحف الإمام ، واحتفظ به لنفسه ، وأمر بنسخ عدد من المصاحف على نسخته تكتي حجة الأمة ، وأرسل هذه المصاحف إلى الأقاليم الإسلامية ، وأنفذ مع كل مصحف حافظا ثقة يقرئ أهل الأقاليم ويلقنهم القراءة والنطق الصحيح الموافق لقراءة أمين الوحي جبريل عليه السلام على الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولم يكتف سيدنا عثمان بإرسال المصاحف فحسب إذ أن المعول عليه في نقل القرآن الكريم هو السماع والتلقي ، لا مجرد القراءة والمطالعة .

وقد روى أنه رضي الله عنه استبقى بالمدينة المنورة مصحفا غير مصحفه الخاص ، وأمر زيد بن ثابت أن يتولى قراءة القرآن لأهل المدينة ، وبعث عبد الله ابن السائب مع مصحف إلى مكة ، وأنفذ المغيرة بن شهاب إلى الشام مع مصحف الشام ، وأرسل إلى الكوفة مصحفا مع الحافظ أبي عبد الرحمن السلمي ، وسير عامر بن عبد الله القيس إلى البصرة مع المصحف البصري .

وبهذا يبلغ عدد المصاحف التي استنسخها سيدنا عثمان ستة : المصحف الإمام الخاص به ، والمصحف المدني العام ، والمصحف المكي والمصحف الشامي ، والمصحف الكوفي ، والمصحف البصري .

وقيل أنه رضي الله عنه أرسل مصحفا سابعاً إلى البحرين ، وثامناً إلى اليمن ، وينقل أنه بعث مصحفاً إلى مصر .

ولا يوجد دليل قاطع على وجود شيء من هذه المصاحف الآن ، ويرجح العلماء أن المصحف الموجود ، الآن في خزانة الآثار النبوية بالمسجد الحسيني في القاهرة منقول عن المصاحف العثمانية وليس واحداً من المصاحف التي استنسخها سيدنا عثمان .

## المساجد في الكويت

ويستفسر الأخ عبد الله العبد العزيز من الكويت في رسالته عن عدد مساجد الكويت وتاريخ بنائها وأسماء مؤسسيها ، وقد أجاب عن سؤاله فضيلة الشيخ عبد الرحمن الفارس مدير إدارة شؤون المساجد فقال :

عدد المساجد بدولة الكويت ( ٢٢٥ ) مسجداً منها ( ٥٣ ) مسجداً بمدينة الكويت ( محافظة العاصمة ) و ( ٣٩ ) مسجداً بضواحيها و « ١١ » بقراها .

و ( ٣٣ ) مسجداً بضواحي محافظة حولي ، و ( ٥٩ ) بقراها و ( ٩ ) مسجداً بمدينة الاحمدى ( المحافظة ) و ( ٣١ ) بقراها .

وأيامنا من الوزارة برسالة المسجد ودوره في التربية فقد قررت انشاء مسجد ( الدولة الكبير ) على مستوى عالي وعالي ، وتسمى المساجد بأسماء مؤسسيها أو بأسماء الصحابة والتابعين وتابعيهم من رجالات الاسلام الاعلام . وقد طبعت الوزارة سجلاً مصوراً بأسماء المساجد ومؤسسيها وتاريخ بنائها ، وهو موجود بالمكتبة العامة للوزارة لمن شاء أن يستزيد من هذه المعلومات .

# بأقلام القراء

الهند في القرن ١٩ م

**كتب الأستاذ حبيب ربحان الندوى المدرس بمعاهد الجامعة الإسلامية بليبيا  
تحت هذا العنوان يقول :**

يعتبر القرن التاسع عشر في تاريخ الهند الإسلامية قرنا مهما جدا . ففي هذا القرن بدأ الاستعمار الغربي يوطد أركانه بعد فشل الثورة الهندية الكبرى سنة ١٨٥٧ وبدا المسلمون في الهند يشعرون بكيانهم المستقل ويدينهم وشريعتهم وعلومهم ، فقام العلماء المسلمون المخلصون بواجبهم وقامت حركات عديدة من أهمها :

١ - حركة ديوبند . السلفية التي تدعو الى الكتاب والسنة ، ولكنها لا تؤمن بالتطور حتى في وسائل التعليم .  
٢ - وقامت ( حركة عليكره ) : الحديثة التي تؤمن بالتطور وتدعو الى الأخذ من الغرب في كل شيء بدون قيد ولا شرط .  
٣ - وقامت حركة ندوة العلماء الجامعة بين القديم والحديث التي تؤمن بالله المشرع وبمحمد خاتم الأنبياء وتؤمن بالدين الاسلامي وتؤمن بالتطور والأخذ من الغرب أيضا ولكن في الحدود التي رسمها الاسلام وفي ضوء القوانين التي سنتها الشريعة السحاء وتؤمن بأن العقيدة غير متطورة لأنها حقيقة أزلية طبيعية أصدق من الحقيقة الهندسية .

ولكن من هذه الحركات الثلاثة كيان مستقل ، فتأثير حركة « ديوبند » قامت « دار العلوم ديوبند » لتعليم العلوم الإسلامية ، وقامت ( جامعة عليكره ) لتعليم العلوم الغربية ، وقامت ( دار العلوم لندوة العلماء ) لتدريس العلوم العربية والإسلامية بمنهج حديث مع البحث في العلوم الحديثة أيضا .  
**دائرة المعارف :** ولا يمكن لأية نهضة علمية أن تقوم على التعليم المدرسي فحسب ، بل لا بد لها من المقومات الثلاثة : وهي الترجمة والنشر وحياء التراث القديم ، فقامت في الهند دائرة المعارف العثمانية سنة ١٨٨٨م بحيدر آباد لتقوم بهذه الأعباء الثلاثة الكبرى . وهي تعتبر هيئة علمية كبيرة .

**النشر :** ومن حيث النشر فمعهدها مطبعة عربية حديثة ومطبعة انجليزية كاملة ومطبعة اردية نشرت منها مئات الكتب في اللغة الاردية .

**ترجمة التراث الغربي :** ومن حيث الترجمة فانها ترجمت كل التراث الغربي في العلوم والرياضيات والاقتصاد والفلسفة والطب وغيرها الى اللغة الاردية ، وترجم كل يوم جهود العباقرة من الغربيين الى اللغة الاردية ، وأدت دائرة المعارف بهذا العمل فائذين عظيمين . أولهما انها أعطت للغة الاردية ثروة ضخمة لا يستهان بها . وثانيهما أن الجامعة العثمانية في حيدر آباد كانت تدرس من قديم كل العلوم الغربية الحديثة في اللغة الاردية مستندة الى كتب دائرة المعارف المترجمة واصطلاحاتها بينما الجامعات الأخرى تدرس العلوم الغربية الانجليزية ، وبهذا العمل المجيد أحييت دائرة المعارف اللغة الاردية ، وجعلتها صالحة للنمو والبقاء رغم كل الظروف ورغم كل الأعداء .

مجلة انجليزية : وتصدر دائرة المعارف العثمانية مجلة اسلامية في اللغة الانجليزية من ٣٠ سنة ، تحت ادارة الدكتور عبد المعيد خان ، والدكتور نفسه رئيس دائرة المعارف الآن .

**احياء التراث الاسلامي :** ولكننا في هذه المقالة القصيرة لا نريد تبيان اعمال النشر والترجمة من اللغة الانجليزية او الاردية وغيرها ، بل نتكلم على احياء التراث الاسلاسي القديم ، فدائرة المعارف العثمانية لم تقتصر في هذه الناحية بل تعتبر اعمالها في هذا المضمار مشرفة للغاية فانها طبعت حتى الآن اكثر من ٤٠٠ من المخطوطات العربية القديمة مع تصحيحها وتنقيحها .

### زرع قلب محل قلب آخر ليس عمراً جديداً للإنسان

**ويتناول الأستاذ محمود سليم دوعر من الكويت هذا الموضوع فيقول :**

نشرت وسائل الاعلام المختلفة أن اطباء بجنوب افريقيا زرعوا قلب انسان محل قلب انسان آخر ، وشغل الناس بهذا الحادث ، حتى أن بعضهم جعله من أبرز ما كان يعام ٦٧ وقالوا عن هذا المريض انه ( أشهر مريض في العالم ) .. ولا شك أن هذا يدل على تقدم الطب وفنونه ، وهذه ليست الطفرة الأولى بالتقدم الانساني ، بل الانسان هذه سنته ، يسير بتقدم كلما تقدمت به الحياة ، منذ آدم حتى تقوم الساعة بفضل ما أنعم الله عليه ( بالعقل ) .

ولكن .. ليس هذا هو الموضوع الذي اردناه ، بل أردنا أن نضع بعض النور على تساؤلات قسم من الناس حول زرع القلب ، هل هو عمر جديد للانسان الذي زرع به القلب الجديد .

والجواب أن عمر الانسان محدود واجله معلوم لا يتعداه ولا ينقص عنه لحظة واحدة ، وما مسألة وتوقف قلب انسان ثم حركته بعد تدليكه وما وجود قلب محل قلب ، الا حالات للانسان وليست اسباباً للحياة .

وان زرع القلوب لا يطيل عمراً لا لانسان زرع له قلب ولا ينقص من عمر انسان أخذ منه قلب ، بل لا يجوز أن نعد الانسان ميتاً الا بنهاية اجله .

فلا يستغرن مسلم من زرع القلوب ، وكل ما في الأمر تقدم في الطب لا ينكر دون اختصاص ذلك بالحياة أو الموت .

### ساعود للأقصى

**وتلقينا من الشيخ محمد علي قطب - صيدا - لبنان - هذه الايات الملتزمة :**

وسئمت لحنى بعد كل نشيد  
خجلاً وعاراً بعد كل مجيد  
كالسهم يسرى أو دبیب صديد  
( قدس ) فديت ترابها بوليدي  
فالمجد ظلّي والخفا لليهودي  
سأغز في الأعداء كل حديد  
حما تحطم في ( جنين ) تيودي  
سألقن التاريخ صدق وعودي  
وأبث في أميائه تفريدي  
ويرجع الناقوس لحن العيد

مزقت طرسي قد هجرت تصيدي  
أخفيت لحنى كي أوارى عبرتي  
وجرعت كأس مرقعاً بمرارة  
وسفحت دن الحب فوق ربوعها  
لن أغبق اللذات .. أو نمسى معا  
سأهدم الأسوار عبر حدودها  
سأسمر النيران في جوف الثرى  
سأثور بالقرآن فوق جبالها  
سأعود للأقصى أتبل ركنه  
فتشع من فوق المآذن هالة

# قالت صحف العالم

## المقاومة العربية ومصير اسرائيل

تحدث صحيفة الشعب اللبنانية عن المقاومة العربية في الارض المحتلة  
فتقول :

ان اسرائيل باصرارها على احتلال اراضي الدول العربية وباصرارها كذلك على اعمال القمع والارهاب الجماعي للمواطنين العرب في المناطق المحتلة ، لن تؤدي قط الى تحقيق حالة مستقرة من السلام والامن في منطقة الشرق الاوسط .

وان مخططات القادة والعسكريين الاسرائيليين العدوانية تحت زعم حماية امن اسرائيل وسلامتها ، لن تجلب السلام أو الأمن للآلاف من الاسرائيليين بل سوف تقحمهم في مؤامرات عسكرية لا يمكن الزعم قط بانها تتعلق بالوجود الاسرائيلي ، ذلك انها تتعلق في الحقيقة بالمؤامرات العدوانية للاستعمار ضد شعوبنا المسالة وتحقيق المخططات الاستعمارية في محاولة القضاء على حركة التحرر العربي ، والقضاء على حركة التصنيع والتقدم العربية ، والقضاء على أي محاولة مقبلة من جانب العرب للسيطرة على مواردهم الخاصة التي تشكل جانبا أساسيا من بعض احتياجات العالم العربي الاستراتيجية .

ولذلك فليس هناك من نتيجة تنتظر الاسرائيليين بسبب اصرارهم على احتلال اراضي الدول العربية بالقوة سوى المزيد من المقاومة وسوى المجابهة على الصعيد المسلح ، كذلك فان دورها العدواني في الوطن العربي سوف يزيد بشكل مطرد من نشاط المقاومة العربية وفي اتجاهها اكثر نحو اتحاد وتنظيم اوسع لصفوفها .

## الى مؤتمر وزراء التربية العرب

ونشرت صحيفة الرأي العام الكويتية المذكرة التي رعتها جمعية اصلاح الاجتماعى الى مؤتمر وزراء التربية العرب الذي انعقد في الكويت مؤخرا ، وقد تضمنت المذكرة المقترحات الآتية :

١ - تدريس الدين الاسلامي في جميع مراحل التعليم من رياض الاطفال الى المرحلة الجامعية ، واختيار مدرسي الدين من المتخصصين بهذه الدراسة .

وأن يكونوا قدوة حسنة ومثلاً أعلى يقتدى بهم طلابهم ، ويكون لهم أسلوبيهم وأطلاعهم الواسع العميق الذى يمكنهم من عرض حقائق الإسلام عرضاً يرى فيه الجيل الحاضر طريقه إلى السكينة والأمان .

٢ — العناية بدروس القرآن الكريم وتمعيم التلاوة حتى ختم القرآن والاكتثار من آيات الحفظ والاحاديث النبوية وتنظيم المسابقات لحفظ القرآن الكريم وزيادة حمص للدين تكفى للحفظ والتلاوة .

٣ — فصل التفتيش الدينى عن تفتيش اللغة العربية ، وتخصيص موجه دينى لكل مدرسة وانشاء مصلى فيها مهياً بما يناسبه وتخصيص وقت يكفى للصلاة .

٤ — الاهتمام بدراسة السيرة النبوية والتاريخ الإسلامى ، ودراسة الفتوحات الإسلامية وأعلام الفكر الإسلامى ورجالات التشريع وما لهم من مواهب متعددة وما ظهر لهم من انتاج اثار دهشة العلماء ، والعناية بالفقه الإسلامى وتوضيح مزايا التشريعات الإسلامية وأفضليتها على غيرها .

٥ — تدريس الجغرافيا الإسلامية لتوضيح كيفية انتشار الإسلام فى العالم وحدود الوطن الإسلامى وثوراته وإمكانياته والأماكن الإسلامية المقدسة ، وبيان ما لها من تاريخ مجيد فى نشر الدين وتدريس قضية فلسطين على أنها قضية إسلامية .

٦ — ربط المناهج الرياضية والكشفية والجوالة بمعنى الجهاد فى الإسلام .

٧ — يراعى فى وضع المناهج أن تكون مبنية على عقيدة الأمة .

٨ — تقوية الصلات الثقافية مع البلدان الإسلامية والاهتمام بنشر اللغة العربية بين الشعوب والجاليات الإسلامية وتخصيص منح دراسية للدول الإسلامية وخاصة الأفريقية .

٩ — فصل الطلبة عن الطالبات فى جميع مراحل التعليم باستثناء رياض الأطفال ، ويراعى فى المناهج اعداد الفتيات وتوجيههن الوجهة السليمة .

١٠ — الاهتمام بأخلاق الناشئة فى المناهج والتوجيه والاعتزاز بالتراث الإسلامى وبموت روح البطولة والعناية بالقصص والتثليلات الإسلامية .

١١ — رفع المستوى العلمى بما يكفل تخرج الخبراء والمتخصصين فى الشئون العلمية التى تمس حياتنا ، ولكى تكفى أمناً اكتفاء ذاتياً بخبراتها وعلمائها من الخبراء الأجانب .

١٢ — العناية بتمعيم الروح الدينية وجعلها تسرى فى كل مرافق الحياة ، وذلك عن طريق توثيق الصلة بين البيت والمدرسة ومجالس الآباء والمسابقات التشجيعية والنشرات والمحاضرات والحفلات وأجهزة الاعلام ودورها الكبير فى حماية المجتمع من وسائل الاغراء والافكار المنحرفة .

# مكتبة المجلة

## موجز تفسير القرآن الكريم

كتاب صدر عن دار الثقافة الإسلامية في بغداد ، وهو الجزء الثاني من مجموعة أجزاء كتاب « موجز تفسير القرآن الكريم » من تأليف الشيخ عبد الجبار الأعظمي ، وقد أورد المؤلف في هذا التفسير الآية فتفسير مفرداتها ثم التفسير العام كما ذكر المناسبة التي نزلت فيها كل آية ، والتفسير واضح الأسلوب رتب المعاني بجمد عن الضموض والتعقيد ، والجزء الثاني من هذا التفسير يتقوى على ( ١٢٠ ) صفحة وثمنه ( ٢٥٠ ) نفقا .

## تاريخ النظم القانونية

كتاب من تأليف الدكتور محمود سلام زنتي استاذ تاريخ الشرائع بجامعة الكويت تناول فيه بالبحث والدراسة حالة المجتمعات البشرية والموقف على صور النظم القانونية فيها مقسما كتابه الى ثلاثة أجزاء خص الأول منها بالمجتمع البدائي والثاني بالمجتمع القبلي والآخر بالمجتمع المدني . والكتاب يقع في ( ٤٤٠ ) صفحة والناشر دار النهضة العربية - ٣٢ شارع عبد الخالق ثروت - القاهرة .

## المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم

كتاب من تأليف اللواء الركن محمود شيت خطاب عضو المجمع العلمي العراقي ويقع في جزأين شاملا لجميع المصطلحات العسكرية التي وردت في القرآن الكريم . وقد فصل المؤلف كل مصطلح عسكري ورد في الذكر الحكيم في ثلاث مواد فأورد في المادة الأولى بعض الآيات القرآنية كالمثلة لاستعماله وذكر في المادة الثانية مشتقاته ومعانيه اللغوية وسجل في المادة الثالثة مقارنة بين المصطلح العسكري الوارد في القرآن الكريم ومثيله المستعمل في الجيوش العربية هادفا من ذلك توحيد المصطلحات العسكرية في الجيوش العربية . والكتاب من طبع دار العلم للملايين في بيروت وقامت بنشره دار الفتح للطباعة والنشر في ب ( ١٩٦٥ ) - بيروت - لبنان .

## الأركان الأربعة في ضوء الكتاب والسنة

الإستاذ السيد أبو الحسن علي الصنعي القدوي وقد تحدث فيه مؤلفه عن أركان الإسلام الأربعة ومن وضعها السماوي وحيثيتها الشرعية ومكانتها في الحياة القربية كما قررها الكتاب والسنة وتبينها المسلمون في مختلف العصور والأجيال ، والكتاب مطبوع في مطابع مطوق اخوان - وقامت بنشره دار الفتح للطباعة والنشر - بيروت - لبنان ويقع في ٢٨٦ صفحة .

# أخبار العالم الإسلامي

## الكويت

● أكد سمو أمير البلاد المعظم أن الكويت تملك قوة دفاعية عضوية رادعة قادرة على صد أي عدوان يمكن أن يقوم به عدو ، وهذه القوة العسكرية ليست للكويت وحدها بل للعرب أجمعين .  
● أدى سمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء فريضة الحج وقد التقى هناك بجلالة الملك فيصل والمسؤولين وأجرى معهم محادثات حول الوضع الراهن .

● بعث ممثلو الدول العربية في المجلس العربي لحو الأمية المجتمعون في دورتهم الرابعة بتونس يشكرون سمو أمير البلاد المعظم لتشجيع سموه للعلم وتبرعه للصندوق العربي لحو الأمية .

● أقامت وزارة التربية في مختلف معاهدها ومدارسها احتفالا بيوم المعلم ، وقد وجه سمو أمير البلاد المعظم تحية الى المعلمين والطلاب والآباء والأمهات حثهم فيها على مواجهة مسؤولياتهم للحاق بركب العلم .  
● طلبت بعض المدارس الاسلامية في أمريكا من وزارة التربية تزويدها ببعض الكتب التي تدرس في المرحلتين الابتدائية والاعدادية للاستفادة بها .

● أكد سعادة الشيخ صباح الاحمد وزير الخارجية أننا في الظروف الراهنة أحوج ما نكون الى عقد مؤتمر قمة عربي جديد ، ودعا الى الوقوف صفا واحدا أمام التحديات التي تواجه الأمة العربية .

● سيزور البلاد في الشهر القادم ( مايو ) رئيس وزراء ليبيا على رأس وفد ليبي وستستغرق الزيارة عدة أيام .

**القاهرة :** وجه الرئيس عبد الناصر كلمة الى الفرقة الكويتية على خط القتال في السويس شكرهم فيها على مشاعرهم الطيبة كما وجه التحية الى شعب الكويت وأميرها المعظم .

● زار سباحة رئيس الاتحاد الاسلامي الصيني في ماليزيا فضيلة شيخ الازهر وقد عبر الضيف عن أمانته في أن يتبوا المسلمون العرب مكانة الزعامة ، كما كانوا في الماضي .

● يقوم مجمع البحوث الاسلامية بالازهر بالاتصال بكبار المفكرين ورجال السياسة والاقتصاد لاعداد بحوث ورسائل حول قضية فلسطين والعدوان الصهيوني .

● اشترك الازهر في المؤتمر الديني العالمي الذي عقد في براغ في الشهر الماضي وقد تضمن مناقشة قضية فلسطين وبعض القضايا العالمية وموقف الأديان منها .

● زار وزير التربية والتعليم في جمهورية اليمن الجنوبية فضيلة شيخ الازهر وقد طلب الوزير مساعدة الازهر الثقافية والدينية ، فوعده فضيلة شيخ الازهر بذلك .



**السعودية :** أجرى أمين عام رابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة عدة

اجتماعات هامة مع الزعماء والعلماء المسلمين الذين وفدوا لحج بيت الله الحرام وقد تركزت المحادثات حول وسائل انقاذ التدسّس ونشر الدعوة الاسلامية .

● أصدر وزير المعارف تعميما على جميع المناطق التعليمية بوجوب أداء صلاة الجماعة فى حينها والحفاظة على الاخلاق الاسلامية .

● ستتعاون السعودية مع باكستان على انشاء بنك مشترك بينهما فى نطاق التعاون الاقتصادى للدولتين المسلمتين .

● بلغ عدد الحجاج الذين وفدوا على الاراضى المقدسة هذا العام لاداء فريضة الحج قرابة ٤٠٠ الف حاج .

**العراق :** تركزت المحادثات التى اجراها سعادة الشيخ صباح الاحمد

وزير خارجية الكويت فى بغداد حول تأكيد عروبة الخليج ومستقبل التعاون الاقتصادى بين البلدين ، وقد قال سعادة الشيخ صباح لقد وجدنا أنفسنا متفقين حول كل النقاط .

● سيزور سمو أمير الكويت المعظم العراق قريبا .

**الأردن :** أصدرت اسرائيل عدة قرارات باعتبار المناطق العربية التى

احتلتها فى الضفة الغربية وسيناء ومرتفعات الجولان مناطق غير عربية ، كما غيرت الاسماء العربية لهذه المناطق باسماء اسرائيلية .

● وزع يوثاق سكرتير عام الأمم المتحدة وثيقة دولية تثبت ملكية المسلمين لحائط البكى فى القدس .

● قدمت الأردن لمؤتمر وزراء التربية العرب الذى انعقد فى الكويت فى الشهر الماضى وثائق تثبت تحريف الصهاينة للقرآن الذى يدرس فى الضفة الغربية بعد أن غيرت اسرائيل مناهج التعليم العربية .

**السودان :** انتقل الى رحمة الله الزعيم السودانى السيد على الميرغنى

بعد عمر ناهز التسعين عاما قضاها فى خدمة الاسلام والعروبة . والوعى الاسلامى تنعى العالم العربى والاسلامى الفقيد العظيم وتسال الله له تسريح الجنات .

● أكد الرئيس الازهرى فى افتتاح الندوة العلمية لاسبوع القرآن الكريم انه لا سبيل الى مواجهة الصهيونية والاستعمار الا باتحاد الامة الاسلامية فى جميع بقاع الارض واعتصامها بكتاب الله الكريم .

**الجزائر :** سيوضع ميثاق جديد لحزب جبهة التحرير يعتمد على العقائد

الاسلامية وعلى ميثاق الحزب .

**باكستان :** أصدر المؤتمر الاسلامى الذى انعقد فى روالبندى عدة قرارات باسترجاع مدينة القدس والمناطق العربية المحتلة والعمل على نشر التعاليم الاسلامية فى بقاع الارض .

**موريتانيا :** أصدر مؤتمر الشعب العام لتخطيط سياسة الدولة العليا قرارا بجعل اللغة العربية لغة رسمية لجمهورية موريتانيا الاسلامية بدلا من الفرنسية .

**اندونيسيا :** اعلن جنرال سوهارتو رئيس جمهورية اندونيسيا بالوكالة عن تشكيل حزب اسلامى جديد شكل رسميا من ست جمعيات اسلامية مستقلة ومن المنتظر ان يكون الحزب الجديد من أقوى الاحزاب الاندونيسية .

## اقرأ في هذا العدد

صفحة

مع العام الهجرى الجديد .....	الاستاذ عبد الرحمن عبد الله المحجم	٤
وكيل الوزارة .....	.....	٤
أخى القارىء .....	مدير ادارة الدعوة	٦
حوار .....	الشيخ على عبد الحمم	١٠
الهجرة منطق اليقين .....	الشيخ محمد الفزالي	١٤
دروس حول الهجرة .....	الدكتور محمد محمد خليفة	١٨
ملحمة الهجرة .....	الدكتور صبحى الصالح	٢٢
رحلة الى طيبة (١) .....	الشيخ محمد الجاسر	٢٦
أثر الإسلام فى احراز النصر (١) .....	اللواء محمود شيت خطاب	٢٢
صقلية تحت حكم المسلمين (٤) .....	الدكتور زكى محمد غيث	٤١
نظرة الإسلام الى الانسان والكون .....	الدكتور مازن المبارك	٤٧
خاطرة من سيرة الامام على .....	الاستاذ سعيد الانغلى	٥٥
ذكرى الهجرة ( قصيدة ) .....	الاستاذ يوسف زاهر	٦٠
ياس وامل « قصيدة » .....	الشيخ نديم الجسر	٦٢
المسبحة والمسبحون .....	الاستاذ على الجندي	٦٤
خواطر .....	الشيخ عبد الحمم التمر	٦٦
شباب الإسلام فى شعر احمد محرم .....	الدكتور احمد الشرباصى	٧٢
حماية الفار ( قصيدة ) .....	الاستاذ احمد ابو الجد	٧٨
بين يدى النبى .....	الاستاذ معوض عوض ابراهيم	٧٩
اول معرض للمصاحف .....	الاستاذ صلاح عزام	٨٠
أوروبا ترسل بعثاتها الى الاندلس .....	الاستاذ سليم طه التكرينى	٩٠
مائدة المقاريء .....	أعداه : أبو نزار	٩٤
تاريخكم يا شباب (٣) .....	الاستاذ احمد محمد جمال	٩٦
أرحنا بها يا بلال .....	الاستاذ احمد العناني	١٠٠
هل الإسلام دين سلام ؟ .....	الشيخ محمد محمد ابو خوات	١٠٤
كتاب ميلاد الفرق فى الإسلام .....	الدكتور محمد غلاب	١٠٩
أسماء ( قصة ) .....	الاستاذ محمد ليبي البوهى	١١٦
الفتاوى .....	التحرير	١١٩
بريد الوعى .....	أشراف الشيخ رضوان الببلى	١٢١
بأقلام القراء .....	التحرير	١٢٢
قالت الصحف .....	التحرير	١٢٥
المكتبة .....	أعداد الاستاذ عبد الستار قيسى	١٢٧
الأخبار .....	أعداد الاستاذ عبد المحطى بيومى	١٢٨

## (( الى راغبي الاشتراك ))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك في المجلة . ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم ، وتقاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الان ، وعلى الراغبين في الاشتراك ان يتعاملوا واسا مع متمهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالتعهدين ،

- القاهرة : شركة توزيع الاخبار - ٧ شارع الصحافة  
مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة . ص ب ١٤٦  
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء - السيد محمد زين العابدين ضياء  
الرياض : مكتبة المدينة - ص ب ١٩ - السيد احمد باصريح  
الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة - عمارة ابن الملوح - ص ب ٢٢  
جسدة : الدار السمودية للنشر - ص. ب : ٢٠٤٣  
بغداد : مكتبة الثنى - السيد قاسم محمد الرجب  
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية - ص ب ٧٦ - السيد محمد سعيد بابيضان  
البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها - المناقب السيد فاروق ابراهيم عبيد  
قطر : مكتبة العروبة ص. ب : ٥٢  
عبدن : وكالة الاهرام التجارية - السيد محمد قائد محمد  
المسكلا : ص ب ٢٨ - حضرموت - مكتبة الشعب المحدودة  
دبي : ساحل عمان - ص ب ٢٦١ - السيد عبد الله حسن الرستماني  
مسقط : المكتبة الاهلية ص ب ١٥٧  
عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنية - السيد رجا العيسى  
دمشق : الشركة العامة للمطبوعات ص ب : ٢٣٦٦  
بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص ب ٤٢٢٨  
الخرطوم : الدار البيودانية للطباعة والنشر والتوزيع ص. ب ٢٤٧٣  
مراكش : الدار البيضاء - مكتبة الوحدة العربية - السيد احمد عيسى  
ليبيا : طرابلس الغرب ص ب ١٣٢ - السيد محمد بشر الفرجاني  
بنغازي : مكتبة الوحدة العربية ص ب ٢٨٠ - السيد الشعالي الخراز  
الكويت : مكتب منار للتوزيع ٢١ شارع فهد السالم ص ب : ١٥٧١  
ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الان نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



منظر آخر للمسجد النبوي من الجهة الشرقية ويظهر في الصورة باب  
جبريل عليه السلام .

تصوير : عظمت شيخ

